كلية الآداب بقنا
قسم التاريخ

فنون الحضارة الإسلامية

الأستاذ الدكتور
إبراهيم علي السيد القلا
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
وعميد كلية الآثار بصان الحجر
جامعة الزقازيق

الأستاذ الدكتور
صلاح سليم طايع
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
وعميد كلية الآداب
جامعة جنوب الوادي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

صدق الله العظيم

(البقرة:32)

فهرس

مقدمة

الفصل الأول: مفهوم الحضارة

- مفهوم الحضارة
- أصول الحضارة الإسلامية
- خصائص الحضارة الإسلامية

الفصل الثانى: نظم الحكم والإدارة والنظم القضائية

- الخلافة
- مجلس الشورى
- الوزارة
- ولاية الأقاليم
- الحجابة
- ولاية العهد
- الكتابة
- القضاء
- الحسبة
- الشرطة

الفصل الثالث: النظم المالية

- الإيرادات
- النفقات
- النقود الإسلامية
- المكاييل والموازين والمقاييس

الفصل الرابع: النظم الحربية

- الجيش
- الأسطول

الفصل الخامس: النظم الاجتماعية

- المرأة
- الرق

الفصل السادس: المدن الإسلامية

- المدينة المنورة
- الكوفة
- البصرة
- دمشق
- الفسطاط
- القيروان
- واسط
- قرطبة
- العسكر
- بغداد
- القطائع
- القاهرة

الفصل السابع: أثر الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوربية

الصور والأشكال

المصادر والمراجع

مُقَدِّمَة

الأمم بحضارتها، وبمقدار ما يكون للأمة من يد على الحضارة بمقدار ما يكون لها من عظمة التاريخ، وكل أمة لا حضارة لها لا حضور لها ولا تاريخ 0

وما كان للعرب والمسلمين كان منهم للحضارات خلاصة وكان منه التفوق والنبوغ وحين يكون التفوق هو فى الشأن العقلى والعلمى فإن ذلك ينعكس أثره على مناحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتقاس حضارة الأمم بمقدار عطائها لا بقدر أخذها ومن جانب العطاء نجد أن العرب والمسلمين ﴿**خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾

فالحضارة العربية الإسلامية استلهمت الإسلام وتفاعلت معه ولم يكن بينهما انفصال والفروق الجزرية بينهما لم تمنع من لقاءات حضارية خلت من السلاح والحقد والصراع وكانت غنية بالعطاء والخير 0

والحضارة العربية الإسلامية سجل تاريخى يوضح تطور العقل البشرى فهى فى الحقيقة امتداد للحضارات السابقة لها ولكنها ذات شخصية متميزة ومفتوحة، وليست كالحضارة الغربية خلال العصور الوسطى مغلقة على نفسها، فهذه الحضارة ترجع أولا إلى العرب وثانيا إلى سكان البلاد التى فتحها العرب ودخلوا فى الإسلام، ولذلك تسمى بالحضارة العربية والإسلامية 0

ودراستنا للحضارة الإسلامية بدأت ببداية الإسلام لأنهما لا ينفصلان عن بعضهما، وكان اهتمامنا بمعالمها فى عصرها الذهبى منذ مطلع العصر العباسى حتى أغار التتار على بغداد سنة 656 هـ / 1258 م، وحولها التتار إلى كومة من الرماد، فكان العصر الذهبى للحضارة الإسلامية قد استمر نحو خمسة قرون من الزمان 0

ولكل حضارة عبر عصور التاريخ صفتها المميزة التى تكسبها طابعا خاصا يميزها عن غيرها من الحضارات السابقة عليها أو اللاحقة لها، وإذا كانت الحضارة الإسلامية باعتراف كافة الباحثين فى الشرق والغرب هى أعظم حضارة عرفها العالم أجمع فى حقبة العصور الوسطى فإن من أبرز الصفات المميزة لهذه الحضارة أنها حضارة إنسانية

استهدفت خير الإنسان والرحمة به وتحقيق أكبر قدر من النفع له والعمل على السمو به إلى أعلى المستويات روحيا وفكريا ومعيشيا 0

والحضارة العربية الإسلامية يدين لها العالم بالكثير ليس فقط لحفظها التراث القديم الذى ورثته، ولكن الابتكارات والشروح الجليلة التى قام بها علماء العرب والمسلمين فى العلوم 0

إن فضل العرب والمسلمين على الحضارة الإنسانية لا يستطيع إنسان وصفه والتعبير عنه حيث أنهم بفتوحاتهم العظيمة اتصلوا بالحضارات المختلفة فجمعوا هذه الحضارات وصهروها، وقدموا حضارة عربية وإسلامية تفوق الحضارات التى سبقتها بدرجات كبيرة، لذا نجد أن الدين الإسلامى هو المحرك الحقيقى لمناحى هذه الحضارة فهو المحرك للتطبيق العلمى على الحياة اليومية 0

ومما لا شك فيه أن علماء العرب والمسلمين استفادوا من إنجازات الأمم التى سبقتهم والأمم التى اختلطوا بها بعد الفتوحات الإسلامية وذلك بحصولهم على نتائج تجاربهم العلمية، لذا فإن الحضارة عبارة عن تراث ونتاج مشتركين بين الأمم المختلفة، هذا وقد أثرت الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوربية فى الكثير من فروع المعرفة.

وسوف يتضح لنا مدى تقدم وازدهار الحضارة العربية الإسلامية من خلال هذه الدراسة التى تناولت جوانب من تلك الحضارة، حيث أن هذه الحضارة غنية بجوانبها ولا تسع الدراسة لتناول هذه الجوانب جميعها ولذلك نتناول بعض الجوانب المؤثرة فى العالم عامة 0

الأستاذ الدكتور

إبراهيم علي الدين السيد القلا

صلاح سليم طايع

الفصل الأول: مفهوم الحضارة

- مفهوم الحضارة
- أصول الحضارة الإسلامية
- خصائص الحضارة الإسلامية

مفهوم الحضارة

الحضارة[1] فى مفهومنا العام – هى ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصود أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية 0

وهذا المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ لأن التاريخ كما سنرى هو الزمن، والثمرات الحضارية – مادية أم معنوية – تحتاج إلى زمن لكى تطلع، أى أنها جزء من التاريخ، أو نتاج جانبى للتاريخ، وكما أن ثمر الزروع والأشجار لا يطلع إلا بفعل الزمن، أو لا يمكن أن تزرع وتحصد ثمرة ما فى نفس الوقت، فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان[2] 0

وكلمة حضارة لها أكثر من تعريف أيضا فهى الإقامة فى الحضر والحاضرة هى المدينة، والمدينة تعنى الحضارة واتساع العمران، وكلمة تمدن تعنى العيش حياة أهل المدن والأخذ بأسباب الحضارة[3] والحضارة أيضا نظام اجتماعى يعيش الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافى[4] كما أنها الروح العميقة للمجتمع وتقوم على تأكيد الأصالة الروحية والحقيقة الفلسفية والعاطفية للإنسان[5] 0

وعلى الرغم من تعدد تعاريف الحضارة ومدلولها، فهى مستوى التقدم الذى بلغه المجتمع فى ميدان الفكر والاجتماع والاقتصاد والتكنولوجيا[6] 0

والحضارة التى ندرسها توصف بالحضارة العربية أو الحضارة الإسلامية وهذا لا يعنى أن سكان الجزيرة العربية الذين دخلوا فى الإسلام هم وحدهم الذين أسهموا فيها، فالمقصود بالحضارة العربية الإسلامية، أنها تشمل جميع الشعوب التى تحدثت العربية وعاشت فى دار الإسلام فى ظل الخلافة الإسلامية بصرف النظر عن الجنس والدين، ولذلك يدخل فيها مع العرب الأجناس الأخرى حيث حوت أراضى الخلافة الإسلامية العديد من العناصر بجانب العرب، مثل الفرس والمغاربة، والسودانيون والأقباط، والنصارى واليهود وأيضا أصحاب الديانات الأخرى[7] 0

وقد وصفت هذه الحضارة بالعربية لوجود ما ينتمى للعربية فيها وأهم ذلك هو اللغة العربية التى حفظت منها أصول هذه الحضارة وفروعها، فقد نزل القرآن الكريم باللغة

العربية وبها كتب ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[8] وبها دونت السنة النبوية وحفظت، وتعلم بها من اعتنق الإسلام وانضوى تحت لواء هذه الحضارة وكانت اللغة العربية لغة الدول القائمة بها، ولذا فلا غرابة أن تكون العربية ضمن تسميتها، وكان لفظ عربى والعربية رديف لفظ الإسلام[9]0

ووصفت أيضا بالعربية لأنها قامت فى البيئة التى كان العرب يسكنونها ومنحوها جهدهم وجهادهم، وكانوا رسلها، وحملوها إلى الناس، وعلى أكتافهم قامت دولتها التى اتسعت وبلغت المحيط الأطلسى وامتدت نحو أوربا وبلاد السند والهند، وأفريقيا وخدموها، خلفاء وسلاطين وأمراء ووزراء، وأهل صناعة وزراعة وتجارة، ومعلمين ومفكرين، وبذلك أخذت هذه الحضارة من العربية هوية الوجه واللغة[10] 0

وعرفت بالحضارة الإسلامية للفكر الإسلامى الذى كان مضمون هذه الحضارة ومحتواها وأساسها الذى قامت عليه ممثلا فى القرآن الكريم، وما يترتب عليه من ثراء ثقافى، وتشعب فكرى وتنوع وتطور الكلام وفلسفته مما زاد الحياة الفكرية ثراء[11] 0

أصول الحضارة الإسلامية :

إنه ليس من السهل معرفة أسس الحضارة الإسلامية وذلك لأنها كأى حضارة لم تظهر من عدم، وإنما سبقتها حضارات هى مصادرها، فالحضارة أخذ وعطاء، ونتيجة مشتركة لعناصر قديمة وجديدة، ولذا فإن أسس الحضارة الإسلامية ترجع أولا إلى العرب، وثانيا إلى سكان البلاد التى فتحها العرب[12]0

أقام العرب المسلمون حضارة جديدة هى أعظم حضارات العالم فى العصور الوسطى، وهذه الحضارة العربية الإسلامية هى التى جعلت العصور الوسطى عصور مضيئة بالقياس إلى ما سبقها فى غرب أوربا أو أخر أيام الدولة الرومانية القديمة 0

ومع أن العرب المسلمين أخذوا من الحضارات التى سبقتهم أو عاصرتهم شيئا غير قليل فإنهم ما أخذوه من هذه الحضارات بالتغيير والتبديل والحذف والإضافة ونجم عن ذلك كله حضارة جديدة لها طابعها الخاص وهو طابع الإسلام والعروبة واللغة العربية التى بها القرآن الكريم[13] 0

وترجع هذه الحضارة إلى الأصول الآتية :

1- الأصل الإسلامى 0

2- الأصل العربى 0

3- المؤثرات الفارسية 0

4- المؤثرات اليونانية الرومانية 0

الأصل الإسلامى :

الإسلام عقائد وأعمال :

فالعقائد: 1- تنظيم الإيمان بإله واحد هو رب العالمين 0

2- والإيمان بالبعث بعد الموت 0

3- والإيمان بالثواب والعقاب فى الدار الآخرة 0

والأعمال : تنقسم إلى عدة أنواع :

الأول : أعمال تنزل منزلة العقائد وهى الصلاة والزكاة وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا 0

الثانى: أعمال تتصل بالأخلاق وهى التحلى بمكارم الأخلاق وآداب اللياقة، والوفاء بالعهد، والصبر فى الشدائد والعدل، وعفة النفس، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر 0

الثالث : أعمال عبارة عن تطبيق ما جاء به الشرع خاصة بالأسرة أو المعاملات التى تجرى بين الناس، والجنايات التى تقع فى المجتمع وشئون السلم والحرب 0

وللإسلام أثر بالغ فى الحياة العقلية للمسلمين، وبفضله نشأت بين المسلمين من عرب وغير عرب وحدة فكرية رائعة، ومن علاماتها علوم التفسير والحديث والفقه، والسير والمغازى أو علم التاريخ، والإسلام عامة يحث على التدبر والتفكير فى الكون الذى نعيش فيه، وفى ظواهره المختلفة، فأدى ذلك إلى الاشتغال بالعلوم الكونية على اختلافها، وهى الجغرافيا والكيمياء والفيزياء، والفلك والطب، والإسلام هو الذى انطبعت حياة المسلمين بطابعه، سواء فى ذلك نظمهم العامة، السياسية والإدارية والمالية، وأحوالهم الاجتماعية، وكذلك فنونهم وآدابهم 0

والدين أساس الحضارة، وإذا تعمقنا فى منشأ الفلسفة والعلوم والفنون، وكل فرع من فروع المعرفة الإنسانية وجدنا أن تقدمها وتطورها ونضوجها كان ذلك كله متأثرا فى كل عصر من العصور بالعقيدة الدينية[14] 0

والدين أحكم مرشد وأهدى قائد للإنسان إلى الحضارة والمدنية القائمة على المعارف الحقه والأخلاق الفاضلة، وهو أقوى دافع للأمم إلى التسابق لغايات المدنية، وأمضى الأسباب بها إلى طلب العلوم والفنون والآداب 0

والإسلام دين يتجاوب مع أرفع الأنظمة وأفضل التقاليد، ويعمل لخير الإنسانية كافة، ووسعت رحابه الملل والنحل المتباينة، فعاشت تحت ظله فى أمن وهدوء وسكينه، والإسلام يعمل على علاج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى العالم، إذ أنه نظام مؤسس على قواعد اجتماعية وعمرانية لا نظير لها، وهو دين كل عصر وكل مكان 0

والإسلام يتفق مع التطور الإنسانى والتقدم البشرى، ولا يتعارض مع العقل أو المنطق أو مقتضيات الحياة 0

2- الحضارة العربية :

يأتى بعد الدين الإسلامى، ينبوع ثان من الينابيع التى أسهمت فى الحضارة الإسلامية، وذلك هو حضارة العرب، وإن كان بطبيعة الحال أقل شأن من الينبوع الأول، إلا أنه كان ذا أثر واضح فى تلك الحضارة 0

والعرب يقصد بهم سكان الجزيرة العربية داخلها وأطرافها، وهم العنصر الفعال فى الدولة الإسلامية، وخاصة فى صدر الإسلام، وكان لهم ثقافة انفردوا بها، ومثال لذلك أن حرصهم على أنسابهم أدى إلى قيام على الأنساب، لمعرفة أنساب القبائل والأفراد، وظهرت فى الأنساب كتب لابن الكلبى، وابن حزم وغيرهما[15] 0

وللعرب فى الجاهلية والإسلام العديد من الشعراء الذين حملوا لواء الشعر العربى، وهذا الشعر هو ديوان أخبار العرب وسجل أحداثهم، وكنز لغتهم وبلاغتهم، وللعرب تراث وفير من الأمثال والحكم، سجلت فى كتب أهمها كتاب الأمثال للميدانى[16] 0

وأسهم العرب فى بناء الحضارة الإسلامية بالآداب والعادات التى اتصفوا بها من حيث الشجاعة، والعفة، وحفظ الجوار، والكرم، واحترام المرأة والولع بالشعر، وفصاحة اللسان، وشاعت هذه الصفات الحميدة فى المجتمع الإسلامى[17]

وكان للعرب حضارات قديمة فى أطراف الجزيرة العربية ففى :

- الشرق كانت الكلدانيين والأشوريين 0
- وفى الشمال وجدت حضارة الآرميين والكنعانيين والأنباط 0
- وفى الجنوب وجدت حضارة معين وسبأ وحمير 0
- وفى الغرب قامت مدن متقدمة مثل الثموديين والمكيين وغيرهما[18] 0

3- الحضارة الفارسية والهندية :

وتمثل الينبوع الثالث الذى أثر فى الحضارة العربية الإسلامية فى حضارة بعض الأمم الأسيوية المتحضرة التى دخلت فى الإسلام، ولا سيما الفرس والهنود المسلمين 0

والفرس أمة ذات حضارة قديمة ازدهرت خلال عصر الدولة الساسانية التى نبغت فى فنون السياسة والإدارة والحروب، ومظاهر الترف والرفاهية، وكان لها دين رسمى هو الزرادشتى ولغة خاصة هى الفهلوية[19] 0

ولما دخل الفرس فى الإسلام أقبلوا على دراسة مبادئه وعلومه، وتعلموا اللغة العربية حتى ساهموا فى الحركة العلمية والتأليف فى مختلف العلوم، ولذا أفادوا الحضارة الإسلامية فوائد جمة، فنحن نجد الكثير من الألفاظ الفارسية نقلت بذاتها إلى اللغة العربية[20] 0

كما انتقل فن الغناء إلى الحضارة الإسلامية من الفرس ونبغ الكثير من الفرس فى الشعر، مثل إسماعيل بن يسار وأبى نواس، وابن المقفع وغيرهم 0

وخلال العصر العباسى زادت حركة تأليف الفرس الموالى فى مختلف العلوم الإسلامية وانتقلت إلى الحضارة العربية الإسلامية عن طريق هذه الحركة بعض العلوم عن الهنود وغيرهم من الشعوب الأسيوية المتحضرة[21] 0

4-الحضارة اليونانية الرومانية :

أما الينبوع الرابع للحضارة الإسلامية فهو الحضارة اليونانية التى كان لها أثرها على الحضارة الإسلامية، فاليونان أمه عريقة فى الفلسفة والعلوم، والفنون والآداب، حيث نبغ منهم سقراط وأفلاطون وأرسطو، ونقل السريان فى الشام والعراق إلى لغتهم السريانية الكثير من المؤلفات اليونانية قبل الإسلام، مثل الفلسفة والطب والرياضيات والكيمياء والفلك والجغرافيا، وعلقوا عليها وشرحوها0

تم إنشاء المدارس لتعليم الطلاب هذه العلوم فى الحواضر الكبرى، منها انطاكيه وقيصرية ونصيبين والرها، كما قامت بالإسكندرية مدرسة لتعليم الطب0

وخلال العصر العباسى عهد الخلفاء العباسيون ولا سيما الخليفة المأمون إلى طائفة السريان نقل الكتب اليونانية فى العلوم المذكورة إلى اللغة العربية، فنقلوا الكثير منها إلى العربية عن السريانية، وبعضها عن اليونانية رأسا وبذلك انتقلت الثقافة اليونانية إلى المسلمين[22] 0

وهكذا رأينا أن الحضارة العربية الإسلامية لم تظهر من عدم، وإنما سبقتها حضارات هى مصادرها، فالحضارة القائمة بوجه عام تكون خلاصة أو انتقاء لما فى الحضارات السابقة 0

خصائص الحضارة الإسلامية :

1- تميزت بالرقى والتقدم والعدالة الاجتماعية التى استمدت من القرآن والسنة والأخذ بالوسائل التى تؤدى إلى النهوض بالبشر 0

2- شمولها – حيث علا شأنها بالإسلام، وازدهار الثقافة العربية وتقدم العمران الذى تجلى فى المنشآت المدنية والدينية 0

3- الحضارة الإسلامية حضارة عامة 0 فلم يكن انتشار الإسلام مقصورا على الدولة العربية، بل امتد وتجاوزت الحدود إلى الصين والهند 0

4- الحضارة الإسلامية حضارة عامة فلم تقتصر على عصر معين، ولم يكن من أهدافها القضاء على الحضارات السابقة بل تفاعلت معها فشملتها، وأبقت على أفضل جوانبها، فاستوعبت حضارتى الفرس والروم السابقتين[23] 0

5- أنها حضارة إيمانية، انبثقت من العقيدة الإسلامية 0 فاستوعبت مضامينها وتشربت مبادئها واصطبغت بصبغتها، فهى حضارة توحيدية انطلقت من الإيمان بالله الواحد القهار 0 فكان الدين الحنيف من أقوى الدوافع إلى قيامها وإبداعها وازدهارها 0

6- أنها حضارة معطاء، أخذت واقتبست من الحضارات والثقافات الإنسانية التى عرفتها شعوب العالم القديم، وأعطت عطاء زاخر بالعلم والمعرفة 0 وكان عطاؤها لفائدة الإنسانية جمعاء، حيث لم تفرق بين أصحاب الديانات المختلفة

7- أنها حضارة متوازنة، وازنت بين الجانب الروحى وبين الجانب المادى فى اعتدال هو طابع من طوابع الفكر الإسلامى وميزه من مزايا الحضارة الإسلامية، فى كل العصور، فلا تفريط ولا إفراط، ولا غلو بغير حق، ولا اندفاع فى تهور 0

8- أنها حضارة إنسانية المنزع عالمية فى آفاقها وامتداداتها لا ترتبط بإقليم جغرافى، ولا بجنس بشرى ولا بمرحلة تاريخية، ولكنها تحتوى جميع الشعوب والأمم، وتصل آثارها إلى مختلف البقاع، فهى حضارة يستظل بظلالها البشر جميعا، وتصل آثارها إلى كل من يصل إليه عطاؤها، فالحضارة الإسلامية قامت على أساس أن الإنسان أهم مخلوقات الله، وأن جميع الأنشطة البشرية لابد وأن تؤدى إلى سعادته ورفاهيته، وأن كل عمل يقصد به تحقيق هذه الغاية0

9- الحضارة الإسلامية حضارة دائمة، حيث دوامها واستمرارها من مبادئ الدين الحنيف، لأنها نابعة منها، ولصيقة بها[24] 0

مصادر ومراجع الفصل الأول

1. **الحضارة** : بكسر الحاء وفتحها، مشتقة من الفعل حضر، وحضر لغة ضد غاب، ومنه الحضر والحاضرة، والحضرة والحضارة بمعنى المدن والقرى والريف، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التى يكون لها بها قرار أى سكن وإقامة، وعليه كانت الحضارة لغة تعنى الإقامة فى الحضر، خلافا للبادية ، **ابن منظور** : لسان العرب مادة حضر 0
2. **حسن مؤنس** : الحضارة دراسة فى أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة (237)، الكويت، 1998، ص15 0
3. **المعجم الوسيط** : مادة حضر ، **أحمد حمدى محمود** : الحضارة، ص6 0
4. **ول ديورانت** : قصة الحضارة، جـ1 ص3 0
5. **محى الدين صابر** : التغير الحضارى وتنمية المجتمع، ص41 0
6. **سعيد عاشور** : مذكرات فى مادة الحضارة العربية الإسلامية، ص1 0
7. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، ص 11 0
8. **سورة يوسف : آية 20 0**
9. **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، ص 23 0
10. **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية، ص 23 0
11. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، ص 11 0
12. **محمد ضيف الله** : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص23 0
13. **إبراهيم العدوى** : الوطن العربى وحضارته فى العصر الإسلامى، ص190 ، **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة العربية الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1999، ص16 **0**
14. **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص 50-53 0
15. **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة ص40 0
16. **إبراهيم العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته، ص190 0

17. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص13، 14، **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص28
18. **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية ،ص15، **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة، ص18
19. إبراهيم سلمان الكروى : المرجع فى الحضارة، ص17 0
20. **جمال الدين الفندى** : تراث المسلمين فى ميدان العلوم، ص246 0
21. **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع : ص 18 0
22. **جمال الدين الفندى** : تراث المسلمين فى ميدان العلوم، ص 246 0
23. **إبراهيم العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته، ص 196 0
24. علي حسني الخربوطلي : العرب والحضارة، ص 42

الفصل الثانى
نظم الحكم والإدارة والنظم القضائية

- الخلافة
- مجلس الشورى
- الوزارة
- ولاية الأقاليم
- الحجابة
- ولاية العهد
- الكتابة
- القضاء
- الحسبة
- الشرطة

الفصل الثانى

النظم السياسية

النظام السياسى هو مجموعة من القواعد والأجهزة المتناسقة، والمترابطة فيما بينها التى تبين نظام الحكم، ووسائل ممارسة السلطة، وأهدافها وطبيعتها، ومركز الفرد منها وضماناته قبلها، كما تحدد عناصر القوى المختلفة التى تسيطر على الجماعة وكيفية تعاملها مع بعضها، والدور الذى تقوم به كل منها[1] 0

- **الخلافة**

ثلاثة وعشرون عاما مجيدة قاد الرسول ﷺ الأمة الإسلامية هذه السنوات غيرت مجرى التاريخ، وكان لها تأثيرها المباشر بمنطقة شبه الجزيرة العربية حيث انصهر شعبها فى قالب واحد ومكنته هذه الوحدة، وفى ظلها من أن يطل على العالم الخارجى بهدف نشر تعاليم الإسلام بين كافة الناس 0

وفى نهاية هذه الأعوام تعرض المجتمع العربى الإسلامى لهزة عنيفة بوفاة الرسول ﷺ القائد الذى كان موفقا فى كل خطواته ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[2]، كادت هذه الهزة أن تنتهى بنكسة خطيرة، ويتضح أثرها فى موقف الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذى رفع سيفه مهددا كل من يجرؤ على ترديد قول النعى[3] 0

ولكن رد الناس إلى صوابهم قول أبو بكر الصديق ﷺ : من كان يعبد محمد فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، وتلى قوله تعالى : ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[4] 0

وكانت المشكلة هى مشكلة القيادة ومحاولة ملء الفراغ الذى نتج عن وفاة الرسول ﷺ فى الإشراف على شئون الأمة[5] وشئون الأمة فى هذا الحال دين وشعب ودولة 0

- بالنسبة للدين فقد اكتملت أركانه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[6] 0
- والشعب فقد نعم بالعدالة والوحدة والتماسك منذ ارتضى الإسلام دينا 0

- أما الدولة فقد شملت شبة الجزيرة العربية وأطلت على قوة خارجية معادية ولذا فلابد لهذه الدولة من يحتفظ لها بسيادتها ولهذا تأكدت الحاجة إلى الخلافة وبدأ التفكير فى اختيار الخليفة 0

لم يبلغ الرسول ﷺ نصا فى القرآن الكريم يحدد قاعدة اختيار من يخلفه، ولم يرشد الرسول ﷺ فى حديث من أحاديثه الكثيرة من يتولى القيادة من بعده، بالعين أو الوصف، ولذا رجع المسلمون إلى العرف العربى القديم 0

والخلافة أو الإمامة من أهم أنظمة الدولة الإسلامية التى صاغها المسلمون فى فترة دقيقة من فترات حياتهم، كما أنها تمثل العمود الفقرى للتفكير السياسى الإسلامى، وتعد فى الواقع أعظم ما توصل إليه المسلمون فيما يتعلق بسياسة الأمة وحكم المسلمين على الرغم من الخلاف الذى نشب بينهم حول الخلافة 0

وبدأت الخطوات الأولى فى اختيار خليفة رسول الله ﷺ، ونشأ فى سقيفة بنى ساعده – إحدى العشائر بالمدينة – حيث كان اجتماع المسلمين فى مؤتمرهم العام الأول بداية عملية لظهور الفكر السياسى الإسلامى ولقد عقد هذا المؤتمر رجال من الأنصار الذين رأوا ضرورة ملحة فى مناقشة قضية الحكم والسياسة للوصول فيها إلى حل حاسم وسريع واجتماع السقيفة يعد من أهم اللقاءات السياسية التى جمعت المهاجرين والأنصار وخاصة شيوخهم المجربين، ومن بينهم أبو بكر الصديق والفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، واللذان استطاعا أن يمسكا بزمام الأمر وأن يحسما الأمر بالتوصل سلميا إلى إقناع الأمة ممثلة فى عدد لها من المهاجرين والأنصار باختيار الصديق ﷺ خليفة لرسول الله ﷺ فى حكم المسلمين[7] 0

هذا ولما كان الأنصار قد رشحوا للخلافة سعد بن عبادة سيد الخزرج، فأسرع إليهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة ابن الجراح وحصل بين الفريقين حوار وجدل، وكان مما احتج به المهاجرون الآتي :-

1- أن النبى ﷺ أوصى بكم خيرا، ولو كانت الإمامة فيكم لم تكن الوصاة بكم

2- وأنه ﷺ قال : " الأئمة من قريش " 0

3- وأنه ﷺ قد رضى أبا بكر لديننا أفلا نرضاه لدنيانا، فإن النبىﷺ لما اشتد عليه المرض قال : " مروا أبا بكر فليصل بالناس "[8] 0

وقيل فى استخلاف أبى بكرﷺ أنه تم بطريقة الانتخاب الاستشارية وأن استخلاف عمرﷺ كان بطريقة العهد إليه من أبى بكر، وكان استخلاف عثمانﷺ تم بطريقة الاختيار والشورى، وقيل فى استخلاف على بن أبى طالبﷺ أنه انتخاب عارضه فريق كبير من الأمة، وهو اختيار لم يتم، كما نرى وفق منهج واحد أو حسب طريقة واحدة منتظمة[9] 0

جاء اختيار الصديق ﷺ تأكيدا صريحا على أن الحكم الإسلامى ليس حكما وراثيا، وإنما الفيصل فى هذا هو العلم بأمور الدين والقدرة على تحمل أعباء السياسة وحكم الرعية بما يضمن إقامة حدود الله تحقيقا للعدالة التى جاء بها القرآن الكريم[10] 0

والخلافة نظام إسلامى لم يوجد عند غير المسلمين، فالخليفة ينظر فى مصالح الناس الدنيوية والأخروية طبقا لأحوال الشريعة الإسلامية[11] 0

ولذلك نجد أن الشروط التى رأى الفقهاء ضرورة توافرها فيمن يلى هذا المنصب هى :

1- الحرية 0
2- الإسلام 0
3- الرجولة 0
4- العدالة 0
5- سلامة الحواس 0
6- العلم، المؤدى إلى الجهاد 0
7- الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة – الدولة – وجهاد العدو 0
8- النسب القرشى 0
9- سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة 0
10- الرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح [12] 0

ومن مهام الخلفاء الآتى :-

- الاهتمام بمصالح الإسلام والمسلمين 0
- عمارة الثغور 0
- النظر فى أمور الرعية 0

- رفع المظالم وقمع الظالمين، وإعانة الملهوف 0
- اصطناع المعروف – جبر الكسير، إطلاق الأسير 0
- يستمر عن ساق اجتهاده فى حماية بيضة – دولة – الإسلام 0
- إقامة حدود الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ[13] 0

ومن مهام الخليفة النظر فى الإيرادات والمصروفات، والإشراف على جميع شئون البلاد، بمعاونة رجال الدولة، وأيضا الإشراف على دور السكة [14] وكذلك دور الطراز، ودور الصناعة، وغيرها من المؤسسات التى تعمل بمصالح الأمة عامة وكان الخليفة يخرج فى المواكب العامة مثل الاحتفالات الدينية والقومية، وتوديع الجيوش واستقبال السفارات الخاصة للدول الخارجية وغير ذلك

ظلت الخلافة: انتخابية شورية زمن الراشدين ثم انقلبت إلى ملكية مطلقة على يد معاوية، وكانت مبايعة الخليفة زمن الراشدين تتسم بالبساطة، حيث تتم مبايعة أهل الحل والعقد، وهم أهل المدينة فى ذلك الوقت، وكان الانتخاب مصافحة بالأيدى ولذا سميت بالبيعة[15] 0

وجرت العادة فى الدولتين الأموية والعباسية على أنه متى بويع الخليفة انتقل إلى دار الخلافة فى موكب حافل ثم يرد عليه وفد المهنئين من البلاد[16] 0

وخلال الدولة العباسية حدث أنه إذا تمت البيعة اختار الخليفة لنفسه لقبا من الألقاب التى اختلفت عن الألقاب السابقة، مثل لقب الرشيد، الأمين، المأمون، المعتصم بالله، الواثق، المستعين، المستعصم وهكذا، وكانت الألقاب السابقة تحوى فى معناها التواضع مثل "عبد الله ووليه" 0

وكان الخليفة فى بادئ الأمر يشرف على جميع شئون الدولة بنفسه وإن استشار بعض المقربين إليه، ولكن مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية لم يستطع الخلفاء الإشراف المباشر بأنفسهم على شئون البلاد، فكانوا يختارون من يساعدهم فى تصريف شئون البلاد وخاصة الإدارية منها، وذلك من كبار موظفيهم الذين أطلق عليهم لفظ الكاتب[17]0

شارات الخلافة ورسومها :

جرت الخلافة فى بادئ الأمر على البساطة والتواضع، وترك مظاهر الترف والأبهة واستمر هذا الوضع خلال عصر الخلفاء الراشدين 0

وعندما قامت الدولة الأموية ونقل مقر العاصمة الإسلامية من المدينة إلى دمشق ببلاد الشام، بدأت مظاهر الأبهة تظهر وذلك بتأثر من حضارة الروم، وأول من أظهر ذلك معاوية الذى جعل ذلك لإرهاب العدو وإشعاره بتفوق الحضارة الإسلامية ومسايرتها للحضارات المعاصرة 0

وأهم تلك الرسوم الآتي :

1- الصلاة فى المقصورة الخاصة، ذكر اسمه فى الخطبة، والدعاء له على المنابر

2- الجلوس على سرير الخلافة فى المواكب، وبدأ ذلك خلال عهد معاوية حيث استأذن الناس فيه وقال لهم أنى قد بدنت فأذنوا له فاتخذه واتبعه الخلفاء المسلمين فيه 0

3- ضرب السكة من الدنانير والدراهم ونقش اسم الخليفة عليها [18] 0

4- ومن شارات الخلافة " الخاتم " وقد استخدم من عهد الرسولﷺ حيث كان له خاتم من فضه نقش عليه (محمد رسول الله) فى ثلاثة أسطر واستعمله أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم، وسقط من يد عثمان فى بئر أريس وصنع آخر مثله [19]0

5- نقش اسم الخليفة على الطراز، من ملابس وكسوة وغيرها [20] 0

علامات وشارات الخلافة :

البردة – الخاتم – القضيب – الخطبة – السكة – الطراز 0

1- **البردة :** هى بردة الرسولﷺ التى كان يرتديها إلى أن أعطاها للشاعر كعب ابن زهير بن أبى سلمى، الذى كان قد أعلن توبته وندمه على هجاء الرسولﷺ ثم مدح الرسول بقصيدته المشهورة، وتداول أهل كعب البردة حتى اشتراها منهم معاوية بن أبى سفيان بأربعين ألف درهم وتوارثها الأمويون والعباسيون وتبركوا بارتدائها فى المواكب والمناسبات إظهارا لمكانتهم من أسرة النبىﷺ[21] 0

2- **الخاتم :** صنع الرسولﷺ خاتما حينما بعث خطابه المشهور إلى كسرى فارس، وكان الأكاسرة لا يقبلون كتبا بدون أختام، فصنع الرسولﷺ خاتمه من فضة ونقش عليه

"**محمد رسول الله**" فى ثلاثة أسطر وانتقل الخاتم إلى أبى بكر ويذكر الطبري أن نقش خاتم أبي بكر ***نعم القادر الله*** ثم إلى عمر ثم إلى عثمان، ولكن الخاتم سقط من يد عثمان فى بئر أريس، فاصطنع عثمان خاتما مثله، وحرص كل خليفة على اصطناع خاتم، يختمون به كتبهم بالطين أو المداد أو الشمع، وكان معاوية أول من انشأ ديوان الخاتم[22] 0

3- **القضيب** : وهو ثالث شارات الخلافة، فإذا تولى الخليفة جاءوا إليه بالقضيب والبردة والخاتم، وكان القضيب عبارة عن عود كان النبىﷺ يأخذه بيده، واتخذه الخلفاء الأمويون ومن بعدهم الخلفاء العباسيون الذين كانوا يظهرون به فى المناسبات[23] 0

4- **الخطبة** : هى الدعاء للخلفاء على المنابر فى الصلاة، وأصلها أن الخلفاء كانوا يتولون إمامة الصلاة بأنفسهم فكانوا يختمون فروض الصلاة بالدعاء للرسولﷺ، والرضى عن الصحابة، فلما فتحوا البلاد وبعثوا إليها العمال صار الولاة يتولون إمامه الصلاة فى ولاياتهم، فكانوا إذا صلوا وختموا الصلاة يقومون بالدعاء للخلفاء[24] 0

5- **السكة** : ومن شارات الخلافة نقش اسم الخليفة على السكة، أى العملة، بطابع من حديد[25] 0

6- **الطراز** : حرص الخلفاء الأمويون ثم العباسيون على رسم أسمائهم أو علامات مميزة على أثوابهم وعلى ثياب كبار الموظفين فى الدولة والجنود، وعرفت هذه العلامات خلال العصرين الأيوبى والمملوكى باسم الرنوك[26] 0

مجلس الشورى:

الشورى فى حياة الناس حاجة معلومة وسنة متبعة، ثم جاء الإسلام فأعلى مكانتها وأكد أهميتها، وحض القرآن الكريم عليها، قال تعالى:﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ [27]، وقال تعالى : ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾[28] كما حض الرسولﷺ على الشورى والأخذ بها وكان كثير الشورى لأصحابه 0

وسار الخلفاء الراشدين من بعد الرسولﷺ فى هذا الاتجاه، فقد استشار أبو بكرﷺ أصحاب الرسولﷺ فى أمور عدة لم يتضح فيها حكم من الكتاب أو السنة، ومثال لذلك فى ميراث الجدة حينما جاءته تطلب ميراثها فقال : لا أجد لك فى كتاب الله شيئا، وما

علمت أن الرسولﷺ ذكر لك شيئا، ثم سأل أهل الرأى والفقه من المهاجرين والأنصار، وكان ممن ذكر من أهل شوراه عمر بن الخطابﷺ وعبد الرحمن بن عوف ﷺ وعلى بن أبى طالبﷺ وعثمان بن عفانﷺ واسيد بن حضير وطلحة بن عبيد الله ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وسعيد بن الزبير بن العوام، والمغيره بن شعبة وغيرهم[29]، وقام المغيره بن شعبة وقال : سمعت رسول اللهﷺ يعطيها السدس، فقال هل معك أحد، فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها[30] 0

واستشار الصحابة حينما عزم على أن يعهد بالخلافة إلى عمرﷺ، أما إذا كان هناك حكم من الكتاب أو السنة فلم يكن أبو بكر ﷺ يلتفت إلى مشورة أحد من الناس على نحو ما جرى منه فى موقفه من مانعى الزكاة لما وجدهم يفرقون بين الصلاة والزكاة[31] 0

وفى خلافة عمر بن الخطابﷺ اتسعت رقعة الدولة، وكثرت المعضلات وزادت مصالح الناس تعقيدا، فكثرت لذلك الشورى فى عهد عمرﷺ فقد استشار فى حد شارب الخمر وجعله ثمانين جلده، بعد أن رأى على بن أبى طالبﷺ ذلك ووافقه الصحابة على رأيه[32] 0

ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية بالفتوحات، استشار عمرﷺ فيما يفعله فى الأراضى التى أفاء الله على المسلمين من أرض العراق والشام فى اتخاذ الديوان وفرض العطاء للجند والناس وكان من رأى بعض الصحابة أن تقسم هذه الأرض بين الغانمين بعد رفع الخمس وكان رأى عمرﷺ وبعض الصحابة أن تبقى بيد أهلها وأن يوضع عليها الخراج لينفق منه على مصالح المسلمين عامة فى كل جيل وزمان، وبعد نقاش وجدل ومشاورات وافق المسلمون على رأى عمرﷺ 0

ولم يخرج عثمان بن عفانﷺ فى الشورى عن طريق سلفيه، فقد استشار فى حدث من أهم الأحداث فى الإسلام، وهو جمع القرآن الكريم فقد قدر خطر ما سيقدم عليه فلم يشأ أن ينفرد برأى فجمع المهاجرين والأنصار وشاورهم فى الأمر، واستقر الرأى على كتابة المصحف وكان لمروان بن الحكم دور كبير فى خلافته فى تصريف الأمور[33] 0

وكان على بن أبى طالبﷺ يستشير أصحابه ويستمع أحيانا إلى رأى أنصاره فى تدبير الأمور ومكايدة الخارجين عليه، فقد أخذ برأى الأغلبية فى التحكيم 0

وعندما آلت الخلافة إلى بنى أميه لم يكن معاوية بن أبى سفيان ممن يجهل فوائد الشورى فيهمل الأخذ بها، وما كان يصدر المهمات إلا عن شورة فقد كان يشاور ذوى الرأى من الولاة ووجوه الناس وأشراف القوم وأهل العلم فى الكثير من الأمور، وكان ذلك سنة من جاء بعده من الخلفاء من بنى أميه، فكان الأحنف بن قيس زعيم تميم مستشارا لمعاوية، وأيضا كان يستشير المغيره بن شعبة وعمرو بن العاص والوفود التى كانت تأتيه[34] 0

وكان روح بن زنباع وهو فقيه وأحد الذين تولوا شئون فلسطين مستشارا لعبد الملك بن مروان[35] 0

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه اتخذ فى أثناء ولايته على المدينة مجلسا مؤلفا من عشرة من فقهاء المدينة ليعينوه على الحق، وجعل ألا يقطع أمرا إلا برأيهم أو برأى من حضر منهم، وهم عروة بن الزبير، عبيد الله بن عتبة، أبو بكر بن عبد الرحمن، أبو بكر بن سليمان بن أبى خثيمة، سليمان بن يسار، القاسم بن محمد، سالم بن عبد الله بن عمر، عبد الله بن عبد الله بن عمرو، عبد الله ابن عبد الله بن عامر بن ربيعة، خارجه بن زيد، وكان الخلفاء من بنى أمية يرجعون فى شورى استخلاف السلطان ورد الطامعين به إلى الجماعة الأموية غالبا

ومن هنا يمكن القول بوجود نوعين من الشورى فى العصر الأموى أولهما شورى تتعلق بالأمور والمصالح العامة، وكان الخلفاء من بنى أميه يرجعون فيها إلى ذوى الرأى من أشراف القوم والولاة وغيرهم وثانيهما شورى تتعلق بالسلطان خاصة وكان الخلفاء من بنى أمية يفزعون فيها إلى آل بيتهم ويقضون فيها بينهم[36]0

ولما آلت الخلافة إلى العباسيين واستقرت فيهم ما يقرب من ثمانية قرون أخذت بطانة الخليفة تظهر بوضوح من حيث العناصر التى تتآلف منها والدور الذى تمارسه فى أمور الدولة، فمن جهة كان بنو هاشم، عباسيين وعلويين وموالى العباسيين وشيعتهم والوزراء والقادة العسكريون والكتاب والقضاة والفقهاء يشكلون بطانة الخليفة، وصار هؤلاء فى الغالب أهل الحل والعقد، ومن جهة أخرى كانت هذه البطانة الجهة التى يرجع إليها الخليفة فى تصريف أمور الدولة، وسياسة الرعية وحفظ الأمن والنظام وضبط الأمور،

ومراقبة الأموال فى الإيرادات والمصروفات واستخلاف القائمين بأمر الخلافة، ومثال لذلك، لما أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يبايع لابنه المهدى كلم الجند فى ذلك ولما تتابعت الأحداث عليه وثار محمد النفس الذكية العلوى عليه أحضر القواد وأهل بيته واستشارهم فى ذلك[37]، ولما أراد موسى الهادى أن يخلع هارون الرشيد ويبايع لابنه جعفر تابعة على ذلك القواد، ودسوا إلى الشيعة – الشيعة العباسية – فنكلوا فى أمره وتنقصوه فى مجلس (لجماعة) وكما بايع المتوكل لأولاده كتب كتابا وأشهد عليه أهل بيته وشيعته وقواده وقضاته وفقهائه[37] واجتمع فى البيعة لجعفر المتوكل القادة والقضاة إضافة إلى الوزير وعندما خلع المستعين وبويع للمعتز شهد على البيعة بنو هاشم والقضاة والفقهاء والقواد، ولما ثقل المكتفى فى علته فكر العباس بن الحسن وهو الوزير فيمن يقلده الخلافة، وكان يركب إلى دار السلطان ويسايره واحد من الأربعة الذين يتولون الدوارية وهم محمد بن داود بن الجراح ومحمد بن عبدون وأبو الحسن بن الفرات وعلى بن عيسى[38] 0

ثم ما لبث أن رجحت كفة العسكريين من بين بطانة الخليفة، واندفعت هذه الفئة بدافع المنافسة مع العناصر الأخرى فى بطانة الخليفة من جهة وبدافع الخوف من تحركات الخليفة ومحاولات فى المحافظة على توازن بينه وبين هذه البطانة يكون فى صالحه، واندفعت تعمل على تشديد قبضتها على أمور الدولة والدفاع عن مصالحها وامتيازاتها، وصارت منذ القرن الثالث الهجري تستبد غالبا بمؤسسات الدولة ابتداء بالخليفة الذى صار خلعه وتعيينه فى كثير من المرات مرهونا بإرادتهم، واستبدت فترات بالأمور فى الدولة، وكانت سلطة الخليفة فى هذه الظروف لا تتعدى بغداد، فعلى سبيل المثال أن الخليفة الراضى بالله قال : "كأنى بالناس يقولون أرضى هذا الخليفة بأن يدبر أمره عبد تركى، حتى يتحكم فى المال وينفرد بالتدبير، ولا يدرون أن هذا الأمر أفسد قبلى أو أدخلنى فيه قوم بغير شهوتى"[39] 0

ولما توفى الخليفة الراضى كان أمير الأمراء بجكم فى واسط فأرسل بجكم كاتبه ليشرف على اختيار الخليفة الجديد، فعقد مجلسا برئاسة الوزير حضره كل وزير وكاتب وحضره الأشراف العلويون والعباسيون والقضاة والوجوه ليكون الانتخاب فى شكله الكامل وجعل كل اثنين منهم يصونان معا ولكنهم كانوا يعرفون مرشح بجكم فانتخبوه وهو

المنفى[40] وفوض الخليفة الطائع لله أمور الخلافة إلى عضد الدولة البويهى، وصار البويهيون يشاركون الخليفة كل شارات الخلافة ومميزاتها، ولم يختلف الحال أيام السلاجقه عما كانت عليه الأمور فى عصر البويهيين، رغم حسن معاملة السلاجقه للخلفاء ورغم محاولات بعض الخلفاء استعادة ما كان لهم من نفوذ[41] 0

وخلال العصر الفاطمى يمكن القول أن الخلفاء الفاطميين أصابهم مثلما أصاب العباسيين، ووقعوا تحت سيطرة بطانتهم وبخاصة العسكريين منهم حيث وجهوا مؤسسات الدولة توجيها لم يكن للخليفة الفاطمى فيها أحيانا سوى الاسم[42] 0

وخلاصة القول أن حكام المسلمين مارسوا الشورى فى تصريف أمور الدولة على اختلاف بينهم فى الأغراض، ومع أن الحكام لم يسموا أشخاصا بعينهم يجعلونهم فى الشورى خاصة، ولم يحصروا أنفسهم بفئة معينة يجعلونهم دون غيرهم موضع شوراهم، مما لم يؤد إلى تطور مجلس الشورى فى الدولة الإسلامية إلى مجلس نواب دول القرن الحادى والعشرين، ومع ذلك فإن مجلس الشورى الإسلامى إذا استثنينا جانب التشريع يكون قد مارس المهمة التى تمارسها المجالس النيابية المعاصرة

الوزارة:

تمثل الوزارة فى الحضارة الإسلامية قسما أساسيا من أقسام السلطة التنفيذية فى الدولة، وقد انتقلت نظم الفرس إلى الدولة الإسلامية خلال العصر العباسى فاتخذوا منها نظاما يساعدهم على تصريف جميع شئون الدولة حتى السياسية منها وهو نظام الوزارة[43] 0

وقد ورد لفظ الوزير فى القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾[44]، وكذلك في قوله تعالى﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً**﴾ [45] وروى عن النبى ﷺ أحاديث يذكر فيها لفظ الوزير فعن الترمذى أنه كان للنبى ﷺ أربعة وزراء، اثنان من أهل السماء واثنان من أهل الأرض هما أبو بكر وعمر[46] 0

وذكر الماوردى أنه روى عن النبىﷺ أنه قال : "ما من رجل من المسلمين أعظم أجرا من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى " [47] وروى عن عائشة ﷺ أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : "إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق، إن نسى

ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء، إن نسى لم يذكره، وإن ذكر لن يعنه"[48] 0

وقد ورد أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال للأنصار فى اجتماع السقيفة " نحن الأمراء وأنتم الوزراء "[49] 0

أختلف فى أصل كلمة الوزارة فالبعض ذكر أن أصل الكلمة فهلوى مأخوذ من فيشيرا ومعناه الأمر والتقرير، وقيل أن أصلها عربى وأختلف فى اشتقاقها حيث ذكرت على أنها مشتقة من ثلاثة أوجه هى :

1- أنها مأخوذة من الوزر : بمعنى الحمل الثقيل، لأنه يحمل عن الملك أثقاله

2- أو من الوزر: وهو الملجأ لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته لأن عليه مدرار السياسة وإليه تفوض الأمور، وهى من قوله تعالى ﴿**كَلَّا لا وَزَرَ**﴾[50] أى لا ملجأ0

3- أو من الأزر : وهو الظهر، لأن الملك يتقوى بوزيره كقوة الجسم بالظهر[51]

ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين فى بداية الأمر، ولم يتحدد اختصاصه إلا بعد فترة من قيام الدولة العباسية، حيث أن بساطة الإسلام وبساطة الدولة فى أول عهدها جعلت الحاجة إلى هذه الوظيفة معدومة[52] فالرسولﷺ كان يستعين ببعض من يحسن الكتابة، ويخصص لكل فريق عملا يقوم به، فعلى سبيل المثال كان على بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما يكتبان الوحى، وكان خالد بن سعيد بن العاص، ومعاوية بن أبى سفيان يكتبان بين يديه حوائجه وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن النميرى يكتبان ما بين الناس، وعبدالله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء، وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحى[53] 0

وبعد وفاة الرسول ﷺ كان أبو بكر يستعين بعمر بن الخطاب وبالصحابة حيث كان عمر يلى القضاء لأبى بكر، وأبو عبيده على بيت المال، ومن كتابه على بن أبى طالب، وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان[54] وكان عمر بن الخطاب ﷺ يستعين بعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان وكان له خاصة من كبار أولى الرأى منهم العباس بن عبد

المطلب وابنه عبد الله، وكان لا يكاد يفارقه فى سفر وحضر، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم[55] 0

واعتمد عثمان بن عفان ﷺ فى أول خلافته على مشورة كبار الصحابة ثم مال إلى الاعتماد على أهله وعشيرته من بنى أمية، واختص مروان بن الحكم 0

وكذلك على بن أبى طالب كرم الله وجه فقد استعان فى أموره بالصحابة وكان الكتاب فى عهد الأمويين بمثابة الوزراء، وقد كان عبد الحميد ابن يحى الكاتب كاتبا ووزير آل مروان بن محمد[56] 0

ولم يسم أى من معاونى الخليفة خلال عصر الراشدين أو العصر الأموى باسم الوزراء، ولم يضف اسم وزير إلى أحد من معاونى الخليفة إضافة دائمة ولازمة 0

أما فى العصر العباسى ظهرت الوزارة بالشكل المعروف، كما كتب عنها فقهاء المسلمين، وحدثوا عن أقسامها واختصاصاتها وأنواعها، وبذلك يكون المنصب الذى كان معروفا لدى الأمويين بالكاتب أو الكتابة قد تطور إلى منصب الوزير والوزارة فى خلافة بنى العباس 0

وفى ذلك يذكر بن خلدون : "فلما جاءت دولة بنى العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه عظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة من إنفاذ العقد والحل، وتعينت مرتبته فى الدولة، فصار اسم الوزير جامعا لخطتى السيف والقلم وسائر معانى الوزارة والمعاونة"[57] 0

وكان أول وزير فى دولة بنى العباس هو أبو سلمة الخلال، وكان فصيح اللسان عالما بالأخبار والأشعار وتفسير القرآن، حاضر الحجة كثير الخير، اختير فى الكوفة سنة 132 هـ/ م، حيث سلمت إليه الرئاسة وسمى وزير آل محمد، وصار يدبر الأمور ويفرق المال، وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ منه وترد عليه [58] ولما ظهر ميله للعلويين انتهى الأمر بأن قتله أبو العباس السفاح 0

ويبدو أن مكانة الوزير فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الوزارة فى عصر بنى العباس، لم تختلف كثيرا عن مكانة الكاتب أواخر عهد بن أمية وذلك نظرا لهيبة الخلفاء مثل أبو جعفر المنصور الذى استبد بالأمور[59] وإذا بلغنا عهد هارون الرشيد وجدنا الوزير

احتل مكانة راسخة فى الحل والعقد، فحينما استوزر هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكى، وقال له : " يا أبة أنت أجلستنى هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك، وقد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى إليك، فأحكم بما ترى واستعمل من شئت واعزل من رأيت 000 فأنى غير ناظر معك فى شئ " وجعل إليه الدواوين كلها مع الوزارة سوى ديوان الخاتم، وهكذا فوض هارون الرشيد أموره كلها إلى يحيى بن خالد البرمكى، الذى استعان فى القيام بوزارته بولديه الفضل وجعفر[60]، ودعى جعفر بن يحي بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة 0000

وعرف الفاطميون أيضا الوزارة والوزراء، ويذكر القلقشندى : الوزارة هى أرفع وظائفهم وأعلاها رتبة، وأعلم أن الوزارة فى الدولة الفاطمية كانت تارة فى أرباب السيوف وتارة فى أرباب الأقلام، وفى كلا الجانبين كانت الوزارة تارة تعلو فتكون وزارة تفويض، وتارة تنحط فتكون وزارة تنفيذ أو تكون غير ذلك فتكون ما عرف باسم الوساطة[61] 0

أما الأمويون فى الأندلس فقد أنفوا أول الأمر اسم الوزير وقسموا المهمات التى يقوم بها عادة أصنافا، وأفردوا لكل صنف وزيرا، فوزير للمال، ووزير للترسيل، ووزير للنظر فى حوائج المتظلمين وهكذا، وجعلوا لهم بيتا يجلسون فيه يتداولون المهمات المفوضة إليهم، وكان يتردد بينهم وبين السلطان الأموى واحد منهم ارتفع مجلسه عن مجالسهم بما سره السلطان فى كل وقت أخصوه باسم الحاجب[62] 0

وقد راعى الخلفاء عند اختيار وزرائهم بعض الخصال التى تتوافر فيهم، فيجب أن يختاره من البرية وينتخبه من الرعية ويختبر عقله ويعتبر دينه ونقله فإن وجد له طمعا فى مال الرعية وميلا إلى إصلاح حاله بفساد أحوالهم ويسئ التدبير فلا يركن إليه ولا يعتمد عليه 0

ويجب أن يكون الوزير عنده تيقظ ودين وورع وعفه ورزانة وحلم ورأى أصيل وأن الرأى لا يصح إلا بثلاثة أشياء دراية بالأمور وبصيرة بالسياسة وفكرة فى العواقب، ويستحب أن يكون الوزير ناصحا مشفقا ومؤمنا مؤتمنا ومن الله خائفا فإذا كملت له هذه الخصال تقبل مشورته ويستمع قوله ولا يخالف أمره[63] 0

ويجب أن يكون الوزير مقدما فى صناعته، حاذقا بالحساب، خبير بآداب الرياسة وقواعد الملك وآداب السلاطين، عارفا بأحوال الرعية والأعمال ضباطا للأموال، حسن الخط، وأن يتميز بالذكاء والفطنة والتيقظ والحزم والحلم، والوقار، والأمانة، والصدق والشهامة والعفة، وأن يكون عزيز النفس كبير الهمة[64] 0

وهذه الخصال المحمودة لم تجتمع لأحد من الوزراء وكان التفاوت فيها واضحا بين وزير ووزير، وهناك من وصف بأنه لا علم عنده ولا معرفة، وكان ردئ السيرة جهولا بالأمور، إضافة إلى من اشترى منصب الوزارة بالمال مثل ابن مقله وزير الخليفة العباسى الراضى بالله[65] 0

أنواع الوزارة :

تنقسم الوزارة إلى نوعين :

الأول : وزارة التفويض وهى أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده، ولا يستشير الوزير فيها الخليفة، أى أن الخليفة لا يملك ولا يحكم[66] 0

والثانى : وزارة تنفيذ وهى أن الوزير ينفذ أمر الخليفة الذى يشرف على جميع تصرفاته، ولا ينفذ الوزير شيئا إلا بعد مشورة الخليفة أو السلطان[67] 0

وبالنسة لوزير التفويض فإن كل ما يصح للخليفة يصح له إلا ثلاثة أشياء هى : 1- ولاية العهد ذلك أن الامام يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير 0

2- أن للخليفة أن يستعفى الأمة من الخلافة وليس ذلك للوزير 0

3- أن الخليفة يعزل من قلده الوزير وليس ذلك للوزير [68] 0

أما الشروط التى يجب أن تتوافر فى وزير التفويض فهى :

- الحرية ☐ الإسلام ☐ العلم بالأحكام الشرعية
- المعرفة بأمرى الحرب والخراج[69] 0

وبالنسبة لوزير التنفيذ فقد وجب أن تتوافر فيه عدة شروط هى :

☐ الأمانة ☐ صدق اللهجة ☐ قلة الطمع

☐ أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة

- أن يكون ذكورا فيما يؤدية إلى الخليفة لأنه شاهد له وعليه 0
- الذكاء والفطنة حتى لا تلتبس عليه الأمور
- الحنكة والتجربة 0
- ألا يكون من أهل الأهواء فيخرجه الهوى من الحق إلى الباطل 0

لا يشترط الإسلام فى وزير التنفيذ لأنه لا يمتد سلطته إلى ولاية أمر المسلمين وتولى وزارة التنفيذ ذميون[70] 0

الفرق بين وزارة التفويض والتنفيذ :

يكون الفرق بين هاتين الوزارتين فى الآتى :

1- أنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر فى المظالم وليس ذلك لوزير التنفيذ 0

2- أنه يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة، وليس ذلك لوزير التنفيذ

3- أنه لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحرب وليس ذلك لوزير التنفيذ 0

4- أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف فى أموال بيت المال بقبض ما يستحقه له ويدفع ما يجب منه، وليس ذلك لوزير التنفيذ 0

وكان للوزير لباس رسمى شمل الدرعة وقميصا ومبطنه وخفا واختلف راتبه على مر العصور أو اختلاف الأشخاص 0

أما مهام الوزير :

فقد اختلفت الوظائف التى يقوم بها من عهد لأخر، ومن خليفة لخليفة، وبين دولة ودولة، ومن الوظائف التى كان الوزير يقوم بها سواء كان وزير تنفيذ أم وزير تفويض – الإشراف على الشئون الإدارية، فكان العمل اليومى له شاقا مجهدا، حيث كان من مهامه أن يغدوا إليه الكتاب فيوافقهم على الأعمال ويسلم إلى كل منهم ما يتعلق بديوانه أو يوجهه بما يريد وصايته به، ثم يروحون إليه بما يعطونه من أعمالهم فيوافقهم عليه، وإذا خف العمل، نهض من مجلسه وانصرف الجماعة بعد قيامه، ويذهب الوزير إلى دار الخلافة فى أيام معينة من كل أسبوع للمثول بين يدى الخليفة وإطلاعه على شئون الدولة وتلقى الأوامر منه[71] 0

– ومن مهامه النظر فى ديوان الحسبان لما يحتاجه إليه خطته من قسم الأعطيات فى الجند، فاحتاج إلى النظر فى جمعه وتفريقه 0

– والإشراف على القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة 0

جعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها [72] 0

وهذه الوظائف التى استندت إلى الوزير كانت تتفاوت بين وزير وآخر تبعا لطبيعة شخصية الوزير من جهة وطبيعة شخصية الخليفة من جهة أخرى، وكذلك طبيعة العلاقة بين الخليفة والقوى الآخرى فى المجتمع، وقد سجلت بعض الفترات نفوذا قويا للوزراء بلغ درجة التدخل فى تعيين الخلفاء والاشتراك فى عزلهم[73] 0

ولاة الأقاليم "الأمراء" :

يأتى الخليفة على رأس السلطة التنفيذية فى الدولة الإسلامية ولما كان الخليفة يجمع فى يده كل السلطات فهو يحكم الطبيعة البشرية وظهرت الحاجة إلى الاستعانة بالولاة على البلدان منذ أن انتشر الإسلام خارج المدينة، وصارت رقعة الدولة الإسلامية تضم إلى جانب مدينة الرسول ﷺ مدنا وبلاد أخرى، ومن ثم فوض بعض السلطة التنفيذية إلى ولاته وعماله – أمراء الأقاليم[74] مثال ذلك فقد جعل الرسول ﷺ عتاب بن أسيد واليا على مكة، ومن أهم عمال الرسول ﷺ على الأقاليم :–

عثمان بن أبى وقاص على الطائف، العلا بن الحضرمى على البحرين، زياد بن لبيد الأنصارى على حضر موت، المهاجر بن أبى أمية بن المغيره على صنعاء، وعين غيرهم من الولاة على بلدان أخرى[75] 0

وكان أول راتب فرضه الرسول ﷺ للعمال هو راتب عتاب بن أسيد والى مكة وكان درهما فى كل يوم 0

وفى عهد أبى بكر رضي الله عنه كانت ولايات الجزيرة العربية هى البلاد التى تحت الإدارة الإسلامية نهائيا وقد جعلها عدة وهى :

1- مكة وعليها عتاب بن أسيد 0
2- الطائف وعليها عثمان بن أبى وقاص 0
3- حضرموت وعليها زياد بن لبيد 0
4- صنعاء وعليها المهاجر بن أبى أمية 0
5- البحرين وعليها العلاء بن الحضرمى 0
6- خولان وعليها يعلى بن أميه 0
7- زبيد ورمع وعليها أبا موسى الأشعرى 0
8- الجند وعليها معاذ بن جبل 0
9- نجران وعليها جرير بن عبدالله البجلى 0
10-جرش وعليها عبدالله بن ثور 0

وفى عهد عمر قسم الدولة أقسام ادارية كبيرة ولى على كل قسم منها والى يتولى شئونها والإشراف عليها، وكان يختار الولاة من أماثل القوم وأفضلهم سيرة وكان يتعدهم بالنصح والإرشاد ومن ذلك نصيحته لبعض عماله التى يقول فيها : "انى لم أبعثكم جبابرة ولكن بعثتكم أئمة، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهن، ولا تجمروهن فتنتنوهن ولا تمنعوهم فتظلوهن، وأروا لفحة المسلمين" وأهم الأمصار فى عهد عمر رضي الله عنه وولاتها :-

1- نافع بن عبد الحارث الخزاعى على مكة 0
2- سفيان بن عبدالله الثقفى على الطائف 0
3- يعلى بن منبه على صنعاء 0

4- عبدالله بن أبى ربيعه على الجند 0
5- عثمان بن أبى العاص الثقفى على البحرين 0
6- المغيرة بن شعبة الثقفى على الكوفة 0
7- أبو موسى الأشعرى على البصرة 0
8- معاوية بن أبى سفيان على دمشق 0
9- عمير بن سعد على حمص 0
10-عمرو بن العاص على مصر[76] 0

واتخذ ولاة على غير مكة من البلاد واتبع سياسة تقسيم البلاد إلى ولايات واتخذ الولاة عليها كل من الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين وغيرهم من حكام المسلمين على اختلاف عصورهم[77] 0

وفى عهد أبى بكر كانت الدولة الإسلامية تقتصر على شبة الجزيرة العربية ولم يكن مصير بلاد العراق والشام قد تحدد تماما فكانت الولايات فى عهد أبى بكر هى : البحرين – اليمامة – عمان – خولان – حضر موت – الجند – صنعاء – زبيد – رمع – جرش – نجران – الطائف – دومة الجندل[78] 0

ثم اتسعت الدولة فى عهد عمر، وعهد عثمان، وخلال العصرين الأموى والعباسى والعصور الإسلامية الأخرى ولن ندخل فى تفاصيل اتساع الدولة الإسلامية وذكر ولاياتها، لأن ما يهمنا هنا – هو اختيار الوالى ومهامه فى ولايته وعلاقته بالخلافة 0

أولا : اختيار الولاة :

حينما كان الخليفة أو الامام يختار الوالى، ولم يتركه مطلقا بل قيده بالقيود التى تضمن عدم استبداد ولاة الأقاليم بالسلطة 0

وكان يختار الولاة من أماثل القوم وأفضلهم سمتا وهديا سيرا على سنن النبىﷺ فى اختيار الأصلح للولاية، وكان عمرﷺ يتعدهم بالنصح والإرشاد، ومن ذلك نصيحته لبعض عماله التى يقول فيها : "إنى لم أبعثكم جبابرة ولكن بعثتكم أئمة، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم فتظلموهم وأدروا لفحة المسلمين"[79] 0

الولايـة : هـى أن يقلد أميرا على إقليم أو بلد، وقد يطلق على هذا الأمير لقب وال أو عامل، وقد نشأت الإمارة على البلدان مبكرة فى الإسلام، فكان الرسول ﷺ، ينيب عنه عمالا على القبائل والمدن فى الحجاز واليمن، واستمر هذا النظام واتسع فى عهد الخلفاء الراشدين وما بعده من عصور[80] 0

وإمارة الاستكفاء فهى أن يختار الخليفة الرجل الكفء ليفوض إليه إمارة بلد أو إقليم فيضطلع هذا الأمير بتدبير الجيوش وتقليد القضاة، وجباية الخراج، وحماية الدين وإقامة الشرع وإمامة الصلاة، والإشراف على شئون الحج، ثم حماية هذا الإقليم إن كان من الثغور[81] 0

أما النوع الثالث من الإمارة فهو إمارة الاستيلاء التى تعقد عن اضطرار فهى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبدا بالسياسة والتدبير، والخليفة بإذنه منفذا لأحكام الدين ليخرج من الفساد إلى الصحة ومن الحظر إلى الإباحة[82] 0

الفرق بين إمارة الاستكفاء العامة وإمارة الاستيلاء :

1- أن إمارة الاستيلاء متعينة فى المتولى، وإمارة الاستكفاء مقصورة على اختيار المستكفى 0
2- أن إمارة الاستيلاء مشتملة على البلاد التى غلب عليها المستولى، وإمارة الاستكفاء مقصورة على البلاد التى تضمنها عهد المستكفى 0
3- أن وزارة التفويض تصح فى إمارة الاستيلاء، ولا تصح فى إمارة الاستكفاء لوقوع الفرق بين المستولى ووزيرة فى النظر 0

وهذه القيود تتلخص فيما يلى :

1- حسن اختيار الإمام لولاة الأقاليم 0
2- محاسبة عمال الأقاليم ومراقبة أعمالهم 0
3- فصل السلطة القضائية وحماية استقلالها 0
4- اختيارهم ممن لهم دراية بأمر السياسة والحرب والخراج 0
5- وصايا الرسول لأمرائهم باتباع سنة رسول الله ﷺ[83] 0

وكان اختيار الولاة من الأمور التى يقوم الخليفة بها، ومع ذلك فإن دور أهل الولاية كان واضحا فى اختيار الولاة وسياستهم وتقويمهم، ومثال لذلك : شكا أهل الكوفة عمار بن ياسر إلى الخليفة عمر بن الخطاب وقالوا أنه ليس بأمير ولا يحمل ما هو فيه فعزله عمر، وقال لهم من تريدون بأهل الكوفة، فقالوا أبا موسى الأشعرى، فولاه عليهم وجاءوه بعد سنة وقالوا، لا حاجة لنا فى أبى موسى، فقال لهم أقوى متشدد أحب إليكم أم ضعيف مؤمن ؟ وكان يكتب إلى الولاة بتوقير وجوه الناس الذى جعلوا أنفسهم وسطاء بينهم وبين الناس، وسفراء يرفعون حوائجهم ومطالبهم إلى الولاة، وكان يقول من ظلمه أمير فلا أمرة عليه[84]

وولى هارون الرشيد على بن عيسى بن ماهان على خراسان فلما عاث فيها واستخف برجالها، كتب أهل خراسان، إلى الرشيد يشكون سوء سيرته فعزله الرشيد وولى هرثمة بن أعين[85] 0

وكان على الخليفة أو الإمام مراقبة الوالى وأن يسأل عن سيرته ويفحص عن حالته وسريرته فإن كان عادلا أكرمه ورفعه وإن كان ظالما أهانه وعزله فإنه لا صلاح لرعية واليها فاسد 0

كما روعى ألا تكون الولاية أكبر من الوالى فتقهره، فإن الوالى إذا ولى ولاية هى أكبر منه يضيع فيها ويبقى حائرا كالفارس الذى بيده رمح لا يقدر على نقله والعمل به، وقيل سئل بعض خلفاء بنى أميه "ما كان سبب زوال ملككم، فقال استعنا بصغار العمال على أكابر الأعمال فآل أمرنا إلى ما آل"[86] 0

والإمارة كانت على ثلاثة أنواع : الإمارة العامة، والإمارة الخاصة وإمارة الاستيلاء 0

- الإمارة العامة وهى تشمل الصلاة وإدارة الإقليم والحرب والخراج 0
- أما الإمارة الخاصة : فهى محددة فى إمارة الجيش، إمارة الحج – إمارة على الصلاة والحرب دون الخراج[87] 0

مهام الوالى فى ولايته :

كان الولاة نوابا عن الخليفة فى ولاياتهم وحكاما، وكان كل منهم يقوم فى ولايته بالمهام التى من شأن الخليفة أن يقوم بها، وله من صلاحية النظر فى أمور الولاية ما للخليفة من صلاحية النظر فى أمور الدولة[88]، وتمثلت مهامه فى الآتى :

1- النظر فى تدبير الجيوش وقيادتها 0

2- النظر فى الأحكام وتقليد الولاة 0

3- جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال 0

4- حماية الدين والذب – الدفاع – عن الحريم 0

5- إقامة الحدود 0

6- تسيير الحجيج 0

7- الإمامة فى الجمع والجماعات[89] 0

وكان من مهام الوالى أيضا حق الإشراف على شئون الشرطة، وكان هو الذى يعين صاحب الشرطة[90] 0

ونلاحظ أنه فى بعض فترات العصر العباسى أرسل الوالى من ينوب عنه فى حكم الولايات، وكان لكثرة تغيير الولاة خلال العصر العباسى أثرة السلبى على أحوال الأقاليم[91] 0

وكان بقاء الوالى فى ولايته متوقفا على تنفيذه لمطالب الخلفاء وفقا لسياستهم حيث أن حكم الولاة كان يختلف لينا وشدة تبعا لاختلاف ميولهم فقد اشتهر البعض منهم بالعدل والجود والإصلاح، والبعض الآخر اتسمت سياسته بالعنف والجور والقسوة 0

وكان للولاة مجالس فى ولاياتهم تضم إلى جانب كبار رجال الولاية وموظفيها جماعة من وجوه الناس وعلمائهم وأهل المعرفة بأحوال الولاية، وكان الوالى يرجع إليهم ويستشيرهم، ومثال لذلك مجلس سعيد بن العاص فى الكوفة فى عهد عثمان بن عفان ﷺ ومجلس عمر بن عبد العزيز فى المدينة خلال عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك[92] 0

الحجابة :

الحجابة فى اللغة لفظ مشتق من حجب بمعنى حال دون أو منع أو ستر 0 يقال حجب الشئ أى ستره[93] 0

وفى الاصطلاح هى احدى الوظائف المعاونة للحاكم وصاحب الحجابة يسمى حاجبا، وهو من يحجب السلطان عن العامة والخاصة 0

وهذا المنصب لم يعرفه صدر الإسلام، عندما كان الإسلام بسيطا لا يتشبه حكامه بالملوك 0 وكان الخلفاء الراشدون لا يحتجبون عن رعاياهم، فكانوا يجلسون طوال يومهم فى مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، ويلتقون بالمسلمين على اختلاف مراتبهم بدون حجاب[94] 0

وقد كان أول من اتخذ الحجاب معاوية بن أبى سفيان، وذلك بعد مصرع على بن أبى طالب رضي الله عنه، ومحاولة اغتيال معاوية، واتساع الفتن وازدحام الناس على أبواب قصره فى دمشق وحذا الخلفاء الأمويون حذو معاوية فى الاحتجاب عن الناس [95] والحاجب موظف كبير يشبه كبير الأمناء فى العصر الحديث وكان يقوم بإدخال الناس على الخليفة حسب مراتبهم ومراكزهم فى المجتمع 0

- ومن اختصاصات الحاجب أيضا : تنظيم مثول الناس أمام الخليفة 0
- وأنهم كانوا يمثلون همزة الوصل بين الناس والخليفة[96] 0

واتخذ الخلفاء العباسيون الحجاب، فلم يقابلوا رعاياهم إلا من قدم لأمر خطير وصار بين الناس والخليفة داران : دار الخاصة ودار العامة، يقابل الخليفة كل طائفة فى كل مكان معين، كما يحدده الحاجب[97] 0

واتخذ العباسيون الحجاب وبالغوا فى ذلك تشبها بالأكاسرة وحماية لأنفسهم من الساخطين عليهم وزادوا فى منع الناس عن ملاقاتهم 0

أما فى بلاد الأندلس فيلاحظ أن منصب الحجابة كان يماثل منصب الوزارة فى الدولة العباسية، فقد كان اختصاص الحاجب فى عصر بنى أمية واسعا يشتمل على الإشراف على الشئون المدنية والعسكرية، وبلغ الحاجب درجة كبيرة من النفوذ حتى أن الخلفاء حافظوا على التلقب بلقب الحاجب بعد وصولهم إلى كرسى الخلافة[98] 0

وكان يشغل وظيفة الحاجب كبار العسكريين، وبلغ نفوذهم إلى درجة كبيرة حيث كان يتم مشورتهم فى الكثير من الأمور فى الدولة، واستبد بعضهم بالأمر دون الوزير، وتدخل بعضهم فى تعيين الوزراء[99]، ومثال لذلك الربيع بن يونس حاجب المنصور والمهدى، ونلحظ مدى مكانته بأنه أخفى نبأموت المنصور حتى أخذ البيعة للمهدى، وتخلص من الوزير معاوية بن يسار حيث عزله المهدى بمشورة من الربيع، ثم رشح الربيع للمهدى يعقوب بن داود ليتولى الوزارة[100] ولعب دورا كبيرا فى الإيقاع بين هارون الرشيد والبرامكة[101] 0

هذا ونجح بعض الحجاب فى تأسيس أسر حاكمة مثل الحاجب أق سنقر والد عماد الدين زنكى الذى أسس الأسرة الزنكية فى الموصل وأعمالها وتوابعها "الجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها"[102] 0

وخلال العصر الفاطمى لم يتمتع الحاجب بتلك المكانة التى كان يتمتع بها خلال العصريين الأموى والعباسى، وكان يلقب بصاحب الباب[103] 0

وزاد نفوذ الحاجب حتى صار الواحد منهم يلقب بذى الوزارتين، وذلك إشارة إلى إشرافه على الأمور المدنية والعسكرية، وكان ذلك راجعا إلى الثقة التى أولاها له الحكام حيث كان يتم اختيار الحاجب من مقدمى رجال الدولة وخاصة الخليفة ويختار من أغزرهم عقلا وأشدهم دينا وأوفاهم روعا، وأعظمهم من الله خوفا، وأصوبهم رأيا وأرحمهم قلبا وأصدقهم لهجة وأذكاهم نفسا[104] 0

وكان على الخلفاء ألا يجعلوا زمام الأمور بأيدى حجابهم، ولا يركنوا بالكلية إليهم، ولا يعتمدوا فى جميع أمورهم عليهم، فربما داخلهم الطمع فينقلون إلى الخليفة ما يريدون، ويكتمون عنه ما يختارون وهذا يؤدى إلى اختلال الملك وفساد النظام وهلاك الرعية، بل كان عليه أن يباشر الأمور بنفسه ويسمع من المظلوم شكايته، ويتولى أمور الرعية حقيرها وخطيرها بنفسه ولا يهمل شيئا منها[105] 0

ولاية العهد :

أثارت مشكلة ولاية العهد أو الاستخلاف كواحدة من نظم الدولة الإسلامية كثيرا من الجدل والخلاف بين المفكرين والعلماء والفقهاء المسلمين، فمنهم من أدان هذا الاتجاه

ونادى ببطلانه، ومنهم أوجد له المبررات ووضع له من القواعد ما يجعله مشروعا متمما للخلافة 0

وكانت البداية التاريخية لولاية العهد سنة 40 هـ/660 م حين تولى الحسن بن على خلافة المسلمين، إلا أنها لم تتم على يد على بن أبى طالبﷺ ولم يوص بها، فقد ترك هذا للمسلمين يرون فيه رأيهم، ومع ذلك يمكن القول أن تولية الحسن بن على كانت البداية لقاعدة جديدة من قواعد الحكم ونظم الدولة، ربما كانت سابقة سار عليها معاوية بن أبى سفيان فأخذ البيعة لابنه يزيد[106]

وعلى الرغم مما فى البيعتين من بعد عن أسس الخلافة الإسلامية التى وضعها الرسولﷺ فقد أقحم هذا التقليد على الخلافة وأصبح ملازما لها 0

وقد عارض بعض المسلمين بيعه يزيد، بل أن معاوية أكره الناس أو بعضهم على البيعة، فقد ثار الحجاز، وعندما تولى يزيد خلافة الأمة بعث إلى واليه على المدينة الوليد بن عقبة يأمره فى كتاب يقول فيه : خذ حسينا وعبدالله بن الزبير بالبيعة أخذا شديدا ليست فيه رخصة والسلام[107] 0

إن القاعدة التى وضعها الأمويون، وساروا عليها منذ خلافة معاوية وحتى مقتل مروان بن محمد لم تمر دون أن تحرك الثورة فى النفوس، وعندما مات معاوية ازدادت الثورة اشتعالا ورأى الحسين بن على أن يطالب بحقه فى الإمامة وسادة أهل العراق وانتهى الأمر بقتله سنه 61هـ / 680م فى كربلاء[108] 0

ولم تكن كربلاء نهاية المشكلات بالنسبة ليزيد، فقد كان عبدالله بن الزبير بمكة كما لم تكن المدينة بأقل رفضا للموقف، وسير يزيد جيشه إلى الحجاز حيث دارت الحرب مع أهل المدينة فى موقعة الحرة وقتل فيها كثيرون[109] وسارت الجيوش الأموية بعد ذلك إلى مكة وبها عبدالله بن الزبير ولم تنجح هذه المحاولة، كما لم تنج المدينة من نار الأمويين[110]، واستمرت ولاية العهد تنتقل بين أولاد الخلفاء وأخوتهم وأقاربهم الأقربين 0

مكن الأمويون لأنفسهم ووضعوا أسس ولاية العهد، وبذلك تحولت نهائيا إلى حكم وراثى[111] وازداد الصراع على ولاية العهد خلال العصر العباسى، ولجأ الخلفاء إلى أخذها لأكثر من واحد من الأبناء، ولم يتورع كل أولئك فى الدخول فى حروب دامية وصولا

للانفراد بها تمهيدا للوصول إلى الخلافة، فقد عهد أبو العباس السفاح إلى المنصور وجعل ولاية العهد من بعده لعيسى بن موسى[112] فأراد المنصور تقديم المهدى فاستنزله عن العهد عفوا لحقه فيه، ويذكر الماوردى أنه ليس من حق الخليفة أن يكره ولى العهد على التنازل، إذ يجب أن يتنازل طائعا راضيا[113] 0

وقد حرص الخلفاء العباسيون على ولاية العهد، فيذكر أن الرشيد رتب الخلافة فى ثلاثة من أبنائه هم الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن وذلك بناء على مشورة من عاصره من فضلاء العلماء[114] 0

فإذا عهد الخليفة إلى ثلاثة ورتب الخلافة فيهم ومات والثلاثة أحياء كانت الخلافة بعده للأول، ولو مات الأول فى حياة الخليفة كانت الخلافة بعده للثانى، ولو مات الأول والثانى فى حياة الخليفة فالخلافة بعده للثالث لأنه قد استقر لكل واحد من الثلاثة بالعهد إليه حكم الخلافة من بعده[115] 0

وفى عام 187هـ/ 802م بايع الرشيد لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون شريطة أن يكون الأمر للمأمون ان أراد أقره فى ولاية العهد وان شاء أن يخلعه خلعه[116] 0

وعندما تولى الأمين الخلافة أراد أن يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد وسير إليه من يحاربه فى خراسان، وتصدى لذلك طاهر بن الحسين الذى تمكن من انزال الهزيمة بجيش الأمين وعلى رأسه القائد على بن عيسى بن ماهان[117]0

وتعرضت بغداد بسبب ولاية العهد للحصار ودارت الحرب التى انتهت بمقتل الأمين، وحملت رأسه إلى أخيه المأمون فى خرسان، ولقد بكى المأمون واشتد حزنه على أخيه، ثم قدم من خرسان إلى بغداد ليتولى أمر المسلمين[118]0

ويتصل النزاع على ولاية العهد حتى أننا نرى تدخل الموالى لتأييد ولى العهد وهذا ما حدث خلال عهد الخليفة المعتز الذى علم أن المؤيد يتآمر عليه وذلك بالاتصال بالموالى فقبض عليه وطلب إليه أن يخلع نفسه من ولاية العهد ولم يهدأ إلا بعد أن قتله مسموما[119] 0

واستمرت ولاية العهد قضية من قضايا الخلاف حتى نهاية العصر العباسى وسقوط الخلافة العباسية سنة 656هـ / 1258م 0

ولذا يمكن القول أن ولاية العهد ظلت أسلوبا من أساليب اختيار الخليفة، وذلك منذ العصر الأموى وحتى انتهاء الخلافة العباسية، وإذا اعتبرنا أن هذا التطور قد أملته الظروف التى عاشت خلالها نظرية الدولة الإسلامية فإن هذا الأسلوب يضاف إلى ما سنه الخلفاء الراشدون ابتداء بالاختيار دون نص أو عهد مكتوب إلى نص وعهد مكتوب إلى قيام مجلس الشورى وانتهاءا بولاية العهد لواحد ثم لأكثر من واحد [120] تحولت الخلافة فى عهد الأمويين من نظام الشورى والانتخاب إلى النظام الملكى الوراثى، فقد بايع معاوية بن أبى سفيان لابنه يزيد بولاية العهد دون أبناء الصحابة مثل الحسين بن على، وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن العباس وغيرهم، وكان الخلفاء الأمويون يولون العهد أحيانا لأكثر من واحد 0

واتبع العباسيون هذا النظام وغالوا فيه، فقد عهد أبو العباس السفاح (132-136هـ) بالخلافة أبى أخيه إلى جعفر المنصور (136-158هـ/ 753-774م) ثم إلى أخيه عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن عباس، فلما تولى المنصور الخلافة خلع عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى، ثم لعيسى بن موسى من بعده، ولما تولى المهدى الخلافة (158-169هـ/ 774-785م) خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وولى ولديه الهادى ثم هارون الرشيد 0

كذلك أراد الهادى (169-180هـ) خلع أخيه هارون والبيع لابنه جعفر مثلما فعل المهدى مع عيسى بن موسى، لولا أن مات الهادى قبل أن ينفذ ذلك 0

كما حاول الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد، والبيعة لابنه مما أدى إلى النزاع بين الأخوين، وانتهى الأمر بقتل الأمين 0

وكان لنظام ولاية العهد نتيجة سيئة على العباسيين والأمويين من قبلهم، حيث نشب الخلاف بين الكثيرين مما أضعف الخلافتين[121] 0

الكتابة :

الكتابة فى اللغة : لفظ مشتق من كتب وهو يدل على جمع شئ إلى شئ والكتاب بمعنى الفرض أيضا وذلك فى قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾

يقصد بالكتابة هى احدى الوظائف المعاونه للحاكم تشاركه مسئوليات الحكم بتدوين وكتابة ما يعهد الحاكم إليها من رسائل وغيرها القيام بالأعمال الإدارية التى تعين الوزير فى أدائه لعمله، فقد كان عبء الوزارة يضطلع به شخص واحد فى العادة وهو من يطلق عليه فى عصرنا الحالى لقب "رئيس الوزراء"، ولكن أعباء الوزير أخذت تتزايد بحيث لم يعد من الممكن أن يقوم بها وحده، ولذا استعان بموظفين أو كتاب يشرفون معه على الدواوين المختلفة أى الوزارات بالمفهوم الحديث[122] وقد عرف المسلمون الكتابة فى صورتها البسيطة الأولى فى عهد الرسولﷺ، حيث كان يتخذ له كتاب من الصحابة الذين يجيدون القراءة والكتابة يدونون القرآن الكريم ويكتبون الرسائل والعهود والمعاهدات المختلفة، كان على بن أبى طالب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما يكتبان الوحى فان غابا كتب أبى بن كعب وزيد بن ثابت، وكتب خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان بين يدى الرسول فى حوائجه، واتخذ الرسولﷺ المغيرة بن شعبة والحصين ابن غير كتبة يكتبان ما بين الناس من المداينات والمعاملات، وجعل عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء وأضاف إلى زيد بن ثابت كتابة الكتب إلى الملوك، وجعل كتابة المغانم إلى معيقيب بن أبى فاطمة حليف بنى أسد، وكان حنظلة ابن الربيع خليفة كل كاتب من كتاب النبىﷺ إذا غاب عن عمله حتى غلب عليه اسم الكاتب، وكان الرسول يضع خاتمه عنده، وبلغ كتاب الرسولﷺ اثنين وأربعون رجلا[123] فمنهم عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب (رضى الله عنهم)، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة[124] 0

وسار على نهجه الخلفاء الراشدون حيث اتخذوا لهم كتابا أيضا، وكانت الكتابة فى عهدهم مازالت بسيطة فى وظيفتها ففى عهد أبى بكر اتخذ عثمان بن عفان كاتبا له وكذلك زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن خلف الخزاعى وحنظلة بن

الربيع[125] وفى عهد عمر بن الخطابﷺ 0 وتم تعيين كاتب بكل ولاية كانت مهمته تنحصر أولا فى كتابة الرسائل، وتدوين الدواوين ثم أصبحت المهمة تتسع لتشمل حسابات الدواوين وتسجيل أسماء الجند وأعطياتهم وكاتب للخراج وكاتب للقضاء[126] 0

وعندما انتقلت الخلافة إلى الأمويين تعددت الدواوين وأصبحت خمسة هى: ديوان الرسائل والخراج والجند والشرطة والقضاء وكان لكل ديوان من هذه الدواوين كاتب، وكان يتصدرهم فى الأهمية كاتب ديوان الرسائل[127] 0

وخلال العصر العباسى زادت مكانة الكاتب نتيجة لكثرة أعمال الوزارة، حيث أصبح من الضرورى تعيين موظفين لمعاونة الوزير للإشراف على الدواوين المختلفة وإدارة شئونها، وكان من أشهر الكتاب فى ذلك العصر كاتب الرسائل الذى يتولى مكاتبة الأمراء والملوك عن الخليفة، وقد حرص الخلفاء على أن تدون الرسائل بأسلوب شائق وبليغ، كما حرصوا على اختيار كتابهم من رجال الأدب من أعرق الأسر وممن عرفوا بسعة العلم ورصانة الأسلوب[128] 0

وكان كاتب الرسائل يجلس مع الخليفة فى مجلس القضاء وينوب عن الخليفة أو الأمير فى بعض الأحيان، وعندما استقرت وظيفة الوزير وزادت أهمية شاغلها صار الكاتب مجرد موظف فى الدواوين[129] 0

وعرف نظام الكتابة فى الأعمال والولايات الإسلامية فكان بكل ولاية كاتب للخراج والمال وكاتب الرسائل 0

وكانت طائفة الكتاب تؤلف وحدة على رأسها الوزير، بل وتتدرج فى الرقى إلى الوزارة، معتمدة على كفايتها وبلاغتها، وكان لهؤلاء الكتاب أثر كبير فى نشر نوع من الثقافة خاص، وذلك أن ثقافتهم كانت أوسع من ثقافة غيرهم، وكانت معارفهم ودائرة إطلاعهم واسعة شاملة، وأنهم بحكم مناصبهم مضطرون أن يعرفوا أحوال الناس الاجتماعية وتقاليدهم، وأن يعرفوا من اللغة والأدب وعلوم الدين والفلسفة والجغرافية والتاريخ طرفا لأن كثيرا من مواقفهم يحتاج لذلك[130] 0

وكان هناك صفات ينصح أن يتحلى بها الكتاب من هذه الصفات والخصال الحلم والفقه والعفاف والعدل والإنصاف والأمانة وكتم السر والوفاء والبعد عن السعاية والنميمة

والكبر والعظمة والبعد عن المطامع، والنظر فى كل صنف من صنوف العلم، واجادة الخط وروايـة الأشـعار، ومعرفـة أيـام العـرب والعجـم، وأحاديثهـا وسـيرها والنظـر فـى الحساب[131] 0

وكان لابد أن تكون هناك مؤهلات خاصة بفئة من الكتاب دون الأخرى، وذلك لخصوصية الدواوين وتميزها عن بعضها فى الوظائف فمثلا، كان لا غنى لصاحب ديوان الخراج عن معرفة الحساب والمساحة 0

- ولا غنى لصاحب ديوان الصدقات عن الإلمام بعلوم الفقه 0
- ولابد لصاحب ديوان الجيش من معرفة عرض الرجال وشيات الدواب ودار السلاح 0
- ولابد لصاحب ديوان النفقات من الإلمام بالحساب والمكاييل والأوزان والأسعار وأمثالها، وهكذا فى الدواوين الأخرى[132] 0

وكانت الدولة تقوم بصرف الرواتب والأرزاق للكتاب وعمال الدواوين، وعلى سبيل المثال كان راتب كاتب عبد الله بن على العباس فى خلافة المنصور عشرة دراهم كل شهر[133] 0

وكان الأمويون والعباسيون يصرفون راتبا سنويا لرؤساء الكتاب والعمال ثلاثة مائة درهم وزادت رواتبهم عن ذلك خلال عهد المأمون[134] 0

ويذكر المقريزى رواتب أرباب الدواوين خلال العصر الفاطمى كالآتى :

- الراتب الشهرى لصاحب ديوان النظر سبعين دينارا 0
- وصاحب ديوان التحقيق خمسين دينارا 0
- وأربعين دينارا لصاحب ديوان المجلس 0
- وخمسة وثلاثين دينارا لصاحب دفتر المجلس 0
- وأربعين دينارا لصاحب ديوان الجيش [135] 0

وكانت كتابة الدواوين فى صدر الإسلام فى صحف مدرجة تسمى قراطيس وإذا كانت طويلة سميت طوامير، وأول من اتخذ الطوامير وكتب فيها الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (89-96هـ/ 707-714م) وكره الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/ 717-719م) استعمالها وجعل كتبه فى شبر من الصحف أو نحوه[136] وظلت الكتب

تثبت فى صحف وتحفظ فى هذه الصحف فى الدواوين حتى كانت خلافة أبى العباس السفاح، فجعلها خالد بن برمك فى دفاتر واتخذت الدفاتر من الجلود، ثم استعمل جعفر بن يحى بن خالد برمك بن الكاغد فى خلافة هارون الرشيد وتداوله الناس من بعده[137] 0

القضاء :

القضاء فى اللغة مصدر من قضى وهو أصل يدل على أحكام أمر واتقانه وانفاذ لجهته كما يتضح من قوله تعالى : ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**﴾[138] أى أحكم خلقهن، والقضاء هو الحكم قال تعالى:﴿ **فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ**﴾[139] أى أحكم ولذلك سمى القاضى قاضيا لأنه يحكم وينفذ الأحكام، وسميت المنية قضاء لأنه ينفذ فى بنى آدم وغيره من الخلق[140] 0

والقضاء من أعظم المناصب ومرتبته تلو مرتبة النبوة، لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وكلفهم الأخذ بالشرائع، وبعث الرسل قضاة ليحكموا بين الناس 0 قال تعالى : ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيه**﴾[141] وقال تعالى لرسوله محمدﷺ ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**﴾[142] 0

والقضاء من عمل الخليفة لأن معناه الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى وقطعا للتنازع، على حسب القانون الشرعى المأخوذ من الكتاب والسنة[143] وقد كان سنة متبعة عند العرب قبل الإسلام وكانوا يعرفون بالحكام[144]

ولما جاءت دولة الإسلام صار الرسولﷺ يفصل فى الخصومات بين الناس فى المدينة وصار مرد كل حدث أو اختلاف بينهم إلى الله وإلى محمد رسول اللهﷺ[145] 0

ثم صار القضاء بعد الرسولﷺ فى عداد الوظائف الداخلة تحت الخلافة، وفى ذلك يذكر الهروى أنه على الخليفة ألا يهمل أمر القضاة والعدل وأصحاب المناصب لان بأيديهم أزمة الأمور وصلاح الرعية، ولهم الحكم على الأرواح والأشباح والأموال وأمور الدين والدنيا بل يمتحنهم فى مجلسه ويسألهم عن أمور دينهم ودنياهم وليجعل عليهم عينا ورقيبا ليعلم أمرهم، فان أهمل أمرهم فسد حاله[146] 0

فكان الخلفاء يباشرون هذا العمل بأنفسهم ويستفتون فى الحكم ان كانت هناك حاجة إلى الاستفتاء، وعندما استخلف أبو بكرﷺ قال له عمر بن الخطابﷺ "أنا أكفيك القضاء" [147]، ولما تولى عمر بن الخطابﷺ عين على بن أبى طالبﷺ قاضيا، وجعل على الأمصار والولايات قضاة ينظرون فى الخصومات بين الناس، وصار ذلك سنة فى الذين جاءوا من بعده من الخلفاء، حيث كان يتخذ كل منهم قاضيا فى حاضرة الخلافة وقضاة آخرين فى الولايات والأمصار[148]

والسبب فى ذلك هو كثرة مشاغل الخلفاء بالفتوح وانشغالهم بالجيوش وتدبيرها مما جعلهم يفوضوا هذا العمل إلى من فى استطاعتهم الاستنباط، ولكنهم لم يتسموا باسم القضاة إلا منذ عهد عمر بن الخطابﷺ حيث بعث قضاة إلى الأمصار والولايات فولى أبا الدرداء قضاء المدينة، وشريحا قضاء البصرة، وأبا موسى الأشعرى، قضاء الكوفة، وقيس بن أبى العاص قضاء مصر، ووضع لهم نموذجا يسيرون عليه، واستمر الحال على ذلك إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين[149] وكان القضاء فى الأمصار أول الأمر مضاف إلى الولاة، حتى كانت خلافة عمر بن الخطابﷺ فجعله مستقلا عن نظر الوالى، وعين له من ينفرد بالنظر فيه، وكان تقليد القضاة فى الولايات يتم فى الغالب عن طريق الولاة وذلك بتفويض الخليفة لهم[150]، ولم يكن لأمراء الأمصار سلطان عليهم فى قضائهم 0

وخلال العصر العباسى ظهر منصب قاضى القضاة وذلك زمن هارون الرشيد وتولاه القاضى أبو يوسف صاحب كتاب الخراج وصار لقاضى القضاة حق الإشراف نيابة عن الخليفة على النظام القضائى من حيث النظر فى تعيين القضاة ومراقبتهم فى عاصمة الدولة وخارجها[151] 0

وذلك لأنه كان لا يوجد إلا خليفة واحد للمسلمين فى بغداد هو الخليفة العباسى، ونتيجة لتعدد الخلفاء بعد قيام الدولة الفاطمية بدأ تعدد قاضى القضاة فى عدة عواصم[152] 0

وقد ظهر الأئمة الأربعة ابتداء من القرن الثانى الهجرى وبتدوين مذاهبهم وانتشارها اخذ القضاة يتقيدون فى قضائهم بمذهب مشهور، فانتشر مذهب الإمام أبو حنيفة النعمان (80-150هـ/699-767م) فى سائر بلاد العراق[153] كما انتشر مذهب الإمام

مالك وهو مذهب أهل الحديث فى بلاد الحجاز، والإمام مالك هو ابن انس الأصبحى ولد سنة 93هـ/711م وتوفى سنة 179هـ/795م

- أما المذهب الشافعى نسبه إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعى القرشى المولود بغزة سنة 150هـ/ 767م والمتوفى بمصر سنة 204هـ/819م فقد انتشر فى مصر والشام 0
- وقد انتشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل المولود ببغداد سنة 164هـ/780م والمتوفى بها سنة 241هـ/ 855م فى بغداد فى بلاد الشام ونجد 0

وهكذا كان لكل مذهب من هذه المذاهب قاضى قضاة يقوم بدوره بتعيين القضاة فى الأمصار والمدن وفقا لمذهبه[154] 0

وكان الخلفاء يتحرون عند اختيار القضاة أن يكون القاضى من أهل العدالة والعلم وقد ذكر المصنفون لكتب "أدب القضاء" الشروط التى يجب توافرها فيمن يقلد منصب القضاء استقوها من الشواهد القرآنية والسوابق من عهد الصحابة ومن تلاهم فقد ذكر الماوردى سبعة شروط هى : الذكورة حيث يشترط فيمن يتولى القضاء أن يكون رجلا، وأجاز أبو حنيفة تولى المرأة القضاء فيما يجوز فيه شهادتها ويرى الكاسانى أن الذكورة ليست من جواز التقليد فى الجملة لأن المرأة من أهل الشهادات فى الجملة، إلا أنها لا تقضى فى الحدود والقصاص لأنه لا شهادة لها فى ذلك، وأهلية القضاء تدور مع أهلية الشهادة وأجاز ابن جرير الطبرى تولى المرأة القضاء فى جميع الأحكام[155] مع البلوغ، والإسلام، والعقل، والعدالة والحرية والعلم بالأحكام الشرعية، وسلامة الحواس والعلم بآراء السلف[156]، حيث يجب فيمن يتولى القضاء أن يسمع ويبصر حتى يستطيع تمييز الحق من الباطل وهذا بخلاف سلامة الأعضاء فهى غير معتبره فى القضاء ولكنها معتبرة فى الولاية العامة[157] 0

واهتم الخلفاء والولاة بتصفح أحوال القضاة وتتبع أخبارهم والاطمئنان على سلامة إجراء أحكام العدل بين الناس، وكان دور بعض الخلفاء مشهودا فى بيان معالم القضاء وكشف غموضه وإزاحة علله[158] 0

كان النبى ﷺ هو الذى يتولى القضاء، وكان يعتمد فى قضائه على الوحى والاجتهاد فيما لا نص فيه، وقد درب ﷺ أصحابه على ذلك فعندما بعث بمعاذ بن جبل إلى

اليمن قال له : "كيف تقضى إذا عرض عليك قضاء ؟ قال أقضى بكتاب الله قال فإن لم تجد قال أقضي بسنة رسول الله، قال فإن لم تجد فى سنة رسول الله قال أجتهد فى رأيى ولا آلو فقال له الحمد لله الذى وفق رسول الله إلى ما يرضى الله"[159] 0

وفى عصر الخلفاء الراشدين كانت المصادر هى الكتاب والسنة والإجماع والقياس وذلك على الترتيب السابق، على أنه إذا كان القاضى من أهل الإجتهاد كما كان فى صدر الإسلام، فإنه يأخذ الحكم نفسه من هذه المصادر السابقة مباشرة وعلى الترتيب السابق، أما إذا لم يكن كذلك فإنه يأخذ الحكم منها بواسطة المجتهدين، واستمر الأمر كذلك حتى ظهور المذاهب الفقهية فقل اجتهاد القاضى وأصبح يحكم وفق قواعد مذهب من المذاهب 0

وكان القضاة يرجعون فى الفصل فى الخصومات بين الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يستنبطون الأحكام، وكانت السنة النبوية لم تدون ولم تجمع حتى عهد عمر بن عبد العزير، فكان إذا تعثر أمرا أمام القضاة رجعوا فيه للخلفاء[160] 0

ولم يكن القاضى فى أحكامه موكولا إلى الاجتهاد الصرف وإنما كان موكولا إلى الاجتهاد فى فهم الشريعة الإسلامية، وتطبيقها على الحوادث والواقعات[161] وعلى الرغم من ذلك صارت أصول الأحكام فى الغالب مبنية على أربعة أمور هى كتاب الله وسنة رسوله، والإجماع والقياس[162] وصار القاضى يجد من خلالها طريقه إلى العلم بأحكام النوازل وتمييز الحق من الباطل0

وكانت وظيفة القاضى فى عهد الخلفاء الراشدين مقصورة على الفصل فى الخصومات المدنية، أما القصاص والحدود فكانت ترجع إلى الخلفاء وولاة الأمصار[163] إلا أنه مع مرور الزمن لم تقتصر سلطة القاضى على الأعمال القضائية البحتة، بل امتدت إلى أمور دينية أخرى ليس لها علاقة بالقضاء وإنما ضمت إليه لمعرفته بالضرورة للشرع الإسلامى[164] 0

وهذه الأعمال تتمثل فى الآتى :

النظر فى أموال اليتامى ومثال لذلك أن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج قاضى مصر أثناء ولاية عبد العزيز بن مروان بن الحكم على مصر (86هـ /705م) من قبل

الخليفة عبد الملك بن مروان (86-89هـ/ 705-707م) عين عريف على كل قوم للنظر فى أموال اليتامى وأضيف إلى عمله هذه الوظيفة[165]

وأيضا النظر فى الأحباس ومثال لذلك توبة بن نمر قاضى مصر أثناء ولاية الوليد بن رفاعة على مصر (115-120هـ/ 733-737م) من قبل هشام بن عبد الملك (105-125هـ) وكانت الأحباس من قبل فى أيدى أهلها وفى أيدى أوصيائهم، ولم يمت توبة حتى صار للأحباس ديوانا عظيما[166] 0

وأضيفت إلى القضاء ولاية الشرطة، ومن القضاة الذين تولوا الشرطة مع وظيفتهم عابس بن سعيد الذى تولى القضاء من قبل مسلمة بن مخلد الأنصارى (60-68هـ / 679-687م) وأقره مروان بن الحكم عندما جاء إلى مصر وجمع له القضاء والشرطة، وأيضا يونس بن عطية الذى تولى القضاء من قبل عبد العزيز بن مروان (84-86هـ / 703-705م)[167] 0

ومن الأعمال التى أضيفت إلى القاضى امامة المصلين والخطابة وولاية الحج، وأخذ البيعة للخليفة أو السلطان، ومصاحبة الجيوش[168]، وتولى بعضهم قيادة الجيوش[169] وأيضا الإشراف على الأحوال الدينية، والإشراف على المكاييل والعملة[170] 0

ومن الأعمال التى أضيفت إلى القاضى خروجه لرؤية هلال شهر رمضان مع الشهود وقد أضيفت هذه السلطة إلى القاضى فى ولاية عبد الله بن لهيعة على القضاء (155-164هـ/ 771-780م) من قبل الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور، وكذلك أثناء ولاية هاشم بن أبى بكر البكرى قضاء مصر (194-196هـ/ 809-811م) من قبل محمد الأمين خرج لرؤية هلال رمضان[171]0

وكان بعض القضاة على درجة كبيرة من الكفاية والخبرة التى جعلت بعض الخلفاء يولونهم أمورا خارجة عن اختصاص القضاء، فقد خول الخليفة عمر بن عبد العزيز أبا إدريس الخولانى فى النظر فى المظالم[172] وجمع هشام بن عبد الملك الشرطة والأحداث مع القضاء إلى بلال بن أبى بردة[173] 0

وقد كانت وظيفة القضاء من الوظائف السامية التى تحاط بالهيبة والإجلال كما كان لصاحبها نفوذ كبير يتفق مع خطورة العمل الذى يؤديه 0

ونتيجة لكثرة الأعمال المسندة للقاضى فقد اتخذ له نوابا فى الأقاليم[174] واتخذ القاضى الشهود ليعاونوه فى عمله القضائى البحت، وكان يطلق على الشهود اسم الشهود العدول حيث يتصفون بالأمانة والعدل ولا يشك فى ذمتهم وكان القاضى يراقب تصرفاتهم[175] 0 ولهم رئيس يسمى مقدم الشهود[176] 0

واتخذ القاضى بوابا وحاجبا وأعوانا لإحضار الخصوم وكتابا ومترجمين ومستمعين، وصار العلماء يحضرون مجلس الحكم للمشاورة فى المشكلات والمناظرة فى المجتهدات[177] 0

وكان المكان الذى يجتمع فيه القاضى بالخصوم يعرف باسم مجلس الحكم وكان مقره مسجد العاصمة الكبير، وكان القاضى أحيانا يفصل فى أمور الناس وهو فى داره، وكان مجلس الحكم يعقد علنا فى أيام محدودة[178]، ويتكون هذا المجلس من القاضى والشهود العدول، والموقعين الذين يكتبون ما يدور فى الجلسة، والحجاب الذين ينظمون دخول المتخاصمين[179] 0

وكان تعيين القضاة وعزلهم لا يتأثر بتعاقب الخلفاء وتبدل الولاة وتغيير الدول، ومثال لذلك فقد ولى شريح بن الحارث الكندى قضاء الكوفة منذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحتى خلافة عبد الملك بن مروان[180] وولى محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى القضاء لبنى أمية ثم ولى القضاء لبنى العباس[181] 0

وهذا يدل دلالة واضحة على استقلال القضاء وعدم تأثره بالاتجاهات السياسية، وحرص الدولة الإسلامية مع تعاقب حكامها على نزاهة القضاء وإجراء أحكام العدل بين الناس من جهة أخرى 0

واستتماما لاهتمام الخلفاء بأمر القضاء صرفوا للقضاة الرزق والعطاء، وكانت رواتبهم تختلف بين خليفة وآخر وبين عهد وعهد وبلد وبلد وذلك وفقا للأحوال المعيشية0

ومثال لذلك القاضى عبد الرحمن بن حجيرة كان على قضاء مصر من قبل عبد العزيز بن مروان (69-83هـ/ 688-702م) وكان راتبه فى السنة ألف دينار[182]، وكان للقاضى زى معين يتميز به ويمنع القاضى من أخذ الهدايا، وكان يركب بغلة شهباء ولا يسمح لأحد باتخاذ بغلة مثلها[183] 0

قضاء المظالم :

نظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة[184]، فهى وظيفة ممتزجة بين سطوة السلطنة ونصفه القضاء، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدى وكأنه يمضى ما عجز القضاة أو غيرهم عن إمضائه[185] 0

وفى بداية الأمر كانت ولاية المظالم متداخلة مع ولاية القضاء وفرعا منها ومنذ نهاية القرن الأول الهجرى نظم القضاء وتحددت اختصاصاته، كما نظمت ولاية المظالم، وتحددت اختصاصاتها، وهكذا أصبحت ولاية المظالم تجمع بين خصائص القضاء والتنفيذ معا، ولذلك لا يسمى من يتولها قاضيا بل بسمى صاحب المظالم أو ناظر المظالم[186] 0

وكان السبب فى ظهور ذلك هو تضخم ظروف الحياة فى الخلافة الإسلامية ويعتبر هذا النظام من أعظم أمور القضاء لأنه يمكن المتخاصمين من اللجوء إليه فى حالة التظلم من حكم أصدره القاضى وخلال عهد الرسولﷺ لم تدع الحاجة إلى النظر فى المظالم، وكذلك خلال عهد الخلفاء الراشدين، لأن الوازع الدينى فى عهدهم كان له سلطان على نفوس المسلمين حيث لم ينتدب أحد من الخلفاء الراشدين للمظالم، وكان أول من نظر فيها هو عبد الملك بن مروان حيث جعل يوما يتصفح فيه قصص المتظالمين، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يقوم بنفسه للنظر فى المظالم ورد الحقوق لأصحابها، كما جلس لها من الخلفاء العباسيين الخليفة المهدى، والهادى، وهارون الرشيد، والمأمون والخلفاء من بعدهم[187] ونشأ ديوان خاص للنظر فى المظالم خلال العصر العباسى، كان بمثابة هيئة تحكيم أو محكمة استئناف يلجأ إليها المتخاصمون عند اعتراضهم على حكم أصدره القاضى 0

وكان مقر نظر المظالم هو مقر الخليفة فى العاصمة، ويكون عادة فى القصر أو أثناء سيره فى المواكب، فعلى سبيل المثال كان ناظر المظالم فى القصر الفاطمى يجلس فى مكان خاص بقصرهم يعرف بباب الذهب[188] 0

ويذكر الماوردى أن مجلس والى المظالم لا يستغنى عن خمسة أصناف ولا ينتظم نظره إلا بهم، وهذه الأصناف هى :-

1- الحماة والأعوان : لتنظيم المجلس وحمايته 0
2- القضاة والحكام : لاستعلام ما يثبت عندهم من الحقوق ومعرفة ما يجرى فى مجالسهم بين الخصوم 0
3- الفقهاء : ليرجع إليهم فيما أشكل ويسألهم عما اشتبه وأعضل 0
4- الكتاب : ليثبتوا ما جرى بين الخصوم وما لهم وما عليهم من حقوق 0
5- الشهود[189] 0

وفيما يتعلق باختصاصات قضاة المظالم فهى الفصل فى النزاع بين الناس والدولة أو أحد أفراد موظفيها فى أى عمل من أعمالها سواء كان فى الحكم أم الإدارة أو فى غيرها، وقد فصل الماوردى هذه الاختصاصات بالآتى :

- تعدى الولاة على الرعية 0
- جور العمال فى جباية الأموال من الرعية 0
- التظلمات المتعلقة بالميزانية وقضايا الدخل والخرج منها 0
- تظلمات الموظفين فى رواتبهم من نقص أو تأخير فى تسليمها 0
- رد الغصوب التى استولى عليها ذوى السلطان والأيدى القوية 0
- تنفيذ ما عجز القضاة عن تنفيذه فى ميدان الأحكام والحسبة والعبادات الظاهرة
- النظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة فى مصالح العامة 0
- مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع، والأعياد، والحج والجهاد 0
- النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين[190] 0

ويشترط فيمن يتولى قضاء المظالم أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر عظيم الهيبة ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، وله من علو اليد وعظيم الرهبة ما يقمع به الظالم ويمنعه عن التغلب والتجاذب[191]، لأنه يحتاج فى نظره إلى سطوة الحكام، وثبات القضاة، فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر فى الجهتين 0

الحسبة :

الحسبة نظام إسلامي قديم قدم الإسلام وتطور بتطور الحضارة الإسلامية، وصار له قواعد وقوانين شملت معظم مناحى الحياة، وأساس هذا النظام هو الأمر بالمعروف

والنهى عن المنكر، وهذا الأساس له سند شرعى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[192] 0

ويجب الأمر بالمعروف إذا ظهر فى المجتمع تركه، وكذلك النهى عن المنكر إذا ظهر فعله، ولذا فإن نظام الحسبة مبنى على الشدة والسرعة فى الفصل[193] ولذا ما لبث نظام الحسبة أن تطور وتعدى ذلك، إلى واجبات عملية تتفق ومصالح المجتمع وبخاصة سكان المدن حيث كان معظمهم من أرباب الحرف والتجارة 0

وهذا النظام باشره الرسولﷺ بنفسه، حيث كانت أقواله وأفعاله مليئة بنهيه عن المنكر وبأمره بالمعروف حيث نهى عن عبادة الأوثان وأمر بعبادة الله الواحد الأحد، كما نهى عن أكل الربا، ونهاهم عن بيع المعدوم، وهو بيع الشئ قبل أن يكون أمام المشترى، ونهى عن أشياء عديدة كانت منتشرة فى المجتمع[194] 0

وكانﷺ يمر فى الأسواق ويتفقد حال السلع ومدى سلامتها، حتى أنه رأى بعض السلع وقد أصابها التلف وصاحبها يغش بها الناس، فقالﷺ " **من غشنا فليس منا** " وأن الغاش ليس بمؤمن 0

وقالﷺ: "إياكم والجلوس فى الطرقات"، كما نهى القرآن الكريم عن التطفيف فى الموازين والمكاييل، ونهى الرسولﷺ عن الاحتكار والتسعير [195]

عن أبى سعيد الخدرى أن الرسولﷺ نهى عن المنابذة، وهى طرح الرجل ثوبه بالبيع إلى الرجل قبل أن يقلبه أو ينظر إليه، ونهى عن الملامسة، والملامسة لمس الرجل الثوب لا لينظر إليه 0

ومن وسائل الرسولﷺ فى حفظ حقوق العاملين وزجره عن استغلال جهلهم بحال الأسواق والأسعار، أنه منع تلقى الركبان وبيع الحاضر للبادى – للسمسار – وبيع الرجل على بيع أخيه[196] 0

وقد سار الخلفاء الراشدون على نهج الرسولﷺ فى إقامة الحسبة بين الناس، وقد روى أن عمر بن الخطاب ضرب جمالا وقال له حملت جملك ما لا يطيق وروى أنه حرق بيت الرويشد الثقفى لأنه كان يبيع الخمر، وقال له أنت فويسق ولست برويشد0

وفى العصر الأموى اتسعت الدولة الإسلامية وكثرت مشاكلها وشغل الخلفاء بالأمور الإدارية فأخذوا يعينون من يقومون بعمل الحسبة، ، ويدعى المحتسب، وأصبح نظام الحسبة فى العصر الأموى له جهاز كبير يتبعه كثير من الموظفين يعاونون المحتسب[197] 0

وقد اشترط الفقهاء فى المحتسب عدة شروط هى أن يكون مسلما، حرا، بالغا، عاقلا، قادرا والشرط الأخير مهم لأن الحسبة موضوعه للرهبة، وأن يكون عالم بالمنكرات الظاهرة[198] 0

ومن صفات المحتسب :-

- يجب أن يكون بارعا فى الاجتهاد 0
- وأن يعمل بما يعلم ولا يكون قوله مخالفا لفعله حتى لا يتعرض لسخرية الناس من ناحية وتكون دعوته مقبولة من ناحية أخرى لأنه لا يجوز أن يدعوا لشئ يفقده[199]، وأيضا ليتجنب قول الله تعالى فى ذم مثل هذا ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُم**﴾"[200] 0
- كما اشترط أن يكون مرتب المحتسب من بيت المال، وكان له زى مميز، حيث كان يرتدى زى العلماء[201] 0

مهام المحتسب :

كانت المهام الداخلة تحت وظيفة المحتسب عديدة والجهات الموكلة إلى نظرة كثيرة ولذلك كان يتخذ الأعوان للوفاء بعمله والقدرة على القيام به، وكان من جملة الأعمال التى ينظر فيها ما يلى :

مهام المحتسب الاقتصادية :

كان من مهام المحتسب الاقتصادية إشرافه على أصحاب الحرف والمهن التى تتعلق بالمجال الاقتصادي فكان يراقب عملية صنع الخبز حيث كان له دفتر خاص يسمى "دفتر المحتسب" يسجل فيه أسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم، وكان يخصص لكل حانوت من هذه الحوانيت كمية معينة من الدقيق كل يوم لئلا يختل اقتصاد البلد من قلة الخبز ويلزمهم بذلك[202] 0

وكان المحتسب يزن الخبز حيث كان له وزنا معلوما، وكان يلزم الفرانين بألا يخرجوا الخبز من بيت النار إلا بعد تمام نضجه[203] 0

وكان يأمر الجزارين بعدم ذبح الحوامل من البقر وأن توضع ذيول الماعز معلقة فوق لحومها حتى يعرف الناس نوع اللحوم التى يشترونها، وعلى الجزارين ذبح الحيوانات فى المذابح لا على أبواب دكاكينهم لئلا تتلوث الطريق بالدم والروث[204]، وكان يقوم بحملات تفتيشية على المطاعم والشوانين والطباخين والعطارين والنحاسين والحدادين والسقائين، والخياطين والبزازين للاطمئنان على عملهم والتأكد أن أحدا لم يرتكب أية مخالفة، فإذا عثر على شئ من ذلك كان عليه أن يمنعه فى الحال[205] 0

وكان يقوم بترتيب وتنظيم الصناعات المختلفة من خلال إقامة كل صنعة فى مكان خاص بها، وكان الهدف من ذلك هو تسهيل عملية الإشراف عليها ومراقبة ما يتم فيها من صناعات، ولكى لا تتلف صنعة أخرى[206] 0

وكان المحتسب يتأكد من الدراهم والدنانير المتداولة فى الأسواق وأنها غير مزورة ومختومة بخاتم السلطان ، وكان يراقب المكاييل والموازين المتداولة فى الأسواق ويمنع الإحتكار، ويذكر البائعين بعدم خلط البضاعة الرديئة بالجيدة، وكان يمنع الكبودبين – بائعى الكبده – من خلط كبود الماعز أو البقر بكبود الضأن ومن خلط البائت بالطازج، وألا يخلطوا لحوم الإبل بلحوم البقر[207] 0

ولكى يتمكن المحتسب من أداء مهامه الاقتصادية كان يختار لكل صنعة عريفا من بين أفرادها يشرف على أحوال طائفته، ويطلع على أخبارهم وحيلهم وطرق غشهم حتى يتسنى له مراقبتهم 0

مهام المحتسب الاجتماعية :

كان المحتسب وأعوانه يشرفون على أخلاق أفراد المجتمع وكان يحرص على توفر الأمانة والأخلاق الحسنة بينهم، وكذلك اتباع سلوك حميد والظهور بالمظهر اللائق[208] 0

فكان من واجباته الاجتماعية الإشراف على الآداب العامة ومنع اختلاط الرجال بالنساء فى المتنزهات والأسواق والطرقات وغيرها، كما كان يمنع الناس من التطلع على

جيرانهم من النوافذ والأبواب أو من على السطوح[209] وكان يراقب الحمامات العامة، ويحافظ على الآداب والأخلاق الحسنة بها، وكان يمنع النساء من الجلوس على أبواب الحوانيت خاصة حوانيت القطانين والكتانين، وراقب النساء فى الأفراح، وكذلك فى الجنائز والمآتم وسلوكهن وسيرهن فى الطرقات والملابس التى كانت ترتديها النساء[210] 0

مهام المحتسب الدينية :

ومن مهام المحتسب الدينية إقامة الشرع وإحياء السنة، فكان يطبق الأحكام على من يفطر فى نهار رمضان، وعلى المطلقات اللآئى لا يراعين العدة قبل زواجهن للمرة الثانية[211]، وحرص أن تسير الجنازة وفقا لما نصت عليه الشريعة الإسلامية، وكان يمنع النساء من تتبع الجنائز وكشف وجوههن ورؤوسهن[212] وكان يهتم بأمر المساجد من حيث عمارتها وتنظيفها وحفظ الأمن بداخلها، كان يأمر الأئمة فى المساجد بعدم الإطالة فى الصلاة[213] 0

وكان يختار مؤذن المسجد واشترط منه أن يكون ذكرا مسلما عاقلا وكان يختبرهم فى الأوقات، وكان ينهى عن التغنى فى الآذان وكذلك التطويل[214] 0

وكان يمتحن الوعاظ والقراء، ولا يجوز أن يعمل بالوعظ إلا من كان عالما بالعلوم الشرعية حافظا لكتاب الله، والأحاديث النبوية الشريفة، وأن يكون صالحا فاضلا ذا سيرة محمودة بين الناس[215] 0

وكان يحث الناس على أداء الصلوات الخمس فى مواقيتها وأداء الأمانة وكان يشرف على أهل الذمة ويأمرهم باتخاذ الخيار، ومنعهم من ركوب الخيل والبغال والحمير وألا يركبوا شيئا من المراكب المحلاة وأن يكون فى أعناق النصارى الصلبان واليهود الجلاجل إذا دخلوا الحمام[216]، وشدد على الخمارين وطارد السكارى وعاقب المخالفين 0

مهام المحتسب الصحية :

كان المحتسب يشرف على أداء عمل الأطباء والكحالين والمجبرين وغيرهم من أصحاب الحرف التى لها علاقة بصحة الإنسان، وكان يشترط عليهم خاصة أو يعقد لهم اختبارات فمن ثبت كفاءته سمح له بممارسة المهنة وأعطى تصريحا بذلك من العريف الخاص وكان يراقب عملية صنع الخبز فيطلب من العجانين استعمال أوعية للماء نظيفة

وذات غطاء وغسل المعاجين قبل استعمالها وأن يكون العجان ملثما أثناء عمله، وأن يشد عصابة فوق جبينه تمنع تساقط العرق منه، ويحلق شعر ذراعية حتى لا يسقط شئ منه فى العجين، وأن ينخل العجان الدقيق قبل عجنه، ويكلف شخصا آخر بطرد الذباب بمذبة يمسكها بيده، ويأمر الفرانين بإصلاح المداخن وتنظيف بلاط الفرن بالكنس من بقايا الخبز المحترقة، وكان يراقب السقائين ويأمرهم بجلب المياه من داخل البحر حتى يبعد عن مواضع الأوساخ ويأمرهم بنظافة قربهم وتغطيتها وكيزان الشرب التى اشترط فيها عدم استخدام كيزان المجزوم والأبرص[217] 0

ومن مهام المحتسب الصحية إشرافه على الحمامات وتفقدها كل يوم وكان يأمر ضامن الحمام بنظافته وكنسه وغسله بالماء النظيف بالأشياء الخشنة لئلا يتعلق بها الأوساخ والصابون[218] 0

وكان يشرف على الباعة الجائلين ويأمرهم بتغطية الأطعمة من الذباب والحوام، وأن يغسلوا أطيافهم بالماء النظيف[219] 0

وكان للمحتسب سلطة تنفيذية مفوضة إلى رأيه، وهو ما عرف بالتعزير، الذى هو نوع من العقاب لم يقرره القرآن الكريم، وكان يستعين فى تنفيذه بالأعوان[220] وشمل التعزير عدة أنواع منه : الردع بالقضاء على شئ محرم، والتوبيخ بالقول أو الضرب، بالسوط المتوسط أو الغليظ، أو بالدره وهى من جلد البقر أو الجمل 0

– ومن التعزير أيضا النفى من البلد، والتشهير أو التجريس[221] 0

وبعد دراسة الحسبة والمحتسب نجد أن الهدف من الحسبة أمر دينى يقضى بالمحافظة على حياة الناس، وابتغاء مرضاة الله فى جميع تصرفاتهم، وكان يقوم بذلك المحتسب الذى تطورت وظيفته واتسعت مهامه، فكان ينظر فى أحوال الرعية، وكشف أحوال الأسواق، ومنع التجار من الغش والاحتكار، وكذلك مراقبة صانعى الأطعمة مثل الخبز واللحوم والحلويات ومراقبة السقائين، والإشراف على المساجد والتدقيق فى اختيار الأئمة والوعاظ والمؤذنين وغيرها من الأمور التى ذكرناها، وهكذا كانت الحسبة والمحتسب فى الحضارة الإسلامية نظاما متكاملا يشرف على شتى مناحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والصحية 0

الشرطة :

الشرطة[222] وهى وظيفة من وظائف السيف وموضوعها تنفيذ العقوبات وبعد الفتح الإسلامى امتدت أطراف الدولة الإسلامية إداريا، وأنشئت الدواوين وبيت المال، وبعد زيادة الخراج أصبحت المدينة فى حاجة ماسة إلى حراسة ليلية مستمرة، فخصص أمير المؤمنين عمر بن الخطابﷺ لهذه المهمة بعض الرجال الذين يتناوبون الحراسة فيما بينهم فى نوبات ودوريات متبادلة، وسمى هؤلاء بالشرطة لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها[223] 0

وكانت وظيفة الشرطة هى توفير الأمن والأمان للمواطنين، وحراسة مؤسسات الدولة العامة، وأطلق على الرجال الذين يقومون بهذه المهمة اسم العسس وذلك خلال عهد الخليفة عمر بن الخطابﷺ[224] 0

وكان الخليفة عثمان بن عفانﷺ أول من اتخذ صاحب شرطة، وكان على الشرطة فى عهده عبد الله بن قنفذ التميمى القرشى، غير أنه لم يكن يسير بين يدى عثمان بن عفانﷺ بحربة، ولم تكن هناك جماعة للشرطة[225] فكان عبد الله بن قنفذ على الفساد وتتبع الجناة والمفسدين فقط 0

واتخذ الخليفة على بن أبى طالبﷺ فى الكوفة صاحب شرطة هو معقل بن قيس الرباحى، وقيل أن الشرطة نظمت تنظيما متميزا فى عهد على بن أبى طالبﷺ، أو فى عهد بنى أمية[226] 0

وكان الولاة على الأمصار يتخذون صاحب شرطة لهم، فكان للوالى فى أغلب الأحيان حق تعيين صاحب الشرطة على أنه كان بمثابة نائب الوالى حيث كان ينوب عنه فى إدارة البلاد أثناء غيابه للحج أو الحرب، كما كان ينوب عنه أيضا فى إقامة الصلاة[227] 0

وكان الخلفاء يتدخلون فى بعض الأحيان فى تعيين أصحاب الشرطة ولجأ بعضهم إلى تعيين صاحب الشرطة فى منصب الوالى بعد تنحية الوالى أو وفاته، وهذا بطبيعة الحال راجعا إلى تمرس أصحاب الشرطة فى الحكم[228] 0

ومثال للولاة الذين كانوا يتخذون صاحب شرطة والى البصرة زياد بن أبيه والذى احتاج إلى زيادة عدد الشرطة فيها للقضاء على المفسدين وأهل العبث فى النهار والليل بسبب الحرب التى كانت قد اشتعلت من سنة 36هـ/ 656م وحتى سنة 40هـ/ 660م، وكان زياد قد اتخذ رجلين ولاهما أمر الشرطة وكان يسيران بين يديه بالحربة ولما تنازعا ذات يوم أعفى أحدهما وثبت الأخر[229] 0

وكان لأبى جعفر المنصور صاحب شرطة على العدوى – المفاسد – وصاحب شرطة للحربة أى يكون ملازما للخليفة ويسير بين يديه[230] 0

وخلال عهد المأمون عرفت الشرطة نظام المباحث حيث كان له عدد من النسوة العجائز يأتونه كل مساء بأخبار اللصوص وقطاع الطرق والمعارضين السياسيين[231] 0

وبعدما كان رئيس جهز الشرطة يسمى فى خلافة بنى أمية "**صاحب الأحداث**" سمى فى العصر العباسى " **صاحب الشرطة**" وفى دولة الترك عرف باسم "**والى الشرطة**" [232]، وكان يطلق عليه فى الأندلس اسم " **صاحب المدينة**" واسم الحاكم فى بلاد أفريقية 0

مهام صاحب الشرطة :

كانوا يساعدون الولاة فى مهامهم بجانب مساعدة القضاة فى تنفيذه أحكامهم هذا بجانب تنفيذ العقوبات التى كانت تفرض على بعض المخالفين والمذنبين من قبل المحتسب 0

كانوا يحافظون على الأمن الداخلى بمنع وقوع الجرائم والقبض على الجناة وإقامة الحدود عليهم[233] وتنفيذ عقوبات السجن وغيرها 0

- ومن مهامهم نشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق الفاضلة ومنع الفساد[234]
- وأسندت إليهم بعض المهام الأخرى بجانب الحراسة ومنع الفساد حيث كانوا يساهمون فى إطفاء الحرائق، وتحصيل الجزية وإصدار الدنانير[235] 0
- وأيضا الإشراف على السجون ومراقبة أسوار المدن وأبوابها، هذا وكان للشرطة زى خاص وأسلحة خاصة شملت الحربة والطبرزين – وهى عبارة عن سكين طويلة أو بلطة يعلقها فى وسطه، والسوط الذى كان يصنع من الجلد 0

السجون وأحوالها :

ظهرت السجون فى عهد عمر بن الخطاب ﷺ ولكنها نظمت فى عهد عمر بن عبد العزيز الذى أوجد لها ديوانا يشرف عليها، وأمر بإعطاء المسجونين رزق الصيف والشتاء وكسوة الشتاء والصيف، والعناية بمرضاهم، وألا يفيد أحد فى المحابس بقيد يمنعه من الصلاة، والفصل بين فئات المسجونين بين من يسجن فى دين ومن يسجن فى جريمة، وجعل للنساء حبسا على حدة 0

بينما تذكر سجون الحجاج فى العراق بعدم ملاءمتها للصحة العامة والقسوة فى معاملة المساجين[236] 0

وكانت السجون فى مصر خلال العصر الفاطمى سيئة للغاية، حيث يصفها المقريزى بقوله "كلها شنيع المنظر والمخبر، كلها موحش قذر وضيق، يشم المار بقربه رائحة كريهة، ويسمع صراخ المساجين وشكواهم الجوع والعرى، والقمل وشدة الظلام وكثرة الوطاويط، أى أن الداخل إليها مفقود والخارج منها مولود"[237] 0

ويعد حبس المعونة أقدم السجون الفاطمية بمصر (الفسطاط) اتخذه يانس الصقلى أحد ولاة الشرطة سجنا سنة 371هـ/ 981م بعدما كان دارا للشرطة، وأنشأ المستنصر بالله سجنا بخزانة البنود لأرباب الجرائم السياسية من الوزراء والأمراء والأعيان[238] 0

الدواوين :

الديوان : موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال 0

اختلفت فى أصل كلمة ديوان فقيل أنها ترجع إلى العربية ومعناها الأصلى الذى يرجع إليه ويعمل بما جاء فيه، ومنه قول ابن العباس : إذ سألتمونى عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب[239]، ويقال دونته أى أثبته 0

ويطلق الديوان على مجتمع الصحف أو الكتاب أو السجل أو الدفتر الذى يكتب فيه أسماء المقاتلين ومقدار ما خصص لهم من عطاء وأرزاق كما صار يطلق على المكان الذى يجلس فيه الكتاب وتحفظ فيه السجلات[240] 0

نشأة الدواوين :

لم يفرض الرسولﷺ، ولا أبو بكر الصديقﷺ للمسلمين عطاء مقررا، ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم قررته الشريعة لهم، وإذا ورد إلى المدينة ما من بعض البلاد، أحضر إلى الرسولﷺ وفرق فيهم حسب ما يراه، وجرى الأمر على ذلك فى خلافة أبو بكرﷺ 0

يذكر الماوردى الدواوين كان فى المحرم سنة 10هـ[241]، وبالطبع هذا ليس صحيح لأن عمر بن الخطابﷺ تولى الحكم من سنة (13-23هـ / 634-644م) وقد تباينت الروايات حول تاريخ وضع الديوان حيث ذكر كل من ابن الأثير[242] والطبرى[243] أن الخليفة عمرﷺ دون الدواوين سنة 15هـ/ 636م بينما ذكر البلاذرى[244] والنويرى[245] وابن خلدون[246] أن سنة تدوين الدواوين هى سنة 20هـ/ 640م والمرجح أن الرواية الأخيرة هى الأقرب إلى الصحيح، أما الرواية التى تشير إلى أن البداية كانت فى سنة 15هـ / 636م فيبدوا أن الخليفة بدأ بالفعل فى التفكير بتدوين الدواوين، وجرت المشاورات واستغرقت وقتا طويلا حتى كانت سنة 20هـ / 640م أصبح الديوان قائما 0

فلما كانت سنة 15هـ / 636م خلال خلافة عمر بن الخطابﷺ رأى أن الفتوح قد توالت وأن الأموال قد زادت، فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال، ولم يكن يعرف كيف يضبط ذلك فأشار عليه جماعة من الفرس المسلمين بالأخذ بنظام الدواوين عن الدولة الفارسية[247] 0

وفطن الخليفة عمر بن الخطابﷺ لذلك وكان أول من وضع الدواوين ورتبها من العرب فى الإسلام[248] وكان الديوان الذى وضعه هو "ديوان الجند" ولكنه كان يعرف باسم الديوان فقط لأنه الديوان الوحيد فى المدينة، حاضرة الدولة الإسلامية آنذاك[249] وكانت هناك دواوين مماثلة فى الأمصار مثل البصرة والكوفة والشام ومصر وغيرها، ورأى الخليفة عمر أن يجعل العطاء على حسب السبق فى الإسلام، ثم استخدم الكتاب فى الدواوين، وهم رجال مدنيون من أرباب الأقلام، وكان معظمهم من أهالى البلاد المفتوحة، وظلت تستخدم فيها لغات غير العربية، فكان ديوان الشام بالسريانية أو باليونانية، وديوان مصر بالقبطية وديوان فارس والعراق بالفارسية[250] 0

تعريب الدواوين :

كانت لغة الدواوين حتى عهد عبد الملك بن مروان فى العراق فارسية وفى الشام الرومية، ومصر اليونانية[251] وكان سرجون ابن منصور يتولى ديوان الشام فأمره عبد الملك يوما فتثاقل عنه وتوانى فيه، فعاد لطلبه وحثه عليه، فرأى منه تفريطا وتقصيرا 0 فأمر عبد الملك سليمان بن سعد والى الأردن، وكان يتولى له ديوان الرسائل، أن ينقل ديوان الشام إلى العربية وقد أتم سليمان التعريب فى سنة واحدة[252] وكان ذلك سنة 81هـ/ 700م 0

أما ديوان العراق فقد أمر الحجاج بن يوسف الثقفى سنة 78هـ/ 697م كاتبة صالح بن عبد الرحمن مولى بنى سعد، وكان يكتب بالعربية والفارسية[253] أن يقوم بتعريب الدواوين ففعل 0

أما ديوان مصر فقد نقل إلى العربية سنة 87هـ/705م وذلك بأمر من أميرها عبد الله ابن عبد الملك بن مروان فى خلافة الوليد بن عبد الملك، فصرف عبد الله بن انتناش (القبطى) وجعل عليه ابن يربوع الفزارى من أهل حمص[254] 0

وكان هناك ديوان خراج فى خراسان وتم تعريبة سنة 124هـ/ 742م فى ولاية نصر ابن سيار من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك[255] 0

أثر تعريب الدواوين :

كان لتعريب الدواوين أثر مزدوج من الناحيتين السياسية والأدبية، فمن الناحية السياسية أصبحت لغة الدواوين هى اللغة العربية مما ساعد على تقلص نفوذ أهل الذمة، والمسلمين من غير العرب، ومن الناحية الأدبية أصبحت اللغة العربية لغة التدوين فنقل إليها الكثير من الاصطلاحات الفارسية والرومية وابتدأت تظهر طبقة الكتاب منذ ذلك الوقت 0

وخلال العصر العباسى أصبح لموظفى الدواوين مكانة كبيرة، حيث كانت لهم علامات تميزهم عن غيرهم من رجال الدولة، مثل الدواة والكرسى، والمخدة والمسند والمرتبة[256] وهى أدوات تستخدم فى الكتابة والجلوس فى الديوان، وكانوا يتميزون فى ملابسهم بعمائم كبيرة تتفاوت فى ضخامتها حسب مراتبهم، وكان يطلق عليهم أصحاب العمائم[257] 0

ويذكر قدامة بن جعفر أنه خلال العصر العباسى كان هناك مجلسين لديوان الجيش هما مجلس التقرير ويجرى فيه أمر استحقاقات الرجال، وتقدير أرزاقهم، والثانى مجلس المقابلة ويختص بالسجلات وتصفح الأسماء[258] 0

وكان ديوان الجيش فى العصر الفاطمى يتألف من قسمين هما : الأول ديوان الجيش ويتولى تصفح أحوال الجند فمن نجح منهم عرضت دوابه فكان لا يثبت بالديوان إلا الجيد، والثانى ديوان الرواتب ويشمل أسماء كل مرتزق، ويشمل راتب الوزير، وحواشى الخليفة وأرباب الرتب وقاضى القضاة ومن يليه وداعى الدعاة وقراء الحضرة، وخطباء المساجد، والشعراء، ورجال الدواوين، والمستخدمين فى القصور السلطانية وغيرهم[259] 0

وكان عمل الدواوين عموما يتلخص فى الإدارة المركزية، والإدارة المحلية، تشمل الإدارة المركزية التراسل وشئون المال وتشمل الثانية إدارة الولايات 0

ديوان الخاتم :

كان معاوية بن أبى سفيان أول من اتخذ ديوان الخاتم وذلك على أثر التزوير الذى وقع فى إحدى رسائله إلى بعض ولاته[260] وقد عرف الختم على الرسائل والصكوك من قبل الإسلام، وقيل كان للأكاسرة أربعة خواتيم 0

فكان على خاتم الحرب والشرط "**الأناة**"0

وعلى خاتم الخراج والعمارة "**التأييد**"0

وعلى خاتم البريد "**الوحاء**"0

وعلى خاتم المظالم "**العدل**"[261] 0

واتخذ الرسولﷺ خاتما من فضة ونقش فيه "**محمد رسول الله** " وكان يختم به الكتب التى كان يبعث بها إلى الملوك والرؤساء، وختم الخلفاء من بعده حتى سقط من يد عثمان بن عفان ﷺ فى بئر أريس، فصنع عثمان آخر على أمثاله[262] فلما كان عهد معاوية رتب وظيفته واتخذ له الديوان، واتخذ كل خليفة من بعد نقشا خاصا لخاتمة، وكانت الكتب الموجهة من دار الخلافة تمر به وتثبت فيه، وتختم بخاتم الخليفة فعلى سبيل المثال نقش الخليفة المأمون خاتمة "**الموت حق**" [263] وذلك بعد أن تكون قد مرت على دواوين عدة، وتم التأكد من صحتها[264]، وبلغ من أهمية الخاتم أنه كان الوزير فى العصر

العباسى إذا تناوله ليختم به كتابا وقف تعظيما للخلافة وإجلالا لاسم الخليفة[265] واستمر هذا الديوان إلى أواسط العصر العباسى ثم ألغى لتحول الأعمال إلى نظر السلاطين[266] 0

ديوان الرسائل :

يبدوا أن تنظيم هذه الوظيفة وترتيب ديوان لها تم فى خلافة عبد الملك بن مروان[267] وعرف ديوان الرسائل باسم ديوان الإنشاء[268] منذ أخريات الدولة العباسية، وعرف باسم ديوان الإنشاء فى الدولة الفاطمية أيضا 0

وكان ديوان الرسائل من الدواوين الجليلة فى الدولة وكان من يتولاه يتمتع بحظوة متقدمة عند الخليفة، وكان يخاطب فى عهد الفاطميين بالشيخ الأجل ويقال له كاتب الدست الشريف، وتسلم إليه المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة، ويأمر بالإجابة عنها، وكان الخليفة يستشير رئيس ديوان الإنشاء فى أكثر الأمور، ولا يحجب عنه متى أراد المثول بين يدى الخليفة[269] 0

وقد أصبح عمل هذا الديوان معقدا، فتعددت اختصاصاته وكثر من يعملون فيه، فقد وجد فيه كتاب رئيسيون يقومون بالكتابة والإنشاء، وآخرون مساعدون يقومون بالتلخيص والتبييض، وكان لابد للعاملين فيه من إتقان اللغة العربية، ومعرفة اللغات الأخرى مثل التركية والفارسية، واليونانية والأرمنية، وكان به أرشيف توضع فيه أصول كل ما يصدر عنه وله مشرف خاص يسمى "الخازن"[270] 0

ديوان البريد :

البريد هو تبليغ إجراءات ولاة الأمر إلى الأطراف، وتوصيل الترتيبات المتعلقة بهذه الأطراف إليها ونقل أخبار هذه الأطراف وحاجاتها إلى ولاة الأمر، ومن ثم الوقوف على مجريات الأمور والأحداث فى الدولة[271]، بمعنى نقل الأوامر الصادرة من الخليفة إلى عماله فى الولايات وإرسال كتب الولاة إلى الخليفة.

قيل فى أصل لفظ البريد أنه فارسى، وهو بريده دم، وقيل بريده ذنب، أى مقصوص الذنب، لأنه كان من عادة ملوك الفرس أنهم إذا أقاموا بغلا فى البريد قصوا ذنبه ليكون ذلك علامة لكونه من بغال البريد 0

وعربت الكلمة وخففت وسميت دابة البريد : بريدا، والرسول الذى يركبها بريدا، والمسافة ما بين السكنين أى المحطتين بريدا، وقدرت هذه المسافة بنحو أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال، أى أن مسافة البريد اثنا عشر ميلا [272] وتعادل 864000 ذراع هاشمى، أو 5184000 شعيرة معترضة ظهر إحداهما لبطن الأخرى[273] 0

كان البريد سنة قديمة وأسلوب متبعا فى عهد الأكاسرة من ملوك الفرس والقياصرة من ملوك الروم وبدأ البريد بهذا منذ عهد الرسولﷺ ومن المهام التى أداها البريد زمن الرسول تلك السفارات التى بعثهاﷺ إلى أكابر الملوك والأمراء كانت مهمتها جميعا هى الدعوة للإسلام، ومثال لذلك البعثات، إلى كسرى، وأمير البحرين وأمير عمان، وإلى قيصر، وإلى المقوقس، وإلى النجاشى وغيرهم، وهذه البعثات كانت أول عمل قام به ديوان البريد[274] 0

وبلغ من اهتمام الرسولﷺ بالبريد أنه أمر عناله أن يبردوا له البريد مع أناس يتوافر فيهم حسن الوجه وجمال الخلقة، وكانﷺ حريصا على توافر تلك الصفات فى من بعثهم إلى الملوك المعاصرين له، وذلك لعلمه بأن المبعوث إنما هو لسان مترجم لرغباته وآرائه، وإذا لم يكن كذلك خسر مهمته ورجع على مرسله بالخسران المبين[275]0

ومن نواحى اهتمام الرسولﷺ بالبريد أنه اتخذ الخاتم وختم به أبو بكر وعمر وعثمان من بعده، وسبب اتخاذ الخاتم أنه قيل أن العجم لا يقبلون كتابا إلا أن يكون مختوما، لأنهم يرون ختم الكتب تعظيما للمكتوب إليه[276] 0

ومنذ عهد الرسولﷺ كانت أخبار الجيوش الإسلامية فى ميادين القتال، وأحوال الأمور فى الولايات تصل إلى ولاة الأمر فى حاضرة الدولة باستمرار، وكانت توجيهات ولاة الأمر تصل الأمصار، والاتصال بين الجانبين لا ينقطع[277]

البريد زمن الراشدين :

ورث أبو بكر الصديقﷺ البريد عن الرسولﷺ وذلك لكثرة الفتوحات، وقيام حركة الردة مما جعل الأمر يستلزم الإبقاء على نظام البريد والاهتمام به، وكان البريد يخرج من المدينة إلى ميادين القتال، وقد حرص الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على إرسال البريد إلى عماله يأمرهم بإعلان الناس عن مواعيد خروج البريد إلى المدينة[278] وحافظ عثمان بن

عفانﷺ على نظام البريد حيث كان يستقصى الأخبار وهو فى المسجد وكان يفعل ذلك يوم الجمعة على وجه الخصوص[279] 0

بريد الأمويين :

لما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبى سفيان واتخذ من دمشق عاصمة للدولة الإسلامية، أنشأ ديوان الخاتم لتنظيم البريد، وأمر بإحضار الدهاقين من الفرس، وأهل عمال الروم وعرفهم ما يريد فوضعوا له البريد[280] وبذلك كان معاوية أول من وضع البريد لوصول الأخبار بسرعة[281] وفى خلافة عبد الملك بن مروان حظى البريد بمزيد من العناية والتنظيم[282] وخص لديوانه رجلا من ثقاته الأوفياء هو قبيصة بن ذؤيب كان يقرأ الكتب الواردة من الأقاليم ويخبر عبد الملك بما جاء فيها[283] 0

ثم يأتى من بعده ابنه الوليد الذى زاد من مهام البريد حيث جعل خيله وابله تحمل الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق ليبطن بها حوائط المسجد الجامع بدمشق، ومساجد مكة، والمدينة والقدس الشريف[284] واهتم عمر بن عبد العزيز بإنشاء خانات للبريد على جوانب الطرق الرئيسية خصوصا بطريق خرسان ليبيت فيها الناس، وأمكنة يقيم فيها الدواب من خيل وجمال، ومياه فى الأحواض للشرب[285] 0

البريد العباسى :

اهتم المهدى بالبريد حيث أقام طريق للبريد بين مكة والمدينة واليمن ولم يكم هناك بريد قبل ذلك، ولم يكتف المهدى بذلك بل اهتم بطريق البريد ومنازله وأقام فيها البغال والإبل[286] 0

واستخدم الخلفاء العباسيون البريد كوسيلة من وسائل استتاب الأمن وقمع الثورات، ولما آلت الخلافة إلى هارون الرشيد أشار عليه يحى بن خالد البرمكى بإجراء البريد والاهتمام به، وبين له فوائده والمزايا التى تجنيها الدولة من العناية به، فأمره الرشيد بإقراره، وكان يحى خير من يضع الأمور فى نصابها فصب نظام البريد فى قالب جديد وجعل له المراكز والبغال وكان لا يجهز عليه إلا الرشيد أو صاحب الخبر[287] وظهرت أهمية البريد خلال عصر الأمين والمأمون وذلك من بغداد إلى خرسان[288] 0

والبريد فى تاريخ الحكم الإسلامى شمل ثلاثة أنواع هى :

الأول : البريد البرى :

وكانت طرقه تمتد من عاصمة الدولة نحو الأمصار، وتنتشر على هذه الطرق منازل أو محطات للبريد، هذه المحطة فى الغالب تتألف من خان ومسجد وسقاية، وفيها دواب البريد ومن يتعدها بالخدمة والعناية [289]، وكانت دواب البريد تضم البغال والخيل والإبل، وكانت معلمه بعلامات مميزة، وكانت تعرف بـ " دواب البريد " وكان توفير الدواب للبريد يتم بطريقتين :

الأولى : ربط الدواب والعناية بها فى الإصطبلات التى كانت تعرف بالإصطبلات السلطانية 0

والثانية : إعطاء إقطاعات للعربان النازلة بالقرب من محطات البريد وتكليفهم بتقديم ما يلزم من الخيل للبريد [290] وعرفت هذه الخيول باسم خيل الشهارة [291] وقد استخدمت النجب من الإبل وكانت العرب تفضلها على غيرها لأنها أسرع من الخيل وأصبر على السير، وكان يطلق اسم النجابون على من ركبها فى هذا السبيل[292] 0

واستعين فى أغراض البريد بوسيلة أخرى وهم الرجال الذين أطلق عليهم اسم الفيوج أو السعادة، وهم رجال خفاف تعودوا على الجرى والصبر على السير حتى كان أحدهم يقطع ثلاث مراحل فى مرحلة واحدة، وقيل أن بعض رجال البربر كان يتبع الفارس فيلحقه، ويجرى وراء الغزال فيقتنصه[293] 0

ويذكر القلقشندى كيفية نقل الخبر بالبريد بقوله : كانت الرسالة تخرج بما يرسم به لمن يركب فى المهمات السلطانية وغيرها، وكان للبريد ألواح من نحاس أو فضة، كان اللوح منها بمقدار الكف أو نحوها، منقوشة على أحد وجهيه ألقاب السلطان، وعلى الوجه الآخر "**لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**" 0

وهذه الألواح كان بها شرابة من حرير أصفر، فإذا حضرت الرسالة إلى كاتب السر دفع إلى البريدى لوحا من تلك الألواح فيجعلها البريدى على صدره، وشرابة الحرير الأصفر يعلقها فى رقبته، وكتب إلى صاحب الإصطبل السلطانى ليفرج له عما يلزم من الخيل، ويختم الكتاب وتسلم إليه، ويكتب له ورقة بالطريق الذى يتوجه بسببه فى دفتر –

ديوان الإنشاء – الرسائل – ولذلك كان ديوان الإنشاء أو الرسائل وديوان البريد مضافين إلى نظر متولى واحد[294] 0

الثانى: البريد الجوى :

وكانت وسيلة الحمام الزاجل الذى كان يتخذ لحمل المكاتبات على شكل بطائق تعلق به ويعرف باسم الهدى من الوسائل التى انتشرت فى العصور الإسلامية والوسطى وقد اعتنى بحمام المراسلات خلفاء بنى العباس وتنافس الناس فى العراق وخاصة بالبصرة فى اقتنائه، وصار الحمام متجرا من المتاجر بين الناس، وبلغ ثمن الطائر الفاره منه سبعمائة دينار، وشاع استعماله زمن السلطان نور الدين محمود وفى زمن الفاطميين، بلغت مسافات طيرانه ما بين القاهرة والبصرة وبين القاهرة ودمشق، وأقيمت له الأبراج فى الطرق، وكان يوضع فى أبراج دمشق من حمام مصر، ومن حمام دمشق فى أبراج مصر[295] 0

وكانت الرسائل التى يحملها هذا الحمام من ورق خفيف يسمى بطائق أو ورق الطير، تحمل تحت جناح الحمام لحفظها من المطر، ثم حملت بعد ذلك فى الذنب وكان يكتب فى هذه الرسائل أمور مختصرة من لب الكلام من غير حشو، وتؤرخ بالساعة واليوم ولا داعى للسنين وحرصا على وصول الرسالة كانت الرسالة تكتب من صورتين ترسلان مع حمامتين تطلق أحدهما بعد الأخرى[296] حتى كان الحمام يصبغ بلون أزرق كلون السماء حتى لا يرى أو يطلى بلون السواد لكى لا يراه العدو إذا أطلق ليلا[297] 0

وكان حمام البريد يميز بعلامات " دغامات " فى أرجلها أو على مناقيرها، وكانت الرسالة إذا مرت بمركز ما كتب الوالى بمرورها إلى أن تصل مختومة [298]

وجرت العادة ألا يطلق الحمام فى الجو الممطر، ولا أن يطلق قبل تغذيته الغذاء الكافى[299] وكانت مغارات الحمام "الأبراج" على بعد أطول مسافة من محطات البريد البرى حيث كانت المسافة بين الواحدة والأخرى تبلغ ثلاثة عشر ميلا[300] وأقام لها نظار وحراسا يراقبون وصول الحمام نهارا وليلا خوفا من أن يمر عليهم وهم عنه غافلون، وكانت أسرع أنواع الحمام تقطع من 40 إلى 50 ميلا فى الساعة، وأقل الأنواع سرعة تقطع من 25 إلى 30 ميلا، وكان متوسط طيران الحمام 35 ميلا فى الساعة[301] 0

الثالث: البريد البحرى :

حيث كانت تستخدم المراكب البحرية، ويقول الحسن بن عبد الله وإذا كانت البلاد بحرية فليكن لصاحب الخبر مراكب خفيفة سريعة وكان الحجاج بن يوسف الثقفى أول من أجرى فى البحر السفن المقيرة السمسرة غير المخرزة والمدهونة[302] 0

وهناك طريقة أخرى للبريد المائى وهى أن توضع الرسالة ضمن صندوق محكم الأقفال ويجعل نقله متوازنا بحيث لا يطفو على وجه الماء ولا يغرق فى قاعه بل يكون متوسطا بينها منعا لظهوره أو وقوفه على الأرض، ثم يلقى فى النهر أو الترعة فيندفع بالماء لغاية مركز الجيش الآخر وهناك يقع فى شباك معدة[303] 0

ومن طرق البريد المائى أنه كانت تكتب الرسالة وتعلق فى قصبة وتغرس القصبة فى باقة حشيش وتلقى فى الماء فيعوم الحشيش ولا يزال جاريا بمجرى النهر حتى يراه المرسل إليه[304] 0

التخاطب بالمشاعل والطبول :

بجانب طرق البريد التى ذكرناها عرفت الدولة الإسلامية طريقة نقل الرسائل والإشارات عن طريق إشعال النيران حيث وضع نظام لاستعمالها وعمال لمراقبتها، وعرفت الأماكن التى تشعل فيها النيران بالمناور، ومواضع رفع النار فى الليل والدخان فى النهار وذلك للإعلام بقدوم عدو[305] وكانت هناك شارات يتفق عليها المنورين عند نقل الخبر، وقد نشر العرب هذه المناور من الإسكندرية حتى طنجة على طول الساحل الأفريقى الشمالى، فإذا وقعت واقعة ذات خطورة أوقدت النيران من طنجة ولا تزال من برج إلى أخر حتى يبلغ ذلك الإسكندرية فى ليلة واحدة ومن طرابلس إلى الإسكندرية تصل الرسالة النارية فى ثلاث ساعات إلى أربع ساعات[306] 0

أما الطبول فقد استخدمت أيضا للتخاطب ونقل الأوامر ومثال لذلك أن الأفشين قائد الخليفة المعتصم بالله العباسى عندما كان يحارب الثائر بابك الخرمى وتعذر اتصاله بجنده فى ميدان القتال لكثرة الدروب وتشعب الطرقات بين جبال أذربيجان العظيمة الارتفاع والكثيرة الالتواء استعان بالطبول لإعلان قواته بحركات سيره ووقوفه، وبلغت طبوله الكبار واحد وعشرين طبلا [307] 0

ديوان الطراز :[308]

كان ديوان الطراز معروفا لدى الفرس والروم، إلا أن هذه الوظيفة لم تنشأ فى عهد الرسولﷺ وعهد الخلفاء الراشدين رضى اللع عنهم وذلك لبعد الحكم الإسلامى فى هذه الفترة عن أبهة الملك وفخامة السلطان إنما ظهرت فى عهد بنى أمية[309]

وكان ديوان الطراز يشرف على دور الطراز، المعامل، المصانع[310] التى كانت تقوم بصناعة الثياب والملابس الخاصة بالخلفاء والسلاطين وحاشيتهم، كما كان يصنع بها الشارات والأعلام والفساطيط وملابس الجند وغيرها، وكان الخلفاء يقلدون هذه الوظيفة بخواص دولتهم وثقات مواليهم، فكان صاحب ديوان الطراز ينظر فى أمور الصباغ والآلة والحاكة فى دور الطراز وإجراء رزقهم ومشارفة أعمالهم، ولما تعددت الدول وضعفت تعطلت وظيفة ديوان الطراز[311] 0

ديوان الصدقات :

ويقوم هذا الديوان بالنظر فى الأموال المستحقة فى أموال المسلمين، وهى أموال ظاهرة لا يمكن إخفاؤها كالزرع والثمار والمواشى، وأموال باطنة يمكن إخفاءها كالذهب والفضة وعروض التجارة[312] وإذا أخذت زكاة هذه الأموال صار الحال إلى توزيعها فى الأصناف الثانية التى ذكرها الله تعالى فى كتابة العزيز ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[313] 0

- **الفقراء** : هم الذين لا شئ لهم 0
- **المساكين** : أسوأ حالا من الفقير لأن المسكين هو الذى أسكنه العدم 0
- **المؤلفة قلوبهم** : هم المسلمون حديثا أو الذين أضيروا بسبب إسلامهم 0
- **معنى الرقاب** : ما ينفق من الزكاة لتحرير العبيد0
- **الغارمون** : هم الذى استدانوا لحاجة وعجزت مصادرهم عن سداد ديونهم0
- **وفى سبيل الله** : الغزاة الذين لم يفرض لهم فى ديوان العطاء0
- **ابن سبيل** : هو المسافر المنقطع الذى لم يتبق معه ما يستعين به على سفره0
- **العاملين عليها** : هم عمال الزكاة أو جامعوها، فيدفع لهم أجرهم0

ديوان النفقات :

وكان من اختصاصه النظر فى مصروفات الدولة، واستمر عمل هذا الديوان خلال العصر العباسى، وصار يضم المجالس التالية :

- **مجلس الجارى :** ويختص بأمر استحقاقات الحشم 0
- **مجلس الإنزال :** ويقوم بمحاسبة التجار الذين يتولون تقديم الطعام فى حالة الإقامات والإنزال 0
- **مجلس الكراع :** ويباشر أمر العلوفة الخاصة بالدواب وسياستها وعلاجها وأرزاق القائمين عليها 0
- **مجلس البناء والمرمة :** ويتولى محاسبة الزراع والمهندسين والصناع وباعة مواد البناء 0
- **مجلس الحوادث :** ويقوم بتولى أمر النفقات الطارئة 0
- **مجلس الإنشاء ومجلس النسخ** لتسجيل كل ذلك [314] 0

ديوان بيت المال :

ويعرف بالديوان السامى، وهو أصل الدواوين ومرجعها إليه، ووظيفته ثبت جميع أصول الأموال السلطانية على أصنافها من عين وغلال وفئ وغنائم وأعشار وأخماس ويثبت ما تحصل من ذلك، ويتخذ بيوتا لأصناف الأموال ويجعل عليها دواوين وحرسا، فالأموال والقماش لها ديوان الخزانة، والغلال لها ديوان الأهراء، والأسلحة والذخائر لها ديوان خزائن السلاح[315] 0

ويكون لصاحب هذا الديوان علامة على الكتب والصكاك والاطلاقات يتفقدها الوزير وخلفاؤه ويراعونها ويطالبون بها، وكان الوزير يطالب صاحب المال برفع حساب فى كل أسبوع، ليعرف ما حل وما قبض وما بقى[316] وكان من واجبات صاحب بيت المال أن يقدم فى آخر كل شهر حسابا كان يطلق عليه اسم "الختمة" وحسابا فى آخر السنة يسمى ختمة جامعة[317] 0

وإلى جانب هذه الدواوين التى بدأت فى عهد الخلفاء الراشدين أو فى عهد الخلفاء من بنى أمية واكتسبت فى العهود التالية مزيدا من الترتيب والتنظيم فى الغالب ظهرت

هناك دواوين أخرى ترجع فى معظمها إلى العصر العباسى ومن عاصرهم أو من جاء بعدهم ومنها الآتى :

- ديوان الأحشام : وهو ديوان الذين كانوا فى خدمة البلاط 0
- ديوان الحوائج : واختص بجمع الرقاع – الشكاوى – من المشتكين وتقديمها للخليفة 0

وقد ذكر اليعقوبى هذين الديوانين فى عداد الدواوين التى نقلها أبو جعفر المنصور إلى بغداد سنة 146هـ / 763م حين أتم بناءها[318] 0

- ديوان المصادرين: لتسجيل أسماء من صودرت أموالهم ومقدار ما صودروا عليه0
- ديوان الضياع : واختص بإدارة ضياع الخليفة وأسرته وجميع هذه الدواوين كانت فى خلافة أبى جعفر المنصور[319] 0
- ديوان الصوافى : وكان يتولى إدارة الأراضى التابعة لنظر خليفة المسلمين[320] 0
- ديوان الموالى والغلمان : واختص بتسجيل موالى الخليفة وعبيده [321]0
- ديوان المواريث : وكان يختص بأموال من لا وارث له أو توفى ويرث أقاربه جزء من تركته فيصبح الجزء الباقى من حق ديوان المواريث الغاه الخليفة المعتضد سنة 283هـ / 896م، حيث أمر برد الفاضل من تركة المواريث على ذوى الأرحام[322] 0
- ديوان الجهبذه : وكان يتولى النظر فى الحسابات المالية وتدقيق موارد المال وبقايا أموال المطالبات التى كان يتعذر على أهل الخراج أداؤها فى وقت المطالبة[323] 0
- ديوان الأكرة : وكان يشرف على القنوات والترع والجسور وشئون الرى
- ديوان الماء : وكان يحفظ فيه خراج كل من أرباب المياه وينظر فيما يملكه أرباب المياه من الماء وما يباع وما ينقص منه[324] 0

وذكر المقريزى من الدواوين عند الفاطميين ديوان النظر، وكان ينظر فى دواوين المال، وديوان المجلس وكان ينظر فى الإقطاعات[325] 0

ومما سبق يلاحظ كثرة الدواوين ونجد أن سبب ذلك هو اهتمام ولاة الأمر بشئون الدولة والأمة، فكلما ظهرت مصلحة الأمة فى شئ سارع الحكام إلى إنشاء دائرة – أى ديوان – لرعايتها والقيام على شئونها 0

ولذا كثرت الدواوين، وكبر الجهاز الإدارى فى الدولة الإسلامية متماشيا مع المصالح وكثرتها 0

غير أن الضعف الذى صار إليه شأن الخلافة بعض الوقت خلال القرن الثالث الهجرى وفى القرن الرابع الهجرى أدى إلى ضعضعة الجهاز الإدارى، لاستيلاء الأتراك على أمور الدولة وبخاصة فى عصر إمرة الأمراء، ومضايقتهم للعمال حتى اضطرهم إلى بذل المرافق لهم، فاقتنى الأتراك الأملاك، وتغلبوا على حقوق بيت المال، وتشبه بهم الديلم – البويهيون – فكسروا على السلطان حقوقه وانقطعت الحمول إلى بغداد وأزيلت سوق الدواوين وأبطلت[326] 0

كان المسجد الجامع أول الأمر مركز الإدارة مثلما كان مركز العبادة والمجمع والمحكمة وديوان المال والمدرسة وكل ما له علاقة بالسلطان والسكان، ثم انفصلت هذه الوظائف عن المسجد عدا وظيفة العبادة، واستقلت بمنشئات أقيمت خاصة لهذه المصالح، ففى بغداد كان حول القصر بيت المال، وخزائن السلاح، وديوان الرسائل، وديوان الخراج، وديوان الخاتم، وديوان الجند، وديوان الحوائج، وديوان الأحشام، وديوان النفقات[327] 0

وكانت الدواوين خلال العصر الفاطمى موجودة بدار الإمارة إلى جوار الجامع الطولونى بالقاهرة، ثم نقلها يعقوب بن كلس وزير الخليفة العزيز بالله إلى داره، فلما مات يعقوب نقلها العزيز إلى القصر، ثم بنيت لها دار أطلق عليها، "دار الملك" ونقلت الدواوين إليها ثم أعيدت من بعد ذلك إلى القصر[328] 0

وكان يقوم بوظائف الديوان فئة من الناس أطلق عليهم اسم "الكتاب" وكان يشرف عليهم رئيس أطلق عليه اسم "صاحب الديوان"أو متولى الديوان وكان أصاحب الدواوين فى حاضرة الدولة مسئولين أمام الخليفة وفى الولايات مسئولين أمام الوالى، ولما استحدث منصب الوزارة، صارت أمور الدواوين ترجع إلى نظر الوزير نيابة عن الخليفة فى كل ما يتصل بها من تعيين وعزل واستحداث واستغناء، ويتصفح أحوالها وسير أعمالها وضبط أمورها 0

مصادر ومراجع الفصل الثاني

1- سورة النجم :آية 3،4 0

2- **محمد الخضرى** : محاضرات فى تاريخ الأمم، جـ2، ص156 0

3- **سورة آل عمران :الآية 144، محمد الخضرى** : الأمم الإسلامية، جـ2، ص156 0

4- **محمد بطاينه** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص41 0

5- المائدة آية 3 0

6- **فتحية النبراوى** : نظم الدولة الإسلامية في المشرق "دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية" المجلد الثانى، ص166 0

7- **أبو زيد شلبى** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص82 0

8- **محمد الخضرى** : الأمم الإسلامية، جـ1 ص162، **محمد بطاينة** : تاريخ الحضارة، ص44

9- **ابن الأثير** : الكامل فى التاريخ، جـ1 ص178، **ابن قتية** : الإمامة والسياسة، جـ1 ص13

10- الماوردى: الأحكام السلطانية، ص7، **أبو زيد شلبى** : الخلفاء الراشدين، ص60

11- الماوردى : الأحكام السلطانية، ص7،8، **الغزالى** : إحياء علوم الدين، جـ2 ص34، **أبو زيد شلبى** : الخلفاء الراشدون، ص1-2

Rosenthal . , F : political thought in medieral Islam , cambridge , 1962 . p34 .

12- **على ابن أبى بكر الهروى** : التذكرة الهروية فى الحيل الحربية، ص8 0

13- **ابن خلدون** : المقدمة، ص200 0

14- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص28، 29 ، **إبراهيم العدوى**: تاريخ الوطن العربى وحضارته، ص193 0

15- أنظر السجلات المستنصرية 0

16- **الجهشيارى** : الوزارة والكتابة، ص15 0

17- **ابن خلدون** : المقدمة، ص182 0

18- **ابن خلدون** : المقدمة، ص185 0

19- **ابن خلدون** : المقدمة، ص186 0

20- **الطبرى**:تاريخه، جـ3، ص 427 **ابن خلدون** : المقدمة، ص133-137 ، **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص146 0

21- **حسن إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص172 0

22- **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص148 0

23- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص9 0

24- **ابن خلدون** : المقدمة، ص137 0

25- **إبراهيم طرخان** : دولة المماليك الجراكسة ، **على حسن الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص147 0

26- الشورى : آية 83 0

27- آل عمران آية 159 0

28- **ابن سعد** : الطبقات جـ2 ص141، 196، **البلاذرى** : أنساب الأشراف جـ5 ص15 0

29- **أبو زيد شلبى** : الحضارة الإسلامية ص85 0

30- **محمد بطاينة** : الحضارة الإسلامية، ص54 0

31- **الماوردى** : الأحكام، ص199 0

32- **أبو يوسف** : كتاب الخراج ، **أبو زيد شلبى** : الحضارة الإسلامية، ص86 0

33- **أبو زيد شلبى** : الحضارة الإسلامية، ص86 0

34- **الطبرى** : تاريخه جـ1 ص177 ، **ابن خلكان** : وفيات، جـ1 ص288، **إبراهيم بركات** : السياسة والمجتمع، ص148، **ابن حجر** : الإصابة، جـ1 ص524 0

35- الطبرى : تاريخه جـ6 ص427 ، **محمد بطاينة** : الحضارة الإسلامية، ص55 0

36- **محمد بطاينة** : الحضارة الإسلامية، ص56، 57 0

37- **الطبرى** : تاريخه، جـ8، ص14، 92 0

38- **الطبرى** : تاريخه، جـ8، ص207، جـ9، ص36 0
39- **محمد بطاينة** : الحضارة الإسلامية، ص57 0
40- **محمد بطاينة** : الحضارة الإسلامية، ص58 0
41- **ابن الأثير** : الكامل، جـ6، ص277 0
42- **حسن إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص68-73 0
43- **حسن إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص91 0
44- **محمد بطاينة** : الحضارة الإسلامية، ص60 0
45- ابن خلدون : المقدمة، ص186 0
46- سورة طه الآيات 32،29 0
47- سورة الفرقان آية
48- **ابن بحشل** : تاريخ واسط، ص206 0
49- الماوردى : الأحكام السلطانية : ص24-26 0
50- **حمدى المناوى** : الوزارة والوزراء، ص10 0
51- **أحمد أمين** : ضحى الإسلام، جـ3، ص164 0
52- سورة القيامة آية 11 0
53- **الماوردى** : الأحكام، ص14 0
54- **ابن خلدون** : المقدمة، جـ2 ص603 0
55- **اليعقوبى** : تاريخه، جـ2 ص8، **ابن الأثير** : الكامل، جـ2 ص130 0
56- **الطبرى** : تاريخ جـ3 ص220 0
57- **محمد بطاينة** :فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص60، **حمدى المناوى** : الوزارة والوزراء، ص12 0
58- **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية، ص184 0
59- **ابن خلدون** : المقدمة، جـ2 ص603، **ضياء الدين الريس** : النظريات السياسية الإسلامية، ص223 0
60- **الجهشيارى** : الوزراء والكتاب، ص84-86 0

61- **ابن الطقطقى** : الفخرى فى الآداب السلطانية، ص156 0

62- **الطبرى** : تاريخه، جـ8 ص233-265 0

63- **القلقشندى** : صبح جـ3 ص478 0

64- **ابن خلدون** : المقدمة، ص179 0

65- **على ابن أبى بكر الهروى** : كتاب التذكرة الهروية ص9 0

66- **محمد ضيف الله** : تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص69 0

67- **ابن الطقطقى** : الفخرى فى الآداب السلطانية : ص232، 244، 280 0

68- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص27 0

69- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص28 0

70- **الماوردى** : الأحكام ص28 0

71- **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية، ص186 0

72- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص28،29، **عبد المنعم ماجد** : نظم الفاطميين، ص84 0

73- **حمدى المناوى** : الوزارة والوزراء، ص27 0

74- **إبراهيم العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته، ص194 0

75- **إبراهيم العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته، ص194 0

76- **ابن خلدون** : المقدمة، ص178 0

77- **ابن خلدون** : المقدمة، ص179 ، **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ص69، **عبد المنعم ماجد** : الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، ص34 **0**

78- **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية، ص181 0

79- **ابن هشام** : السيرة النبوية، جـ4 ص246، **خليفة بن خياط:** تاريخه، ص96،97، **أبو زيد شلبى** : الحضارة ص175 0

80- **الطبرى** : تاريخه، جـ2، ص400 ، **أبو زيد شلبى** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص175

81- **أبو زيد شلبى** : الحضارة، ص176، **محمد الخضرى** : تاريخ الأمم الإسلامية، ص242،241 0

82- **أبو يوسف** : الخراج، ص66 0

83- **محمد الخضرى** : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية، ص315،314 ، **أبو زيد شلبى** : الحضارة، ص177 0

84- **محمد بطاينة** :فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص70، **تاريخ الطبرى** : جـ3، ص427

85- خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط، ص123، **الطبرى** : تاريخ جـ3 ص427 **0**

86- **أبو يوسف** : الخراج، ص66 0

87- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى، ص92 0

88- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص30 0

89- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص1 0

90- **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية، ص182 0

91- **الطبرى** : تاريخ جـ4، ص203، جـ5 ص316 0

92- **الطبرى** : تاريخ جـ8، ص315 0

93- **الهروى** : التذكرة و الهروب، ص10 0

94- **الهروى** : التذكرة، ص10 0

95- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص33 0

96- **إمارة الاستيلاء** : هى التى تعقد عن اضطرار، فهى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد ويضطر الخليفة إلى تفويض تدبيرها وسياستها إليه استدعاء لطاعة الأمير المستولى، وحرصا على اجتماع الكلمة ووحدة الدولة، مثل الدويلات المستقلة فى الدولة الإسلامية، **الماوردى الأحكام** : ص33، 34

97- **محمد بطاينة** :فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص72، 73 0

98- الكندى : الولاة والقضاة ص32، **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص105 **0**

99- **أبو المحاسن** : النجوم، جـ2، ص308 0

100- **محمد بطاينة** :فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص78، 79 0

101- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص263 0

102- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى فى الإسلام، ص94 0

103- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى، ص94 0

104- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص263 0

105- **حسن إبراهيم وعلى إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص140 0

106- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى فى الإسلام، ص263 0

107- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص263 0

108- **ابن طباطبا** : الفخرى، ص213 0

109- **ابن الأثير** : الكامل، جـ1 ص291 0

110- **حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص139، 141 0

111- **الهروى** : التذكرة، ص9 0

112- **الهروى** : التذكرة، ص10 0

113- **الدينورى** : الإمامة والسياسة، ص179 0

114- **الطبرى** : تاريخه، جـ5 ص338 0

115- **محمد الخضرى** : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية، ص441 0

116- **محمد الخضرى** : محاضرات فى تاريخ الأمم الإسلامية، ص223-226، ص441 0

117- **الدينورى** : الإمامة والسياسة، ص213 0

118- **يوسف العش** : تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص43، 44 0

119- **البغدادى** : تاريخ بغداد، جـ10، ص112 0

120- **ابن طباطبا** : الفخرى، ص172، 173 ، **الطبرى** : تاريخه جـ2 ص435 0

121- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص15 ، **الطبرى** : تاريخه جـ2، ص296،240 0

122- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص15 0

123- **المسعودى** : مروج الذهب جـ3 ص264 0

124- **ابن طباطبا** : الفخرى ص214 0
125- **اليعقـوبى** : تاريخـه، جـ8 ص500 ، **يوسـف العـش** : تـاريخ عصـر الخلافـة العباسية ص84 0
126- **ابـن طباطبـا** : الفخرى : ص243، 244 ، **فتحيـة النبـراوى** : النظم الإسـلامية، ص181 0
127- **فتحية النبراوى** : النظم الإسلامية، ص181 0
128- **على حسنى الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص256، 257 0
129- **حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص35 0
130- **حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص140 0
131- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى فى الإسلام، ص93 0
132- **حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص141 0
133- **حسن إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص180، **الخربوطلى** : العرب والحضارة ص180
134- **جمال الدين سرور** : الدولة الفاطمية، ص38، 39 0
135- **عبد المنعم ماجد** : نظم المماليك، ص55 0
136- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص263 0
137- **الجهشيارى** : الوزراء والكتاب، ص74-77 0
138- **الحسن بن عبد الله** : آثار الأول فى رتيب الدول، ص67-72 0
139- **الجهشيارى** : الوزراء والكتاب، ص132 0
140- **الجهشيارى** : الوزراء والكتاب، ص126 0
141- **المقريزى** : الخطط جـ2 ص115 0
142- **الجهشيارى** : الوزراء والكتاب، ص53 0
143- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص164 0
144- البقرة / آية 213 0
145- المائدة / آية 49 0

146- **ابن خلدون** : المقدمة، ص165 0
147- محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص79 **0**
148- **ابن هشام** : السيرة، جـ2 ص149 0
149- **الهروى** : التذكرة، ص11 0
150- **الطبرى** : تاريخه جـ3، ص426 0
151- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص80 0
152- **ابن خلدون** : المقدمة، ص173-175 ، **محمد الخضرى** : محاضرات فى تاريخ الأمم جـ8 ص386 0
153- **اليعقوبى** : تاريخه، جـ2، ص401 0
154- **الدينورى** : الإمامة والسياسة، ص312 0
155- **الكندى** : الولاة والقضاة ص590 ، **السيوطى** : حسن المحاضرة، جـ2 ص91 0
156- **السيوطى** : حسن المحاضرة، جـ2 ص99 0
157- **أحمد تيمور** : المذاهب الفقهية الأربعة، ص15 0
158- **أحمد تيمور** : المذاهب الفقهية الأربعة، ص16 0
159- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص65، 66 0
160- الكندى : كتاب الولاة والقضاة، ص312، **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص87 0
161- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص85 0
162- **محمد الخضرى** : الأمم الإسلامية ،ج2، ص387 0
163- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص66 0
164- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ص81 0
165- **الماوردى** : الأحكام، ص58 0
166- **الكندى** : كتاب الولاة والقضاة، ص325 0
167- **الكندى** : كتاب الولاة والقضاة، ص346 0
168- **الكندى** : الولاة والقضاة، ص348 0

169- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص48، 49 0

170- **ابن خلدون** : المقدمة، ص166 0

171- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص49 0

172- **هويدا رمضان** : المجتمع المصرى جـ1 ص312 0

173- **ابن خلدون** : المقدمة، ص166 0

174- **الطبرى** : تاريخه جـ7 ص66 0

175- **الكندى** : ولاة مصر، ص59 0

176- **القلقشندى** : صبح جـ10، ص387 0

177- **الكندى** : الولاة، ص588 0

178- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص84 0

179- **الكندى** : الولاة، ص588 ، **المقريزى** : الخطط جـ2، ص246 ، **القلقشندى** : صبح جـ3، ص487 0

180- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص49،48 0

181- **خليفة بن خياط** : تاريخه ص427،200،150 0

182- **ابن قتيبة** : المعارف، ص216 0

183- **الكندى** : كتاب الولاة والقضاة، ص317، 435 0

184- **الماوردى** : الأحكام، ص79، **القلقشندى** : صبح، جـ3، ص526 ، **المقريزى** :الخطط، جـ2، ص246 0

185- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص194 0

186- **الماوردى** : الأحكام، ص201،200-205 0

187- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة، ص54 0

188- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص204-206 ، **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص269

189- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص194، **ابن خلدون** : المقدمة، ص166 0

190- آل عمران : آية 104 0

191- محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة، ص93-62 0

192- **الشيزرى** : نهاية الرتبة، ص62، **الخربوطلى** : حضارة العرب ص170 0

193- **سهام أبو زيد** : الحسبة، ص47 0

194- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص170، 71 0

195- **ابن الأخوة** : معالم القربة، ص12 0

196- البقرة / آية 44 0

197- **فتحية النبراوى** : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص112، **سهام أبو زيد** : الحسبة، ص116 0

198- **انظر ابن الأخوة** : معالم القربة ، **القلقشندى** : صبح الأعشى، جـ5، ص491، **القريزى** : الخطط جـ2 ص342 ، **ابن خلدون** : المقدمة ص178 ، **سهام أبو زيد** : الحسبة فى مصر الإسلامية 0

199- **المقريزى** : إغاثة الأمة، ص19 0

200- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص58 0

201- الشرطة : كلمة مشتقة من الشرط أى العلامات التى كان أصحاب الشرطة يضعونها فوق ملابسهم من أجل أن يعرفهم الناس ، **القلقشندى** : صبح جـ2، ص423،405 0

202- **الفيروز أبادى** : القاموس المحيط، مادة الشرطة 0

203- **الطبرى** :تاريخه، جـ4، ص205 0

204- **خليفة بن خياط** : تاريخه، ص179 0

205- **حسن إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص217 0

206- **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص105 ، **ابن دقماق** : الانتصار جـ4، ص6 0

207- **الكندى** : الولاة، ص192، **أبو المحاسن** : النجوم جـ2، ص21 0

208- الطبرى : تاريخ، جـ5، ص222 **0**

209- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ص135 0

210- **أحمد فريد رفاعى** : عصر المأمون جـ1، ص327 0

211- **ابن خلدون** : المقدمة، ص188 0
212- **أبو المحاسن** : النجوم، جـ2 ص26 0
213- **أحمد عبد الرازق** : شرطة القاهرة ص13 0
214- **أحمد عبد الرازق** : تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص37 0
215- **القلقشندى** : صبح جـ1 ص89، 90 0
216- انظر مادة الديوان : فى القاموس المحيط للفيروزآبادى، ولسان العرب **لابن منظور 0**
217- **الماوردى** : الأحكام، ص173 0
218- **ابن الأثير** : الكامل، جـ1، ص230 0
219- **الطبرى** : تاريخه جـ1، ص162 0
220- **البلاذرى** : فتوح البلدان، ص436 0
221- **النويرى** : نهاية الارب، جـ8، ص198 0
222- **ابن خلدون** : المقدمة، ص244 0
223- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص83 0
224- **ابن خلدون** : المقدمة، ص192 0
225- **الطبرى** : تاريخه جـ6، ص180 0
226- **المقريزى** : الخطط، جـ1، ص158 0
227- **الكندى** : الولاة، ص80 ، **المقريزى** : الخطط جـ1، ص175 0
228- **القلقشندى** : صبح، جـ3، ص49 0
229- **المقريزى** : الخطط جـ2، ص352 0
230- **قدامة بن جعفر** : الخراج وصنعة الكتابة، ص21-23 0
231- **المقريزى** : الخطط جـ2، ص114 0
232- **الطبرى** : تاريخه، جـ5، ص330 0

الفصل الثالث: النظم المالية

- الإيرادات
- النفقات
- النقود الإسلامية
- المكاييل والموازين والمقاييس

الفصل الثالث

النظام المالي

أقام الإسلام نظامه المالى على قاعدة هامة هى عدم الاستغلال مهما بدا من وراء ذلك أحيانا من اختفاء بعض المصالح المادية العاجلة، كما أدار الإسلام نظامه المالى حول غاية أساسية هى تحقيق التكامل بين أفراد المجتمع الإسلامى 0

وقد نما النظام المالى الإسلامى فى خط متواز مع نمو الدولة الإسلامية وتعدد وظائفها، فيلاحظ أن هذا النظام فى صدر الإسلام – أى فى عهد الرسول ﷺ وعصر أبى بكر وأول عهد عمر، كان بسيطا ببساطة الحياة الإسلامية الأولى، ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فى عهد عمر، وحوت العديد من الجنسيات والنحل ودخل المسلمون أحيانا فى معاملات مالية مع الأمم الأخرى، بدأت تلح عليهم ضرورة تطوير نظامهم المالى بما يتلائم مع الحاجات الجديدة 0

وقد اجتهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ووضع كثيرا من أسس النظام المالى فى الإسلام، وجاءت اجتهاداته متسقة تماما مع القيم الإسلامية، ولم تتجمد النظم المالية فى الإسلام عند عصر عمر بل نمت وتطورت فى عهدى عثمان وعلى رضى الله عنهما، وفيما تلاهما من عهود 0

وأول ما ينبغى أن نتناوله فى النظام المالى هو الموارد المالية الأساسية للدولة الإسلامية وهى الموارد التى شكلت ركيزة النظام المالى فى الإسلام 0

موارد بيت المال :

وكانت موارد بيت المال فى الدولة الإسلامية الغنائم والفيئ، والخراج والجزية والزكاة والعشور، وخمس المعادن، وتركة من لا وارث له وهذه الأقسام الأصلية يدخل تحتها فروع صغيرة 0

الزكاة :

هى البركة والنماء، وفى الشرع حصة من المال ونحوه يوجب الشرع بذلها للفقراء ونحوهم[1]، وزكى أصل يدل على نماء وزيادة، ويقال الطهارة زكاة المال وقال بعضهم

سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاة المال وهى زيادته ونماؤه وقال بعضهم سميت زكاة لأنها طهارة وجاء ذلك فى قوله تعالى﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾ [2] 0

والزكاة فى الاصطلاح هى مقدار معين من المال – نقدا كان أم عينا – يدفعه المسلم مخيرا للإمام أو نائبة وأن يوزعها بنفسه لفئات معينة بشروط خاصة[3]، وقد ثبت مشروعية الزكاة بنص القرآن الكريم فى آيات عديدة : قال تعالى : ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[4] وقال جل شأنه : ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**﴾[5] وقال تعالى : ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾[6] 0

والزكاة والصدقة شئ واحد وكان لها ديوان خاص بها فى دار الخلافة له فروع فى سائر الولايات، فكان على المسلمين أن يؤدوا الزكاة على الأموال التى تبلغ النصاب، ويحول عليها الحول وتختلف قيمة النصاب باختلاف الأنواع التى تجب فيها الزكاة0

حكمها ودليل مشروعيتها :

الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة وهى فرض على كل مسلم ومسلمة بفروضها0 ودليل مشروعيتها من الكتاب فى قوله تعالى : ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾[7]، وقوله تعالى : ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾ [8] ومن السنة قوله ﷺ لما بعث معاذ إلى اليمن : " ادعهم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم"[9] 0

هذا وقد أجمع المسلمون فى كل الأمصار والعصور على فرضيتها، أما عن حكمة مشروعيته الزكاة فالحكمة التى أرادها الشارع تتمثل فى أن الزكاة فيها معنى التطهير، وأنها مظهر من مظاهر العبودية الصادقة لله، وفيها معنى النماء والصلاح والزيادة، وهى مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي فى المجتمع المسلم، وعلاجا للكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ولها أثر واضح فى تفتيت الثروة وتوزيعها بالمنظور الاقتصادي[10] 0

أما عن إثم مانع الزكاة قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[11]، وقالﷺ : من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له ربيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ للهمزتين – يعنى شدقيه – ثم يقول أنا مالك أنا كنزك "[12] 0

كما قال "ما من صاحب ابل أو بقر أو غنم لا يؤدى حقها إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمنه تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت أخراها ردت عليه أولاها حتى يفضى بين الناس"[13] 0

خصائص الزكاة :

- أنها فريضة واجبة على المسلم إذا توافرت شروط أدائها، كما حدد سبحانه وتعالى مقدارها الذى لا يجوز تعديله 0
- أنها عبادة يتقرب بها المسلم إلى ربه ومن شأن العبادة أن يؤديها الإنسان عن طواعية ورضا نابعين عن نفسه، وإلا فمن حق الإمام أن يأخذها من القادرين عليها فى حالة امتناعهم عن أدائها جبرا عنهم ولو باستعمال القوة[14] 0
- انعدام المقابل : فالزكاة لا يدفعها المسلم مقابل نفع مادى دنيوى وإنما يدفعها بوصفه عضوا فى مجتمع مسلم يتمتع بحمايته 0
- فى المصارف : فمصارف الزكاة محددة وواضحة يستطيع المسلم معرفتها ودفع زكاته إليها وهى ذات طابع إنساني لا يمكن لولاة الأمور تعديلها 0
- المسئولية الدينية فى التهرب منها أو منعها 0

شروط وجوب الزكاة :

شروط المزكى : يجب أن تتوافر فى المزكى الشروط التالية :

- الإسلام : فهى لا تجب إلا على المسلم لأنها ركن من أركان الإسلام 0
- الحرية : لا تجب على العبد والمكاتب لأن العبد لا يملك شيئا والمكاتب ملكه ضعيف 0
- ملكية المال : يجب أن يكون المزكى مالكا للمال ملكا تاما بحيث يكون مالكا للرقبة وحائزا للمال فى نفس الوقت 0

شروط المال المزكى :

- ملك النصاب : وهو المقدار الذى ينبغى أن يبلغه المال كى يكون محلا لوجوب الزكاة فيه ودليل ذلك قولهﷺ : " ليس فيما دون خمس أو سق صدقة " 0
- حولان الحول : هذا شرط فى النقدية والماشية وعروض التجارة، وليس ضرورى فى زكاة الزروع والمعادن 0
- النماء : أن يكون المال ناميا بالفعل قابلا للنماء، كزيادة الإبل والبقر بالتوالد، وزيادة المال بالتجارة 0
- أن يكون المال فاضلا عن الحوائج الأصلية 0
- أن يكون سالما من الدين[15] 0

– **فهناك زكاة الذهب والفضة** " أو ما يسمى زكاة النقد " ونصاب الذهب عشرون مثقالا أى خمسة وثمانون جراما، ونصاب الفضة مائتا درهم، وفى نصاب الذهب والفضة مقدارها ربع العشر أى 2.5% إذا حال عليها الحول، وتعامل النقود بأنواعها معاملة الذهب والفضة[16] 0

– **زكاة عروض التجارة :** وكانت تؤخذ من التجار على ما يتاجرون فيه من متاع عن الذهب والفضة، ويجب عليها ربع العشر إذا بلغت قيمتها نصابا من الذهب والفضة وحال الحول كامل[17]0

– **زكاة الزروع والثمار** : ونصابها أربعة اردب أو ما يعادلها بالوزن وهو 650ك تقريبا، ومقدارها (10%) إذا كانت الأرض تروى بالراحة أو بمياه الأمطار أو بنسبة 5% إذا كانت تروى بآله، أما إذا سقى السنة بكلفة ونصفها بغير كلفة ففيه ثلاثة أرباع العشر، وإذا سقى بأحدهما أكثر من الآخر اعتبر أكثرهما، وإن جعل المقدار غالبا العشر لأن الأصل وجوب العشر[18] 0 وتجب هذه الزكاة على الزروع والثمار بمجرد حصادها[19]0

– **زكاة النعم** (بفتح النون والعين) وهى الإبل والبقر والغنم، ونصاب الإبل يبدأ من خمسة، والبقر والجاموس يبدأ من الثلاثين، والغنم من أربعين[20] وتسمى السوائم أى

التى ترعى الكلأ، أما إذا كانت عاملة أو معلوفة فليس فيها زكاة على أصح الأقوال[21] والخيل إذا اعتبرت آله من آلات الحرب فلا زكاة عليها[22]

يتحدد نصاب **زكاة الإبل** على النحو التالى :

- إذا بلغت 5–9 ففيها شاه 0
- إذا بلغت 10–14 فيها شاتان 0
- إذا بلغت 15–19 فيها ثلاث شياه 0
- إذا بلغت 20–24 فيها أربع شياه 0
- إذا بلغت 25–35 ففيها بنت مخاض ما كانت فى السنة الثانية 0
- إذا بلغت 36–45 ففيها بنت لبون ما كانت فى السنة الثالثة 0
- إذا بلغت 46–60 ففيها حقه ما كانت فى السنة الرابعة 0
- إذا بلغت 61–75 ففيها جذعة فى السنة الخامسة 0
- إذا بلغت 76–90 فيها بنتا لبون 0
- إذا بلغت 91–120 ففيها حقتان 0
- إذا بلغت 121–129 ففيها ثلاث بنات لبون 0
- إذا بلغت 130–139 ففيها حقتان بنت لبون 0

ونلاحظ مما تقدم أن بعد 120 فى كل (40) كاملة بنت لبون وفى كل (50) حقه0

البقر :

- إذا بلغت 30–39 ففيها تبيع أو تبيعه وهو العجل الذى يبلغ سنة كاملة 0
- إذا بلغت 40–59 ففيها مسن أو مسنه وهو ما يبلغ من العمر سنتان 0
- إذا بلغت 60–69 ففيها تبعان 0
- إذا بلغت 70–79 ففيها مسنه وتبيع 0
- إذا بلغت 80–89 منها مسنتان 0
- ويتغير فرض النصاب فى كل عشرة من تبيع إلى حسنة، والفرق بين الفرضين عضو – فإذا بلغ 90 مثلا فالزكاة ثلاث تبعات والتسعة التى بعد (90) عضو[23]0

وكان لصدقة " الزكاة " عمال يختصون بجمعها فى الولايات الإسلامية وكان لا يجوز أن يتولى عمال الخراج جبايتها، لأنه لا يجوز اختلاط مال الخراج بمال الصدقات لان لكل منهم مصرف خاص، ويشترط فى عامل الزكاة أن يكون حرا مسلما عادلا عالما بأحكام الزكاة وعليه أن يتولى الأموال الظاهرة التى لا يمكن إخفاءها كالزرع والثمار والماشية، أما الأموال الباطنة كالذهب والفضة وعروض التجارة فعلى أصحابها إخراج زكاتها طوعا[24] وعلى العامل أن يدعوا أهلها إلى إخراجها ويرغبهم فى المسارعة فى ذلك تميزا لهم عن أهل الذمة فى دفع الجزية[25]0

- **الجزية " الجوالى " :**

الجزية فى اللغة مشتقة من الفعل "جزى" الذى قد يعنى كافأ أو قضى، وهى فى الاصطلاح مبلغ معين يفرض على رؤوس أهل الذمة من الرجال الأحرار والعقلاء ولا تجب على امرأة ولا صبى ولا مجنون، ممن خضعوا للحكم الإسلامى ولم يرغبوا فى اعتناق الإسلام[26]0

وقد فرضت على الذميين مقابل فرض الزكاة على المسلمين، ووجبت عليهم نظير قيام المسلمين بالدفاع عنهم ومما بينهم، لأنهم لم يكونا يشاركون فى الحروب مع المسلمين[27]0

وقد ثبتت الجزية بنص القرآن الكريم فى قوله تعالى ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾[28]0

وعن مقدار الجزية فقد اختلف العلماء فى تقدير قيمتها حيث يرى الشافعى أن أقلها دينار، وأكثرها مقدار بالاجتهاد 0

وقدرها أبو حنيفة على ثلاث طبقات الأغنياء ويؤخذ منهم (1/6 4 دينار) أربعة دنانير وسدس دينارا ومن الأوساط دينارا وقيراطان، ومن العمال " الفقراء " دينار واحد وثلث وربع وحبتان " ويضاف إلى كل فئة من تلك الفئات درهمان وربع تدفع للقائمين على جبايتها[29]0

أما عن شروط الجزية فهى :

- الذكورة : حيث لا تفرض على النساء 0
- البلوغ : لا تفرض على الصبيان 0
- العقل : لا تفرض على المجنون لأنها بدل عن القتال وهو ليس أهلا للقتال 0
- الحرية : لا تفرض على المملوك لأنه لا مال له 0
- الصحة : لا تفرض على المريض ولا على شيخ لا يستطيع القتال[30] 0

وعلى الرغم أن الجزية كانت تعتبر من أهم مصادر المال فى عصر الدولة الإسلامية إلا أننا نجدها فى العصر الفاطمى ليست ذات بال، فقد كان تحول كثير من أهالى البلاد المفتوحة إلى الإسلام سببافى أنها لم تعد مصدرا مهما للدخل بحيث أصبحت تعرف بالجوالى[31]0

وكانت الجزية تجمع مرة واحدة كل سنة بالشهور الهلالية، وكان يسمح بدفعها نقدا أو عينا، وكانت تختم رقاب أهل الذمة وقت جباية الجزية ثم تكسر الخواتيم وتستبدل بشاره تعلق حول الرقبة يقدمها عامل الجزية دلالة على دفع الجزية[32]0

الخراج :

الخراج فى اللغة يعنى الأجر أو الرزق أو الناتج، قال تعالى﴿**أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾[33] أى فرزق ربك أو أجر ربك ومثوبته خير 0

والخراج بمفهومه الاصطلاحى مقدار معين من المال أو الحاصلات يفرض على الأراضى التى فتحها المسلمون ولم يثبت الخراج بنص قرآنى كما هو الشأن فى الجزية بل ثبت باجتهاد الصحابة[34] 0

والخراج فى الإسلام "هو ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدى عليها"[35]، وهو ما يخرج من غلة الأرض[36]، ويعنى أيضا المال الذى يحصل فى أوقات معينة[37] والخراج هو الضريبة السنوية التى تجبى على الأرض المزروعة[38] 0

ولما كان الخراج من أهم موارد الدولة المالية فقد ذكر ابن خلدون أن " الملك بالجند، والجند بالمال والمال بالخراج"[39]، وقد اهتم الخلفاء والولاة بالخراج أكثر من اهتمامهم بالجزية لأن الخراج أكثر ثباتا من الجزية وأكثر دخلا حيث أن الجزية تسقط بالإسلام 0

أسباب وضع الخراج :

1- بقاء الأرض فى أيدى أهلها أصلح لهم وأصلح للمسلمين 0

2- حفظ حق من جاء من بعد المسلمين 0

3- تحقيق الوئام بين سكان الدولة الإسلامية ووضع الحقد بينهم بإبقاء الأرض المفتوحة فى أيدي أهلها وعدم تقسيمها 0

4- منع قيام الملكيات الكبيرة 0

الخراج فى عهد عمر بن الخطاب ﷺ :

اتسعت الفتوحات الإسلامية فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذى تولى الخلافة فى الفترة من سنة 13-23هـ حيث فتحت العراق والشام وأراضى السواد ثم استمرت الفتوح فى الشرق وتم الاستيلاء على معظم أقاليم الإمبراطورية الفارسية وفتحت مصر فى أواخر عهد عمر[40]0 ومنذ اتسعت هذه الفتوحات ظهر أمام المسلمين مشكلة كبرى، هى مصير هذه الأراضى الشاسعة التى خضعت للمسلمين وأيضا مصير أهلها المقيمين عليها، ومن هنا نشأ نظام الخراج 0

كانت أراضى الأمصار عدة أنواع، وكان لكل نوع منها وضع خاص بالنسبة للخراج، والخلاصة أن أراضى الخراج هى كل أرض مسحت ووضع عليها الخراج، وكل أرض روتها أنهار الخراج وخصصت لزراعة الغلات أو جعلت بساتين للنخل والكروم وغيرها أو شغلت الطواحين[41] 0

كان الخراج يظل مفروضا على الأرض المفتوحة عنوة حتى بعد إسلام صاحبها لأن هذه الأرض فئ للمسلمين لهم جميعا، وما يدفعه صاحبها هو إيجار مقابل زراعته لها[42] 0

أما الأرض التى صولح أهلها على زوال ملكهم عنها فلا يجوز بيعها ويعتبر خراجها إيجارا ولا يسقط الخراج بإسلام أهلها إنما ترفع عنهم الجزية[43] 0

والأرض التى صولح أهلها على بقاء ملكهم عليها فيجوز بيعها ويسقط خراجها بإسلام أهلها وتصبح أرض عشرية[44]0

تقدير الخراج :

كان هناك نظامان أساسيان لتقدير الخراج فى الدولة الإسلامية :

الأول : هو نظام المساحة : ومعناه أن يكون هناك خراج معين على مساحة محددة من الأرض تجبيه الدولة كل عام مهما ارتفع أو انخفض محصول الأرض[45]0

وفى هذا النظام يجب مراعاة الآتى :

1- أن يتغير مقدار الخراج تبعا لتغير ظروف الأرض ونوع محصولها 0

2- أن يراعى مقدار جودة الأرض 0

3- أن يراعى نوع الحبوب والثمار حيث هناك ما كثر ثمنه، وهناك ما يقل ثمنه 0

4- أن يراعى طريقة السقى، فيفرق بين الأرض التى تسقى طبيعيا وبالأمطار، والأرض التى تسقى بآله[46]0

وهذا1 النظام كان معمولا به منذ عهد عمر بن الخطابﷺ حتى تم تغيره 0

الثانى : هو نظام المقاسمة أو المزارعة ويقصد به أن تتقاسم الدولة والناس ما ينتج من محصول بنسبة معينة فمثلا يكون الثلث للدولة والثلثان للزراعيين، والسبب فى الأخذ بهذا النظام أن شكوى المزارعين بدأت تتصاعد عندما هبطت أسعار المحاصيل، فلم تف الغلال بخراجها 0

ويرجع هذا النظام إلى الخليفة العباسى المهدى (158هـ/774م)، حيث قرر العدول عن نظام المساحة، والعمل بنظامه المقاسمة وبدأ التنفيذ بهذا النظام منذ سنة 160هـ/774م[47] 0

وقدرت قيمة المقاسمة بنسب معينة كما يلى :

- النصف على الأرض التى تسقى سيحا – بدون آله أو رافعة 0
- الثلث على الأراضى التى تسقى بالدوالى – الناعورة – ويظهر أنها ساقية صغيرة أو شادوف0
- الربع على تلك التى تسقى بالدواليب 0

ولا شئ عليهم سوى ذلك[48] وهذا النظام خاص بالزروع، أما الثمار من نخيل وكروم وأشجار فتبقى على نظام المساحة، وينبغى تعديل الخراج حسب قرب وبعد الأراضى من الأسواق مع مراعاة النسبة[49]0

العشور :

عشور التجارة هى نوع من الضرائب الجمركية فرضتها الدولة الإسلامية على تجارة أهل الذمة، وكذلك على أهل الحرب إذ مروا بتجارتهم على ثغور الإسلام، أو دخلوا دار الإسلام، كما فرضت أيضا على تجارة المسلمين إذا جلبوها من خارج دار الإسلام 0

لم تكن العشور معروفة على عهد الرسول ﷺ ولا فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق ﷺ ، وكان أول من سن تشريعها فى الدولة الإسلامية الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وذلك نتيجة تشعب مظاهر النشاط الإسلامى فى عهده واختلاط المسلمين بالمجتمعات الأخرى 0

والسبب فى ذلك أيضا أن أبا موسى الأشعرى كتب إلى عمر بن الخطاب ﷺ يقول له " إن تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر، فكتب إليه عمر خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من أهل الذمة نصف العشر، ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما أى ربع العشر وليس فيما دون المائتين (من الدراهم) شئ[50]، وقد اعتبر أبو يوسف أن ما يؤخذ من المسلمين من العشور يجرى مجرى الصدقة، وما يؤخذ من أهل الذمة وأهل الحرب يجرى مجرى الخراج[51] 0

مبررات العشور :

- الأمان : وذلك لبسط حماية الدولة على التجار المكلفين بها وحمايتهم 0
- استفادة التجار من مرافق الدولة 0
- تحقيق النفع الاقتصادي للبلاد 0

وكانت العشور لا تحصل إلا مره واحدة فى السنة 0

الغنائم " الخمس " :

الغنيمة والغنم بالضم – تعنى الفوز بالشئ بلا مشقة، والغنيمة هى ما غلب عليه المسلمون بالقتال حتى يأخذوه عنوه[52] تنقسم الغنائم إلى أربعة أقسام : أسرى وسبى وأرض وأموال[53] 0

الأسرى : وهم المقاتلون من أهل الشرك الذين يقعوا أسرى فى يد المسلمين، وكانوا إما أن يقتلوا أو يسترقوا أو يفدوا أنفسهم بمال، ويكون المال المأخوذ فى الفداء غنيمة[54]0

السبي : فهم النساء والأطفال ولا يجوز قتلهم إذا كانوا أهل كتاب ولكن يعتبروا سبيا مسترقا ويقسمون مع الغنائم، ولا يفرق بين الوالدة وولدها، ويجوز فداء الأسرى بالمال، ومبادلتهم بأسرى المسلمين(55) 0

الأرض : وهى ثلاثة أقسام، أرض ملكت عنوه، وأرض ملكت عفوا، أرض استولى عليها المسلمون صلحا، ولكل نوع أحكامه(56) 0

أما الغنائم المنقولة كالماشية والمال والأسلحة فهى تقسم كما جاء فى الآية الكريمة : **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** (57) 0

وعلى هذا فقيمتها الخمس أى أن بيت مال المسلمين يستحق نسبة قدرها 20% من الغنائم التى يستولى عليها المسلمون من الحروب(58) 0

الفئ :

فى اللغة، فاء الرجل يفئ فيئا من باب باع، رجع، وفى القرآن الكريم : **﴿حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾**(59) أى حتى ترجع إلى الحق، وفاء الظل يفئ فيئا، أى رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق، والفئ الخراج والغنيمة 0

وتعددت تفسيرات الفئ بمفهومه الاصطلاحى وتختلف فيه وجهات النظر من خلال التفسيرات المختلفة، ونستطيع أن تقول أن أدق معنى للفئ، هو أن كل مال وصل إلى المسلمين من المشركين عفوا بدون حرب ولا يخاف خيل ولا ركاب راى بالرعب الذى يقذفه الله فى قلوب المشركين(60)0

وهناك فرق بين الغنيمة والفئ، فمال الفئ مأخوذ عفوا ومال الغنيمة مأخوذ قهرا وإن أربعة أخماس الفئ تصرف فى أشياء غير أربعة أخماس الغنيمة(61) حيث أن أربعة أخماس الفئ تؤول خالصة لبيت مال المسلمين(62) 0

يجب إعادة النظر فى تقسيم خمسة كما تقسم خمس الغنائم " لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل "(63) 0

ومن مصادر الثروة فى عصر الراشدين الصوافى أو القطائع وهى الأرض التى بقيت بغير صاحب، لجلاء أهلها، أو لأنها كانت تابعة للملوك السابقين، فضمها الخليفة عمر ﷺ إلى بيت المال وسماها الصوافى، لأنه استصفاها أى جعلها خالصة للمسلمين، ورأى الخليفة عثمانﷺ أن المصلحة تقتضى إعطاءها لمن يشرفون على زراعتها، فوزعها على بعض المسلمين من الصحابة والولاة وأقاربه إقطاع إجارة لا تمليك فلما تولى الخليفة على بن أبى طالب ﷺ ردها إلى الملكية العامة(64) 0

هذه هى الموارد الأساسية لبيت المال ويمكن تقسيمها إلى قسمين موارد دورية منتظمة وموارد غير ذلك 0

الموارد الدورية هى : الزكاة – الجزية – الخراج 0

الموارد غير الدورية هى : الغنيمة – الفئ – عشور التجارة(65) 0

وهناك موارد أخرى أقل أهمية مما ذكرنا منها :

1- تركة من لا وارث له إن كان مسلما، فإن كان ذميا فتركته ترد على أهل ملته 0

2- خمس الركاز – المعادن – وهى الذهب والحديد والنحاس والرصاص ويمكن أن يلحق بها البترول وغيره من الثروات التى تستخرج من باطن الأرض 0

3- المصادرات : قرر المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية سنة 1964م إن من حق ولى الأمر بكل بلد أن يحد من حرية التملك بالقدر الذى يكفل درء المفاسد البينة وتحقيق المصالح الراجحة، وإن هذه الأموال من حق ولى الأمر أن يردها إلى أهلها أو يدفعها للدولة فإن لم يوافقوا قام بمصادرتها ليجعلها فى مواضعها(66)0

وكان الرسول ﷺ يحاسب عماله على المستخرج والمصروف ومصادر الهدايا التى تهدى إلى الولاة ويردها إلى أهلها إذا عرفهم، أو يودعها بيت المال إذا تعثر معرفة أصحابها ليستعن بها فى أمور الدولة من جهاد وغيره، ويتضح لنا ذلك، من الرواية التى رواها مسلم فى صحيحة، ، عن أبى حميد الساعدى من قصة ابن النبيه الأزدى الذى ولاه الرسول ﷺ صدقات بنى سليم وعندما جاء الرسول ﷺ يحاسبه قال، هذا لكم وهذا لى، قال النبى ﷺ : "فهلا جلست فى بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا "(67) 0

وقد حذا الخلفاء الراشدون حذو الرسول ﷺ فى هذا المجال فكان سبب مصادراتهم لعمالهم هو حجب بعض الولاة لجزء من مال الخراج أو اشتغالهم بالتجارة وانصرافهم عن مصالح الرعية، فشاطرهم الخليفة عمر أموالهم، وأخذ ما زاد عن رأس مالهم وأودعه بيت مال المسلمين، وممن شاطرهم الخليفة عمر فى أموالهم عمرو بن العاص عامله على مصر، وأبو هريرة عامله على البحرين، وسعد بن أبى وقاص عامله على الكوفة، والنعمان بن على والى نيسان، وخالد بن الوليد والى الشام، وعتبه بن أبى سفيان والى الطائف، وأبو موسى الأشعرى والى البصرة(68)، ومن الوثائق التى تؤكد ذلك الخطاب الذى أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى والى مصر عمرو بن العاص جاء فيه "***من عبد الله أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص : سلام عليك أما بعد 0 فقد بلغنى أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وبقر وعبيد، وعهدى بك قبل ذلك ولا مال لك، فاكتب إلى من أين أَصْلُ هذا المال***"(69)0

وحدثت المصادرات فى عهود مختلفة غير عهد الخليفة عمر رضي الله عنه إلا أنها كانت تتم تعسفا وذلك فى عهد بنى أمية حيث كانت المصادرات إحدى وسائل الإنتقام من الخصوم، دون أن يتعرضوا لأذى، وأحيانا كانت المصادرات ولم تنفذ، وأحيانا أخرى صادروا الأموال ثم ردوها لأصحابها(70) 0

ومن أمثلة مصادرات العصر الأموى :

استيلاء معاوية بن أبى سفيان على تركة زياد بن أبيه عامله على العراق، وكانت قيمتها ستة ملايين دينار، ثم قام من بعده ابنه يزيد (60-64 هـ) بمصادرة أهل المدينة المنورة عندما خرجوا عليه، ونفذ ذلك قائد جنده مسلم بن عقبة(71) 0

وفى خلافة عبد الملك بن مروان صادر أموال واليه على خرسان بكير بن وشاح وعزله، وصادر الحجاج بن يوسف الثقفى أموال عبد الله بن الزبير بعد مقتله(72) وفى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك صودرت أموال الحجاج بن يوسف، وتمت مصادرات فى عهد الخلفاء الأمويين حتى نهاية العصر الأموى(73) 0

وفى العصر العباسى، بدأت المصادرات تكشف عن وجهها القبيح، واتخذت شكلا جديدا غير متعارف عليه فى العصور السابقة، وظل هذا الشكل سائدا فى الدولة الإسلامية حتى نهاية عصر المماليك وكان من أهم السمات العامة للمصادرات هى :

- ازدادت المصادرات فى بداية عهدهم خاصة لبنى أمية وكان مصير أكثر المصادرين القتل(74)0
- كان منفذ المصادرات الوزير، وغالبا ما لجأ إلى الشدة فى تنفيذ ذلك(75) 0
- لم تكن المصادرة جزاءا للمخالفات، بل أصبحت غرضا لجمع الأموال من الأثرياء0
- كانت هذه الأموال تؤول إلى بيت مال العامة وبيت مال الخاصة 0

مثال لبعض حالات المصادرات خلال العصر العباسى الآتى :

فى عهد أبو العباس السفاح أمر أقاربه بقتل ومصادرة كل من يجدونه من الأمويين(76) ، وفى عهد أبو جعفر المنصور قام بمصادرة أموال الوزير أبى أيوب سليمان المورياني وقتله بسبب كذبه عليه، وذلك سنة 154هـ/ م(77) ، وكذلك صادر خالد بن برمك بعد اتهامه فى خراج الأهواز وأخذ منه مبلغ 2.700.00 دينار استدانها من الناس(78)، وقد اودعت هذه الأموال فى بيت مال مفرد يسمى " بيت مال المظالم " وكتب على كل مال اسم صاحبه وأوصى ابنه المهدى من بعده استدعاء أصحاب الأموال وردها إليهم(79)، وفى عهد هارون الرشيد صادر أموال البرامكة بعد نكبتهم سنة 187هـ/ م وأخذ منهم ما يقدر 50.680.000 خمسين مليون دينار(80) وقبض على ابن ماهان والى خرسان وصادر خزانته، ويقال أنها نقلت على 1500 جمل(81) وفى العصور اللاحقة لهارون الرشيد كانت المصادرات من قبل الخلفاء العباسيين حتى نهاية العصر العباسى 0

وفى العصر الفاطمى كانت المصادرات كثيرة، حيث تمت مصادرة الخلفاء للوزراء، وصادر بعض الوزراء ممتلكات العامة(82)، ومثال لذلك قام العزيز بعزل وسجن ومصادرة الوزير يعقوب سنة 373هـ/ 983م وأخذ منه نصف مليون دينار وفى سنة 459هـ/ 1066م قبض المستنصر على الأسعد المريقى وصادر ممتلكاته، وكانت تحوى

عددا كبيرا من آلات الحرب(83)، وهكذا كانت المصادرات ضمن موارد الدولة التى تصل إلى بيت مال المسلمين 0

النفقات :

وكان لها ديوان خاص عرف باسم ديوان النفقات كانت واردات الدولة الأساسية وغير الأساسية التى سبق الحديث عنها تصب فى بيت المال لتكون تحت تصرف الخليفة أو الحاكم، فبيت المال شديد الشبه بالخزانة العامة للدولة فى عصرنا هذا، وقد أصبح فى كل ولاية من الولايات الإسلامية بيت مال خاص بها بالإضافة إلى بيت المال المركزى فى قصر الخلافة أو مركز الحكومة 0

وكانت مصارف بيت المال تنفق فى مصالح المسلمين ومرافقهم العامة وما تقضى الحاجة إلى إنفاقه وأهم هذه المصالح الآتى :

- أعطيات الجند 0
- أرزاق القضاة والولاة والعمال والموظفين والكتاب وعمارة المساجد 0
- الهبات والمنح وغيرها 0
- المنافع العامة مثل شق الأنهار، وحفر الآبار وإقامة الجسور 0
- النفقات الخاصة بقصر الخليفة ورجال البلاط (بعد عصر الخلفاء الراشدين) وازدادت نفقات الدولة خلال عصر العباسيين، لدرجة كبيرة حتى بلغت نفقات دار الخلافة فقط عدا الولايات فى اليوم سبعة آلاف دينار(84)، وبالطبع ترجع هذه النفقات إلى بذخ الخلفاء وتحرر بعضهم نوعا ما من التقاليد الدينية والانغماس فى اللهو 0
- نفقات بناء الحصون وإعداد الجيش وتسليحه، وتسيير البريد (85) هذا ولم تكن الدولة تنفق على كل الأمور حيث كانت هناك أموال الأوقاف الإسلامية وأهل الخير التى تنفق فى إصلاح الجسور وشق الطرق، وأحيانا ينفقون على الجهاد(86) 0
- كانت هناك مصارف محددة لموارد محددة وخاصة الزكاة كما جاء فى الشرع وكما ذكرنا 0

النقود الإسلامية :

كان العرب قبل الإسلام يتعاملون بنقود كسرى وفارس من الذهب والفضة واستعمل المسلمون فى عصر الرسولﷺ والخلفاء الراشدون تلك النقود، وهى الدينار(87) البيزنطى وهو عملة ذهبية ولما افتتحت الفتوح على عهد عمر واستولى المسلمون على بلاد فارس وكثير من بلاد الروم رأى عمر بن الخطاب ﷺ أن يعين وزن الدرهم(88) لأنه نظر فرأى الدراهم الكسروية المسكوكة مختلفة الوزن فمنها درهم وزن المثقال (20 قيراطا) ومنها درهم وزنه قيراطا، ودرهم وزنه 10 قراريط فأخذ عمر ﷺ جميع هذه الأوزان الثلاثة وهى (42 قيراطا)(89) وأخذ ثلثها وهو (14 قيراطا) وضرب الدراهم على ذلك فكان كل عشرة دراهم وزن سبعة مثاقيل لأن وزنها (140) فصارت النسبة بين الدراهم والمثاقيل كنسبة (10:7)(90) 0

ويذكر المقريزى أنه فى سنة 18هـ/ 693م ضرب الدرهم على نقش الكسراوية وشكلها بعينها غير أنها زاد فى بعضها : "**الحمد لله**"، وفى بعضها "**محمد رسول الله**"، وفى بعضها "**لا إله إلا الله وحده**"، وعلى أخرى **عمر**، وجعل وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقبل، وفى عهد الخليفة عثمان ﷺ ضرب فى خلافته دراهم ونقشها ﷺ (91) 0

واستخدمت الدولة الأموية الدنانير البيزنطية القديمة نفسها مع بعض التعديلات كإضافة عبارة "**لا إله إلا الله محمد رسول الله**" على أحد وجهى الدينار مع إبقاء صورة الإمبراطور البيزنطى هرقل على الوجه الآخر، وقد ضرب هذا النوع من العملة فى دمشق سنة 72هـ / 691م(92) 0

ثم حدث تعديل جديد على العملة حيث استبدلت صورة هرقل بصورة الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (65–89هـ/ 684–707م) واقفا يحمل سيفا وقد بدأ ضرب هذا النمط من الدنانير سنة 74هـ/ 693م، وذلك بعد سنوات لضربه النقود دون أن تظهر عليها صورة الخليفة بل نقشت عليها عبارات مثل الشهادتين وآيه قرآنية(93)0

ثم أمر بضرب الدراهم فى سنة 75هـ وأمر بتعميم العملة الإسلامية فى جميع الولايات سنة 76هـ/ 695م، ولهذا كان إصلاح العملة وتعريبها ما بين سنة74هـ إلى سنة 77هـ/ 696م(94) 0

وجعل عبد الملك وزن الدينار إثنين وعشرون قيراطا إلا حبه بالشامى ووزن الدرهم خمسة عشر قيراطا سوى، وقيل أن عبد الملك أمر الحجاج وهو بالعراق بضربها ففعل(95) 0

وكان السبب فى تعريب النقود هو أنه كانت القراطيس (أى ورق الكتابة) تدخل بلاد الروم من أرض مصر، ويأتى العرب من قبل الروم الدنانير، فكان عبد الملك بن مروان أول من أحدث رؤوس الطوامير، كتابة " **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**" وغيرها من ذكر الله فكتب إليه ملك الروم، إنكم أحدثتم فى قراطيسكم كتابا نكرهه فإن تركتموه وإلا أتاكم فى الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه، فكبر ذلك فى صدر عبد الملك وكره أن يدع سنة حسنة سنها، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية يستشيره فأشار عليه بأن يحرم دنانيرهم ويمنع التعامل بها ويضرب للناس سككا، ويمنع أن يدخل بلاد الروم شئ من القراطيس وانقطعت التجارة التى كان بها يتم التبادل بين الأوراق والدنانير(96)0

وبطل التعامل منذ ذلك الوقت بالنقود الفارسية والرومية(97) وصارت العملة موحدة فى جميع أنحاء الأمصار، فعبد الملك بن مروان هو أول من أوجد النقد القومى العربى للدولة الإسلامية(98) 0

وكانت الدنانير والدراهم الإسلامية تضرب أو تسك فى مصانع خاصة عرف الواحد منها باسم (دار الضرب أو دار السكة (99) وقد استخدم العرب بعد الفتوحات دور الضرب التى كانت موجودة فى أيام الساسانيين والبيزنطيين وفى خلافة عبد الملك بن مروان (65-89هـ/ 684-707م) أنشئت أول دور الضرب الإسلامية فى الكوفة وواسط من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق(100) 0

وخلال العصر العباسى أوجد الخليفة هارون الرشيد منصبا جديدا للإشراف على سك النقود هو " ناظر السكة " وعندما ضعف نفوذ الخلفاء العباسيين وقامت عدة دويلات إسلامية فى الأقاليم أقيمت مراكز جديدة لسك النقود(101) وقد ساعد النشاط التجارى الإسلامى وتقدم الصناعات والمدن وازدهارها على ازدياد دور الضرب(102)0

وكانت ترد لدور السكة العربية الإسلامية كميات كبيرة من الذهب والفضة والنحاس، وكان يعمل بها عدد من الموظفين والعمال منهم :

السباك : وهو الذى يختص بإعداد السبائك المعدنية للسك(103) 0

النقاش : وهو المكلف بنقش المسكوكات وصيانة رسومها وتصميمها(104) 0

المقدم : وهو أهم شخصية فنية بدار الضرب، حيث يعد المسئول الأول عن جميع مراحل عمليات السبك فى دار الضرب من اختيار المواد الخام وسبكها ثم اختيار السبيكة من خلال قياس مدى نقائها، ويوكل إليه أعمال كثيرة بدار الضرب مثل حفظ عيارى الذهب والفضة، ومعرفة أسرار المزيفين وغيرها(105) 0

الضراب : وهو العامل الذى يقوم بضرب العملة أو سكها، وقد ورد اسم الضراب بمعنى الطباع فى أول أمر تعريب النقود(106) 0

الناقد أو المعدل : وكانت مهمته تمييز العملة وإخراج المزيف منها (107) 0

الصانع : وهو الذى يقوم بصنع الصنج الزجاجية الخاصة بوزن النقود داخل دار الضرب(108) 0

الكتاب : ومهمتهم تسجيل فئات النقود وكمياتها وأوزانها فى سجلات خاصة 000

هذا وقد عرف المسلمون ثلاثة أنواع من العملة : الدينار من الذهب، والدرهم من الفضة، والفلس من النحاس 0

وكانت أوزان هذه العملات تخضع لإشراف الدولة على قاضى القضاة أو القاضى للتأكد من مطابقتها للمواصفات(109)، كما كان المحتسب يراقب دار الضرب وخاصة دار العيار فيها صنج المسكوكات(110)0

وقد كان للسكة أو ضرب النقود أهمية خاصة كوسيلة لإظهار نفوذ الحكام، ولذلك اعتبرت السكة من أهم شارات الخلافة والحكم فى الدولة الإسلامية، وأن سك العملة يعد مظهرا يؤكد استقلال الدولة سياسيا واقتصاديا وإداريا، فإذا ضرب أحد الحكام المسلمين تقودا باسمه دون اسم الخليفة كان ذلك دلالة على استقلاله فى الحكم وعدم اعترافه بسيادة الخليفة 0

وكان الوزن الشرعى للعمله، هو المثقال والدانق(111)، وهناك اختلاف بين وزن العمله وعيارها، فالوزن هو المثاقيل أو الدوانق التى توزن بها الدنانير والدراهم، أما العيار

فهو يعنى قيمة الجودة فى العملة، فإذا كانت خالصة كان العيار كاملا، وإذا كانت العملة غير خالصة كان العيار ناقصا(112) 0

ديوان بيت المال :

ويعرف بالديوان السامى، وهو أصل الدواوين ومرجعها إليه، ووظيفته ثبت جميع أصول الأموال السلطانية على أصنافها من عين وغلال وفئ وغنائم وأعشار وأخماس ويثبت ما تحصل من ذلك، ويتخذ بيتا لأصناف الأموال ويجعل عليها دواوين وحرسا، فالأموال والقماش لها ديوان الخزانة، والغلال لها ديوان الأهراء، والأسلحة والذخائر لها ديوان خزائن السلاح(113) 0

ويكون لصاحب هذا الديوان علامة على الكتب والصكاك والاطلاقات يتفقدها الوزير وخلفاؤه ويراعونها ويطالبون بها، وكان الوزير يطالب صاحب المال برفع حساب فى كل أسبوع، ليعرف ما حل وما قبض وما بقى(114) وكان من واجبات صاحب بيت المال أن يقدم فى آخر كل شهر حسابا كان يطلق عليه اسم "الختمة" وحسابا فى آخر السنة يسمى ختمة جامعة(115) 0

وإلى جانب هذه الدواوين التى بدأت فى عهد الخلفاء الراشدين أو فى عهد الخلفاء من بنى أمية واكتسبت فى العهود التالية مزيدا من الترتيب والتنظيم فى الغالب ظهرت هناك دواوين أخرى ترجع فى معظمها إلى العصر العباسى ومن عاصرهم أو من جاء بعدهم ومنها الآتى :

- **ديوان الأحشام :** وهو ديوان الذين كانوا فى خدمة البلاط 0
- **ديوان الحوائج :** واختص بجمع الرقاع – الشكاوى – من المشتكين وتقديمها للخليفة 0

وقد ذكر اليعقوبى هذين الديوانين فى عداد الدواوين التى نقلها أبو جعفر المنصور إلى بغداد سنة 146هـ / 763م حين أتم بناءها (116) 0

- **ديوان المصادرين :** لتسجيل أسماء من صودر أموالهم ومقدار ما صودرت عليه 0
- **ديوان الضياع :** واختص بإدارة ضياع الخليفة وأسرته وجميع هذه الدواوين كانت فى خلافة أبى جعفر المنصور (117) 0
- **ديوان الصوافى:** وكان يتولى إدارة الأراضى التابعة لنظر خليفة المسلمين(118)0

ديوان الموالى والغلمان : واختص بتسجيل موالى الخليفة وعبيده(119) 0

- **ديوان المواريث** : وكان يختص بأموال من لا وارث له أو توفى ويرث أقاربه جزء من تركته فيصبح الجزء الباقى من حق ديوان المواريث، الغاه الخليفة المعتضد سنة 283هـ / 896م، حيث أمر برد الفاضل من تركة المواريث على ذوى الأرحام(120) 0
- **ديوان الجهبذه** : وكان يتولى النظر فى الحسابات المالية وتدقيق موارد المال وبقايا أموال المطالبات التى كان يتعذر على أهل الخراج أداؤها فى وقت المطالبة(121)0
- **ديوان الأكرة** : وكان يشرف على القنوات والترع والجسور وشئون الرى
- **ديوان الماء** : وكان يحفظ فيه خراج كل من أرباب المياه وينظر فيما يملكه أرباب المياه من الماء وما يباع وما ينقص منه(122) 0

وذكر المقريزى من الدواوين عند الفاطميين ديوان النظر، وكان ينظر فى دواوين المال، وديوان المجلس وكان ينظر فى الإقطاعات(123) 0

ومما سبق يلاحظ كثرة الدواوين ونجد أن سبب ذلك هو اهتمام ولاة الأمر بشئون الدولة والأمة، فكلما ظهرت مصلحة الأمة فى شئ سارع الحكام إلى إنشاء دائرة – أى ديوان – لرعايتها والقيام على شئونها 0

ولذا كثرت الدواوين، وكبر الجهاز الإدارى فى الدولة الإسلامية متماشيا مع المصالح وكثرتها 0

المكاييل والموازين والمقاييس

اختلفت المكاييل والموازين ووحدات القياس من قطر إلى آخر من أقطار العالم الإسلامى، كما كانت تختلف أيضا فى القطر الواحد من مدينة إلى أخرى، كما يظهر هذا الاختلاف أيضا من عصر إلى عصر 0

1- المكاييل :(124)

ورد الكيل فى القرآن الكريم فى عدة مواضع منها قوله تعالى﴿**وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾(125) وقوله تعالى : ﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ**﴾ (126)، وقال تعالى:﴿ **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ**﴾(127)

وتعددت أنواع وأسماء المكاييل فى الأسواق حيث استخدمت لتقدير الأشياء اليابسة مثل الحبوب والملح والتمور وما شابهها فكان هناك :

1- الإردب :

وهو ميكيال مصرى قديم، وهو أربعة وعشرون صاعا، بما يعادل (6) ويبات أو (12) كيلة أو (24) ربعا أو (48) ماواه أو(96) قدحا، وقدرت قيمة الأردب وزنا (150 كجم قمحا (130) كجم شعرا، (140) كجم ذره، (155) كجم فولا، (57) كجم عدسا(128)، وعند الحنفية الأردب يعادل 78 كجم، وعند الجمهور يساوى 48.96 كجم(129)، والاردب يساوى (198) لتر(130) 0

الصاع :

ويستخدم فى تقدير الحبوب الحبوب أيضا، وهو لغة مكيال لأهل المدينة ويقدر بأربعة أمداد(131) ومقداره ثمانية أرطال كوفية(132) ومقداره عند الحنفية 3.25 كجم، وعند الجمهور 2.04 كجم(133) 0

الويبة :

لغة كيل مصرى معروف وهى تساوى 6/1 (سدس إردب) كما تساوى كيلتين وتساوى 33 لترا(134) 0

الكيلة :

وهى وعاء يكال به الحبوب، وهى من المكاييل المصرية، تقدر بثمانية أقداح وتساوى أربعة ملاوى(135) وتعادل 16.5 لتر(136) 0

القدح :

وهو مكيال مصرى مقداره 8/1 ثمن كيله مصريه، وحجمه يعادل 2.0625 لترا(137) وعرف منه بعض الأجزاء مثل نصف، وربع وثمن القدح، والخروبه والقيراط وهو أقلها جميعا إذ يبلغ جزء من (32) جزء من القدح(138) 0

المد :

اختلفت الفقهاء فى تقديره ولذا اختلفت قيمته من منطقة إلى أخرى فى العالم الإسلامى، وهو مقدار ملء اليدين المتوسطتين من غير قبضهما، وقد ورد فى الحديث أنه ﷺ كان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع(139) ومقدار المد رطلان بالعراقى عند الحنفية، وعند الشافعية فهو رطل وثلث بالعراقى(140) وهو يساوى بالحنفية 812.5 جراما، وعند الجمهور يساوى 510 جراما(141) 0

القفيز :

وهو المكاييل التى تفاوض الناس فى تقديرها لاختلاف الاصطلاح فيها، والقفيز مكيال وهو ثمانية مكاييل، وهو معروف لأهل العراق وهو يساوى صاع ونصف، وثلاث كيلجات أو نصف ويبه (أى أحد عشر أو أثنى عشر مدا)(142) ويعادل عند المالكية 48 صاعا، وعند الشافعية 12 صاعا 0

الكيلجه : تساوى ثلث مكوك أو ما يعادل خمسة أرطال أو ستمائة درهم(143) 0

الجريب :

مكيال قدره أربعة أقفزة يساوى 48 صاعا، ومقداره عند الحنفية 156 كجم وعند الجمهور 97.92 كجم(144) 0

الوسق :

وهو يساوي 60 صاعا عند أهل الحجاز، ورد ذكره فى الحديث النبوى الشريف، فعن أبى سعيد الخدرى، ليس فيما دون خمسة أواسق صدقة " متفق عليه(145)، ومقداره

عند الحنفية يعادل 195 كجم، وعند الجمهور يعادل 123.4 كجم، ويعادل 10 كيلات مصرية 0

الكر :

هو أكبر مقاييس الكيل العربية، وهو مكيال لأهل العراق، والكر (60) قفيزا فى بغداد(146)، أما الكر بواسط والبصرة كان مقدار مائة وعشرون قفيزا(147) ويعادل بالمصرى أربعين إردبا من أول = عشرة إردب من الحالى(148) 0

القربة :

ظرف من الجلد يخرز من جانب واحد، وتستعمل لحفظ الماء واللبن ونحوهما(149) ومقدار القربة رطل بغدادى، وتعادل 40.625 كجم عند الحنفية، أما عند الجمهور فهى تعادل 8.250 كجم(150) 0

القسط :

يقدر بنصف صاع، وأصله من القسط أى النصيب(151) ويعادل عند الحنفية 1.625 كجم، وعند الجمهور يعادل 1.02 كجم(152) 0

المدى :

بالضم – وهو مكيال لأهل الشام ومصر وهو غير المد، وقال الجوهرى : المدى : القفيز الشامى وقيل المدى مكيال لأهل الشام يقال له الجريب، يسع خمسة وأربعين رطلا، ومثل المدى مكيال لأهل الشام يسمح خمسة عشر مكوكا، والمكوك صاع ونصف، وهذه آراء مختلفة، رأى يقول أنه مثل الجريب، ورأى يقول أنه = 45 رطلا ورأى أخر يقول أنه = 15 مكوكا كل منها صاع ونصف 0

والتقدير الأخير للمدى هو 22.5 صاعا، ويسع 120 رطلا ويعادل 45.9 جراما(153) 0

2- الموازين :(154)

لما كانت الموازين والمكاييل أساس المعاملات، وبها اعتبار المبيعات وتقع بهما المعاملة على الوجه الشرعى، فقد اصطلح أهل كل اقليم على موازين ومكاييل معينة فيما

بينهم مثل : القنطار والوقية، والرطل، والدينار والدرهم، والقيراط، والقطمير، والنقير، والفلس والمن، وغيرهما وفيما يلى تفصيل موجز لهذه الأوزان :

القنطار :

ورد ذكر القنطار فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ**﴾(155)، وفي قوله ﴿**وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**﴾(156) ،وقد اختلف الناس فى تحديده، فقيل مقداره ألف ومائتا أوقية، أو مائة رطل من ذهب أو فضة، أو ألف دينار، أو ثمانون ألف درهم، وأصح الأقوال من ذلك أن القنطار يقدر بألف ومائتا أوقية، بما يساوى 8400 دينار(157) 0

ومقدار القنطار عند الحنفية = 149.76 كجم، وعند الجمهور 142.8 كجم (158) 0

الرطل :

معيار يوزن به، وهو مكيال أيضا والمقصود به رطل بغداد أو الرطل العراقى، ويساوى عند الحنفية 406.25 جراما، وعند الجمهور الرطل يساوى 128 درهم وأربعة أسباع(159)، واختلفت الأرطال تبعا لما يوزن بها، فالرطل الذى يوزن به الفحم والحطب والخشب غير الرطل الذى يوزن به الكافور والرواند والادهان النفيسة والطيب(160) 0

وكان رطل نصيبين يساوى 420 درهما ورطل الرى يساوى 300 درهما، ورطل واسط والبصرة 128 درهما(161)، والرطل المكى يساوى 200 درهم(162)، والرطل البغدادى وكلاهما يساوى 130 درهما(163) 0

الأوقية :

من أشهر الموازين التى كانت سائدة فى الجزيرة العربية وقد ورد ذكرها فى الحديث النبوى الشريف، فعن سلمة بن عبد الرحمن قال : قالت عائشة رضى الله عنها : كم كان صداق رسول الله ﷺ ؟ قالت كان صداقة لأزواجه اثنتى عشرة أوقية ونشا، قالت أتدرى ما النش ؟ قلت لا 0 قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم " رواه مسلم(164)

وحددها ابن المجاور بحوالى 3/1 21 درهم وبحساب الدرهم 3.125 جم يكون وزن الأوقية فى القرن 6هـ / 12 الميلادى بلغ 67.078 جم بينما ذكر هنتس أن وزنها فى شبة الجزيرة العربية فى صدر الإسلام كان حوالى (40) درهما أى 125 جم(165) 0

النـش :

هو لغة يطلق على النصف من كل شئ، وقيل أن وزنه عشرون درهما وهو نصف الأوقية لأنهم يسمون الأربعين درهما أوقية ويسمون العشرين درهما نشا 0 ويسمون الخمسة نواه(166)، ومقداره عند الحنفية 62.4 جراما، وعند الجمهور 59.5 جراما 0

الدينار :

هو مثقال من الذهب، ومقداره 4.25 جراما(167) ويساوى الدينار 6 دوانق، فوزن الدانق = .768 جرام(168) 0

الدرهم :

اسم لما ضرب من الفضة على شكل مخصوص، وهو وحدة نقدية من المسكوكات الفضية معلومة الوزن، ورد ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :﴿ **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**﴾(169) 0

ومقدار الدرهم عند الحنفية 3.125 جراما، وعند الجمهور مقدار (2.975) جراما(170) 0

الفلس :

الفلس فى اللغة : القشرة على ظهر السمكة(171) وفى الاصطلاح الفلس عملة يتعامل بها مضروبة من غير الذهب والفضة، وتقدر بسدس درهم(172) 0

القيراط :

جزء من أجزاء الدينار، وهو يساوى 0.1771 جراما(173) حيث أنه يساوى 20/1 من الدينار 0

الحبة :

فى اللغة واحدة الحب، وتجمع أيضا على حباب وحبوب، وهى الحبوب المختلفة فى كل شئ وحبة القلب سويداؤه (174)، وفى الاصطلاح هى وزن للنوع من الحبوب التى يتركب منها الدرهم والدينار، وباقى الأوزان 0

ومقدار الحبة عند الجمهور تساوى واحد من اثنين وسبعين من الدينار 0

أى 4.25 ÷ 72 = 0.059 جراما(175) 0

المـن :

فى اللغة المن مأخوذ من المنا الذى يوزن به ومقداره رطلان (176) ومقدار المن 260 درهما، أى 773.5 جراما(177) 0

القطمير :

فى اللغة هو القشرة الرقيقة التى على نواة البلح، كاللفافة لها(178) وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ**﴾(179)، والقطمير فى الاصطلاح يساوى 12 ذره أى (0.00000276) جراما(180) 0

الفتيل :

فى اللغة ما يكون فى شق النواة، ويضرب مثلا للشئ التافه الحقير وقد ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:﴿**بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾ (181)، وذكر فى مواضع أخرى فى سورة النساء آيه (77)، وسورة الإسراء آيه (7)، ومقدار الفتيل يساوى 0.00009936 جراما(182) 0

3- المقاييس :

كانت أهم وحدات قياس الأطوال المستخدم فى الأسواق الإسلامية هى **الذراع :**

فى اللغة بسط اليد ومدها وأصلة من الذراع وهو الساعد، وهو بين طرف المرفق إلى طرف الاصبع الوسطى(183)، وهو أهم وحدات قياس الأطوال المستعملة فى الأسواق ومقداره 24 إصبعا(184) ويساوى قدما ونصف، أى أن القدم يساوى 30.904 سم، ويبلغ طول الذراع 46.375 سم عند الحنفية(185) 46.2 سم(186)

ومن الأذرع المعروفة فى الدولة الإسلامية الذراع العمرية، وهى الذراع التى وضعها عمر بن الخطاب ﷺ، وكان مقدارها بأن الخليفة عمر جمع أطوال الأذرع الموجودة وأوسطها وأحضرها وأخذ الثلث، وزاد عليها قبضة وابهاما قائما، وهناك أيضا ما يعرف باسم ذراع العمل، وضعت زمن الخليفة معاوية(187) 0

وهناك سبعة أنواع من الأذرع :

أقصرها القاضية – ثم اليوسيفية، ثم السوداء، ثم الهاشمية الصغرى وهى البلاليه ثم الهاشمية الكبرى، وهى الزيادية، ثم العمرية ثم الميزانية(188)

وعند الجمهور يسمى أيضا بالذراع المرسلة أو الذراع المأمونى (189) وهناك ذراع يستخدم فى قياس البز والتجارة يعرف بالذراع السوداء، وأول من وضعها الخليفة هارون الرشيد، وقدرها بذراع خادم كان على رأسه(190) 0

الإصبع :

لغة يراد بها الجارحة، ومقدار الإصبع عند الحنفية 42/1 من الذراع ويساوى 2.576 سم(191) 0

القبضة : مقدارها أربعة أصابع : أى 2.576 × 4 = 10.304 سم(192)

الشبر : يقدر الشبر بستة أصابع، ويساوى 15.456 سم 0

الباع :

مقدار من اليدين، وهو طول ذراعى الإنسان وعضدية وصدره وذلك مقدار أربعة أذرع أى 46.2 × 4 = 1.84.2 م(193) 0

القصبة :

فى مصر خلال العهد الإسلامى صارت أراضى مصر تقاس بقصبة خاصة يقال لها القصبة الحاكمية، وطولها ثمانية أذرع بذراع اليد، أى 46.2 × 8 = 30696 متر تقريبا(194) 0

وكانت تقاس وتمسح بها الأراضى الزراعية فى مصر (195) وسميت بذلك نسبة إلى الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى، حيث اتخذت وحدة قياس فى عهده وكانت عبارة عن عود من الغاب (البوص طوله 385 سم)(196)

ومن الأنواع الأخرى القصبة السندفاوية، وهى نسبة إلى مدينة سندفا قرب المحلة الكبرى بمصر وهى أطول من القصبة الحاكمية قليلا(197) 0

الميل :

يطلق فى اللغة على عدة معان، فمنها الميل الذى يكتحل به، ومنها القطعة من الأرض بين الجبلين، ومنها الميل أى مد البصر(198) ومقدار الميل هو أربعة آلاف ذراع بالمراسلة أى 4000 × 46.2 = 1848 متر(199) 0

الفرسخ :

كل شئ دائم كثير لا ينقطع، وفراسخ الليل والنهار ساعاتها كأوقاتها، والفرسخ : المسافة المعلومة من الأرض وهو فارسى معرب(200) ومقدار الفرسخ ثلاثة أميال أى أنه يساوى 1848 × 3 = 5544م(201) 0

البريد :

كلمة فارسية يراد بها فى الأصل البغل وأصلها بريده دم أى محذوف الذنب الأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كعلامة لها، فعربت ثم سمى الرسول الذى يركبه بريدى، والمسافة بين السكتين بريدا(202) 0

ومقدار البريد العربى أربعة فراسخ أى أن طوله 5544 × 4 = 22.176م(203)0

المرحلة : هى المسافة التى يقطعها المسافر فى نحو يوم بالسير المعتاد على الدابة، والجمع مراحل(204)، وتساوى المرحلة 24 ميلا أى 1848 × 24 = 44.352 ك 0

مصادر ومراجع الفصل الثالث

1- **الزكاة :** الأصل اللغوى لهذه الكلمة هو الفعل "زكا" بمعنى طهر أو نما، قال تعالى " وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ"(البقرة: من الآية129) أى يطهرهم، ويقال زكا الزرع يزكو زكاء أى نما : **المعجم الوجيز** : مادة زكاة، ص290 0

2- **التوبة آية 103 ، ابن فارسى :** معجم مقاييس اللغة، مجلد 3 ص17 0

3- **معبد الجارحى :** النظم المالية، ص57 0

4- البقرة آية 110 0

5- المؤمنون آية 1-4 0

6- التوبة آية 103 0

7- البقرة آية 110 0

8- التوبة آية 103 0

9- رواه البخارى فى كتاب الأعيان 0

10- رواه البخارى فى كتاب الزكاة 0

11- **حسن محمد جودة :** نظم الحضارة، ص151 0

12- السورة التوبة آية 34 0

13- رواه البخارى كتاب الزكاه 1403 0

14- رواه البخارى كتاب الزكاه 1460 0

15- **حسن محمد جودة :** نظم الحضارة، ص151 0

16- رواه البخارى كتاب الزكاة 1460 0

17- **حسن محمد جودة :** نظم الحضارة، ص153، 154 0

18- **إبراهيم فؤاد أحمد :** النظالم المالى فى الإسلام، ص10 0

19- **ابن مماتى :** قوانين، ص60، **الماوردى :** الأحكام السلطانية، ص113 0

20- **حسن محمد جودة :** نظم الحضارة، ص156، 157 0

21- **ابن مماتى :** قوانين، ص62 ، **الماوردى :** الأحكام السلطانية، ص113 0

22- **الماوردى** : الأحكام، ص114-116، **حسن إبراهيم حسن، وعلى إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص232،233 0

23- **الماوردى** : الأحكام ، ص115-116 0

24- **أميمة الشوربجى** : رؤية الرحالة، ص83 0

25- **حسن محمد جودة** : نظم الحضارة، ص 154،155 0

26- **الماوردى** : الأحكام، ص116 0

27- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص182 0

28- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى فى الإسلام، ص102 ، **عبد الحميد رفاعى** : الدولة الإسلامية، ص93 0

29- **ابن كثير** : تفسير القرآن الكريم، جـ2، ص347 0

30- التوبة، آية 29 0

31- **القلقشندى** : صبح جـ3، ص458 ، **قاسم عبده** : أهل الذمة، ص69 0

32- **أبو يوسف** : كتاب الخراج، ص 131 ، **الماوردى** : الأحكام، ص125 0

33- **الجوالى** : مفردها جالية ويرجع بعض المؤرخين تسميتها بذلك إلى عصر الخليفة عمر بن الخطاب 0

34- **اليعقوبى** : تاريخه، جـ2، ص130 0

35- المؤمنون آية 72 0

36- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى فى الإسلام، ص105 0

37- **الماوردى** : الأحكام، ص40 0

38- **المعجم الوجيز** : ص190 0

39- **البيومى إسماعيل** : النظم المالية، ص156 0

40- **القلقشندى** : صبح جـ3، ص448، **حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم** : النظم الإسلامية، ص227 0

41- **ابن خلدون** : المقدمة، ص39 0

42- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى فى الإسلام، ص106-110 0

43- **البلاذرى** : فتوح البلدان، ص277 ، **عبد الحميد رفاعى** : الدولة الإسلامية فى عصر الراشدين، ص93 0
44- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص178، ضياء 0
45- **النويرى** : نهاية الإرب، جـ2، ص254 0
46- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص178 0
47- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى، ص114 ، **ضياء الدين الريس** : الخراج، ص402 0
48- **الماوردى** : الأحكام، ص148 0
49- **ضياء الدين الريس** : الخراج، ص404 0
50- **الماوردى** : الأحكام، ص168 ، **أبو زيد شلبى** : الخلفاء الراشدون، ص215 0
51- **ضياء الدين الريس** : الخراج، ص407 0
52- **أبو يوسف** : الخراج، ص135 ، **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص39 0
53- **أبو يوسف** : الخراج، ص134 0
54- **يحى بن آدم** : الخراج، ص17 0
55- **الماوردى** : الأحكام، ص203 ، **أبو زيد شلبى** : الخلفاء الراشدون، ص214 0
56- **الماوردى** : الأحكام ص132 0
57- **الخربوطلى** : العرب والحضارة، ص176 ، **أبو زيد شلبى** : الخلفاء الراشدون، ص204 0
58- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى، ص116 0
59- الأنفال : آية 41 0
60- **إبراهيم فؤاد أحمد** : النظام المالى فى الإسلام، ص13 0
61- الحجرات آية 9 0
62- **الفيروز آبادى** : القاموس المحيط، باب الهمزة فصل الفاء مادة الفئ ، **المغرى الفيومى** : المصباح المنير، مادة فاء 0

63- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى، ص119 ، **أبو زيد شلبى** : الخلفاء الراشدين، ص204 0
64- **الماوردى** : الأحكام، ص126 ، **ضياء الدين الريس** : الخراج، ص111 0
65- **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى، ص120 ، **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى، ص119 0
66- **محمد عبد الحميد الرفاعى** : الدولة الإسلامية فى عصر الراشدين، ص96 0
67- **أحمد شلبى** : الاقتصاد فى الفكر الإسلامى، ص170 0
68- **قطب إبراهيم محمد** : النظم المالية فى الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1980، ص116 0
69- **محمد طاهر عبد الوهاب** : الرقابة الإدارية فى النظام الإدارى الإسلامى فى (ندوة النظم الإسلامية) جـ1، ص303 0
70- **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص146-149، **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى فى الإسلام، ص124، **البيومى إسماعيل** : مصادرة الأملاك، جـ1، ص35 0
71- **القلقشندى** : صبح جـ6، ص387 0
72- **البيومى إسماعيل** : مصادرة الأملاك، جـ1، ص36 0
73- **البيومى إسماعيل** : مصادرة الأملاك، جـ1، ص36 0
74- **البيومى إسماعيل** : مصادرة الأملاك، جـ1 ص36 0
75- **الدميرى** : حياة الحيوان، جـ3، ص120 0
76- **ابن طباطبا** : الفخرى، ص120 0
77- **حسن إبراهيم حسن، على إبراهيم حسن** : النظم، ص134 0
78- **ابن طباطبا** : الفخرى، ص19 0
79- **الجهشيارى** : الوزراء والكتاب، ص121 0
80- **البيومى إسماعيل** : مصادرة الأملاك، جـ1، ص40 0
81- **ابن طباطبا** : الفخرى، ص126 0

82- **ابن خلكان** : وفيات، جـ1 ص175 ، **ابن الأثير** : الكامل، جـ6، ص75 0

83- **الذهبى** : تاريخ الإسلام، جـ1، ص121 0

84- **Rabie : The financial system of Egypt , London , 1972 , p. 122,**

85- **البيومى إسماعيل** : مصادرة الأملاك، ص451 0

86- **خليفة ابن خياط**، ص319 ، **الجهشيارى** : الوزراء والكتاب، ص49 0

87- **أبو زيد شلبى** : الخلفاء الراشدون، ص216 ، **عبد الرحمن سالم** : النظام السياسى والمالى فى الإسلام، ص131-136 0

88- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة العربية الإسلامية، ص130، 131 0

89- **الدينار** : قيل أن أصله رومى حيث كان الروم يضربون الدنانير من الفضة أولا ثم ضربوها بعد ذلك من الذهب، وقيل أن أصله يونانى مأخوذ من الكلمة اليونانية (دينار يوسى) ووزنه الشرعى 4.25 جرام، وقيل أن أصله عربى من الكلمة العربية دنر بمعنى تلألأ، وقد ورد لفظ الدينار فى القرآن الكريم كعملة يتعامل بها أهل الذمة فى قوله تعالى "وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً)(آل عمران: من الآية75)، **ابن منظور** : لسان العرب، جـ5، باب دينار، ص3969 ، **زكى محمد حسن** : كنوز الفاطميين، ص42 0

90- **الدرهم** : قيل أن أصله فارسى معرب من الكلمة درم، وقيل أن أصله معرب من الكلمة دراخمة، وقيل أن أصله عربى من حيث تكلمت به العرب قديما ابن منظور : لسان العرب، جـ5، ص3969 ، **المقريزى** : النقود، ص50 0

91- **البلاذرى** : فتوح البلدان، ص471 0

92- **محمد الحضرى** : محاضرات فى تاريخ الأمم، جـ3، ص395 0

93- **المقريزى** : النقود، ص31، 32 ، **ضياء الدين الريس** : النظم المالية والخراج، ص34 0

94- **إبراهيم سلمان الكردى** : المرجع فى الحضارة الإسلامية، ص131 0

95- **الطبرى** : تاريخه، جـ7، ص242 0

96- **حسن محمود الشافعى** : النقود بين القديم والحديث، ص10 0

97- **المقريزى** : النقود، ص34 0

98- **البلاذرى** : فتوح البلدان، ص471 0

99- **جورجى زيدان** : تاريخ التمدن الإسلامى، جـ1، ص100 0

100- **ضياء الدين الريس** : الخراج والنظم المالية، جـ1، ص210 0

101- **السكة** : هى الختم على الدنانير والدراهم والنقود والتعامل بها بين الناس بطابع من حديد ينقش فيه اسم الخليفة أو الملك أو السلطان، وصور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدنانير والدراهم والنقود فتخرج تلك النقوش والكلمات عليها ظاهرة مستقيمة، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس فى خلوصه بالسبك " بوزن معين " ، **ابن خلدون** : المقدمة ص261، **الرازى** : مختار الصحاح، ص37 ، **ابن منظور** : لسان العرب جـ10، ص440، **الكرملى** : النقود، ص113 0

102- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة، ص132 0

103- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة، ص132 0

104- **ابن مماتى** : قوانين الدواوين، ص233 0

105- **ابن بعرة** : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب، ص34 0

106- **ابن بعرة** : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب، ص34 0

107- **عبد الرحمن فهمى** : فجر السكة الإسلامية، جـ1 ص238 0

108- **حسن الباشا** : الفنون الإسلامية، جـ2 ص728 0

109- **ابن منظور** : لسان العرب جـ3 ص425 0

110- **حسن الباشا** : الفنون الإسلامية، جـ2 ص699 0

111- **ابن بعرة** : كشف الأسرار العلمية، ص33 0

112- **عبد المنعم ماجد** : نظم الفاطميين، جـ1 ص127 0

113- **المقريـزى** : النقـود، ص9 ، **المـاوردى** : الأحكـام، ص154 ، **حسـن إبـراهيم حسن** : الدولة الفاطمية، ص65 0

114- **ابن مماتى** : قوانين الدواوين، ص323 ، **الكرملى** : النقود، ص48 0

115- **الحسن بن عبد الله** : أثار الأول فى ترتيب الدول، ص74 0

116- **قدامة بن جعفر** : الخراج وصنعة الكتابة، ص36 0

117- **الخـوارزمى** : مفاتيح العلوم، ص37 ، **آدم متـز** : الحضـارة الإسـلامية ص159 0 160،

118- **اليعقوبى** : البلدان ص13 ، **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص159 0

119- **ابن الأير** : الكامل، جـ5، ص48 ، **الجهشيارى** : الوزراء، ص124 0

120- **اليعقوبى** : تاريخه جـ2، ص233 0

121- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص160 0

122- **الطبرى** : تاريخه، جـ1، ص44 0

123- **آدم متز** : الحضارة الإسلامية، جـ1، ص154، 155 0

124- **الخوارزمى** : مفاتيح العلوم، ص45 0

125- **المقريزى** : الخطط، جـ2، ص114،108 0

126- **المكاييـل** : جمـع مكيـال، والمكيـال هـو الكيـل ويكيـل مكيـالا أيضـا، فالمكيـال هـو الصـاع الـذى يتعلـق بـه وجـود الزكـاة والنفقـات والكفـارات ، **ابـن مظـور** :لسـان العرب، جـ5، باب كيل، ص3967 0

127- المطففين، آية 3 0

128- الإسراء، آية 35 0

129- الأنعام : آية 152 0

130- **المقريزى** : النقود، ص108 0

131- **على جمعة محمد** : المكاييل والموازين الشرعية، ص39 0

132- **الكرملى** : النقود العربية، هامش ص59 0

133- **ابن منظور** : لسان العرب، مادة صوع ، **ضياء الدين الريس** : الخراج والنظم المالية، ص310 0

134- **الخوارزمى** : مفاتيح العلوم، ص14 0

135- **على جمعة محمد** : المكاييل، ص37 0

136- **القلقشندى** : صبح جـ3، ص445 ، **المقريزى** : النقود، ص108، **على جمعة** : المكاييل، ص42 0

137- **سامح عبد الرحمن فهمى** : المكاييل فى صدر الإسلام، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة 1981، ص43 0

138- **على جمعة محمد** : المكاييل، ص35 0

139- **على جمعة** : المكاييل، ص36 0

140- **المقريزى** : النقود، ص102 ، **سامح فهمى** : المكاييل فى صدر الإسلام، ص44 0

141- **أخرجه مسلم فى صحيحة:** كتاب الحيض باب 1 ، **أخرجه ابن ماجه،** كتاب الطهاره باب ما جاء فى مقدار ماء الوضوء والغسل من الجنابة ص297 0

142- **ضياء الدين الريس** : الخراج، ص310 0

143- **على جمعة** : المكاييل، ص36 0

144- **ضياء الدين الريس** : الخراج، ص308 0

145- **الخوارزمى** : مفاتيح العلوم، ص15، **بدر عبد الرحمن** : الحياة السياسة ومظاهر الحضارة، ص285

146- **على جمعة** : المكاييل، ص41 الريس : الخراج، ص327 0

147- **أخرجه البخارى** : كتاب الزكاة ، **وأخرجه مسلم** كتاب الزكاة 979، **الريس** : الخراج ص233 0

148- **على جمعه** : المكاييل، ص43 0

149- **بدر عبد الرحمن** : الحياة السياسية، ص289 0

150- **الريس** : الخراج، ص335 0

151- **المعجم الوسيط** : مادة قرب 0

152- **على جمعة** : المكاييل، ص43 0

153- **المصباح المنير** : مادة قسط 0

154- **على جمعة** : المكاييل، ص38 0

155- **ضياء الدين الريس** : الخراج، ص329، 330 0

156- **على جمعة** : المكاييل، ص45 0

157- **الموازين** : هى الشواهين ومفردها شاهين ويعنى عامود الميزان، والميزان آله ذات كفتين يوزن بها الشئ عن طريق الثقل لمعرفة مقداره، أصله موازن الجمع موازين، والميزان يعنى العدل، وجاء ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى " وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ" (الرحمن:7)، وفى قوله تعالى " وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ" (الرحمن:9)

158- آل عمران آية 75 0

159- آل عمران آية 14 0

160- **ضياء الدين الريس** : الخراج، ص364، 365 0

161- **على جمعة** : المكاييل، ص25 0

162- **على جمعة** : المكاييل، ص28 0

163- **بدر عبد الرحمن** : الحياة السياسية، ص286 0

164- **الخوارزمى** : مفاتيح العلوم، ص15 0

165- **المقدسى** : أحسن التقاسيم، ص99 0

166- ملامح النشاط التجارى لبلاد تهامه فى العصور الإسلامية الأولى، **غيثان بن على بن جريس** بحث ضمن ندوة طرق التجارة فى العالم العربى لسنة 2001، هامش رقم 215، ص220 0

167- **أخرجه مسلم** : كتاب النكاح باب الصداق 1426 0

168- **غيثان بن على بن جريس** : ملامح النشاط التجارى لبلاد تهامه ص196 ، **على جمعة** : المكاييل ص20 0

169- **الجوهرى** : المختار الصحاح، مادة ش ، **المقريزى** : النقود، ص27 0

170- **على جمعة** : المكاييل، ص19 0

171- **ضياء الدين الريس** : الخراج هامش، ص354 0

172- يوسف آية 20 0

173- **على جمعة** : المكاييل، ص19 0

174- **المعجم الوسيط** : مادة فلس 0

175- **على جمعة** : المكاييل، ص28 0

176- **ضياء الدين الريس** : الخراج، ص354 0

177- **ابن منظور** : لسان العرب، مادة حبب 0

178- **على جمعة** : المكاييل، ص28 0

179- **الجوهرى** : المصباح المنير، مادة منن 0

180- **على جمعة** : المكاييل ص28 0

181- **المعجم الوسيط** : مادة قطمر 0

182- فاطر آية 13 0

183- **على جمعة** : المكاييل، ص26 0

184- **النساء : آية 49 0**

185- **على جمعة** : المكاييل، ص27 0

186- **المعجم الوسيط** : مادة ذرع 0

187- **المقدسى** : أحسن التقاسيم، ص397 0

188- **على جمعة** : المكاييل، ص49 0

189- **الريس** : الخراج، ص300 0

190- **القلقشندى** : صبح ج3 ص447 ، **الماوردى** : الأحكام، ص146 0

191- **ابن فضل الله العمرى**، مسالك الأبصار، جـ1، ص23 0

192- **الماوردى** : الأحكام السلطانية، ص146 0

193- **على جمعة** : المكاييل، ص51 0

194- **على جمعة** : المكاييل، ص51 0

195- **على جمعة** : المكاييل، ص52 0

196- **الريس** : الخراج، ص295 0

197- **القلقشندى** : صبح جـ3، ص446 0

198- **محمد رمزى** : القاموس الجغرافى، جـ1، ص10 ،11 0

199- **القلقشندى** : صبح، ج3، ص445 0

200- **الجوهرى** : مادة ميل ، **على جمعة** : المكاييل، ص53 0

201- **النويرى** : نهاية الارب، جـ1 ص208، **الريس** : الخراج، ص300، 301 0

202- **الجوهرى** : مختار الصحاح، مادة فرسخ 0

203- **الريس** : الخراج، ص301 0

204- **على جمعة** : المكاييل، ص55 0

205- **الريس** : الخراج، ص55 0

206- **الجوهرى** : المصباح المنير، مادة رحل 0

الفصل الرابع: النظم الحربية

- الجيش
- الأسطول

الفصل الرابع

النظم الحربية

نبدأ الحديث عن النظم الحربية بتعريف ما هية الحرب، وموقف الإسلام منها " فالحرب رحى ثقالها الصبر، وقطبها المكر، ومدارها الاجتهاد، ثقافها الأناة، وذمارها الحذر"(1)، وهي شيء طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل، وضرورة اجتماعية طالما كانت هناك أطماع ومظالم بشرية وسببها في الأكثر أما غيرة ومنافسة، وإما عدوان، وإما غضب لله ولدينه، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده"[2]0

والحرب في الإسلام حرب دفاعية، وقد وردت كلمة الحرب في القرآن الكريم بمعنى القتال في قوله تعالى ﴿**كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ**﴾[3]، وفي قوله﴿**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[4].

والحرب والجهاد يدوران حول معنى واحد هو قتال العدو، وقد بين القرآن الكريم كما سنرى في مواضع كثيرة منه السبب الذي من أجله شرع القتال، وأذن للمؤمنين في الحرب، والجهاد وأرجعه إلى أمرين :

الأول : الدفاع عن النفس عند التعدي0

الثاني : الدفاع عن الدعوة إذا وقف أحد في سبيلها بفتنة من أمن أو بصد من أراد الدخول في الإسلام عنه، أو بمنع الداعي من تبليغ دعوته[5]0

والجهاد في اللغة من الجهد ،وهو المشقة، وجهد دابته وأجهدها – إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجهد الرجل في شيئ أي جد فيه وبالغ، وجهد الجل على ما لم يسم فاعله فهو مجهود من المشقة، وجاهد في سبيل الله مجاهدة وجهادا، والاجتهاد بذل الوسع والمجهود[6]0

وأما في الاصطلاح فإن الجهاد هو قتال العدو من الكفار والمشركين ومحاربته بشتى الوسائل الممكنة والمشروعة لنصرة الإسلام[7]

استفاد العربى من بيئته صفات الشجاعة الفردية وقوة الحس ونشاط الجسم والصبر على الجوع والظمأ وشدة الحر والبرد، وكان قتال العرب فى حروبهم وغزواتهم فى العصور القديمة أدنى إلى البساطة، فيبدءون المعركة عادة بالمبارزة الفردية وتكون بين بطلين من

أبطال القبيلتين ثم يكون الالتحام فيكرون على العدو وهذا هو الأسلوب المعروف بالكر والفر[8] 0

على أن هذا الأسلوب تغير إذ فرض الإسلام الجهاد(9) على المؤمنين دفاعا عن الدين والنفس والوطن والمال ففى الفترة المكية لم يقم المسلمون بعمل عسكرى ضد من خالفهم من قريش أو غيرهم حيث أمر الرسول ﷺ بتبليغ الرسالة والأعراض عن المشركين في قوله تعالى﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[10]، فضلا عن إنشاء تنظيم عسكرى فيها وخلت حياة المسلمين فى هذه الفترة من جميع مظاهر العنف المادى ثم أمر بالمجادلة بالتي هي أحسن في قوله تعالى﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[11]حتى هاجروا إلى المدينة 0

وفى بيعة العقبة الثانية، تناولت الاتفاقية مسألة حماية الرسولﷺ ومنعه من الأعداء، وذكرت الاتفاقية أن نقباء أهل المدينة بذلوا للرسولﷺ ما أراد من الحماية والمنعة، وبايعوه على حرب الأحمر والأسود[12] وفى هذه الظروف نزلت آيه الإذن بالقتال وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾[13] فقد أبيح القتال في الإسلام لسبب ذكرته الآية وهو وقوع الظلم على المؤمنين ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ۞ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ000**﴾[14]، وفي هذه الآية توجيه للمسلمين بالا يقاتلوا إلا من قاتلهم ولا يعتدوا إلا من أعتدى عليهم، وذلك لأن الإسلام هو دين السلام، وأنما شرع القتال للدفاع عن النفس، وحماية الدعوة، وهذه المشروعية لا تتم إلا بوجود ما يدفع إليها، إذ الأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلم، أما الحرب فهي استثناء من الأصل ويكون ذلك عندما تتوافر مبرراته0

وعندما هاجر الرسولﷺ إلى المدينة ووضع الصحيفة التى نظمت مجتمع المدينة من مهاجرين وأنصار ويهود – وجعل على هذا المجتمع الدفاع عن المدينة، ومنذ غزوة بدر صار الجهاد دفاعا وهجوما مشتركا بين جميع المسلمين مهاجرين وأنصار[15]، ثم صار فرضا مكتوبا عليهم وعلى المسلمين من بعدهم، وفى السنة الثانية من الهجرة فرض الله القتال وأوجبه وذلك فى قوله تعالى﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا**

شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[16]، وهو فرض كفاية لقوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾**[17] 0

وحكمة الجهاد أن يعبد الله وحده مع ما يتبع ذلك من دفع العدوان والشر وحفظ الأنفس والأموال ورعاية الحق وصيانة العدل ونعيم الخير ونشر الفضيلة، قال تعالى ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه﴾**[18]0 وفرض الجهاد أيضا وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾**[19] ثم أمروا بالقتال بشرط انسلاخ الأشهر الحرم، قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾**[20] ثم أمروا بالقتال مطلقا وذلك فى قوله تعالى : ﴿**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾**[21]، وقوله تعالى ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**[22] وهذا الجهاد لم ينبثق عن مؤسسة عسكرية، ولم يؤد الحال إلى ظهور مؤسسة الجيش[23] بمفهوم الجيش النظامى وما يتطلبه من رواتب وملابس ومأكل ووسائل نقل وأسلحة وغيرها، وظل الجيش فى عهد الرسولﷺ من جميع المسلمين، وكانوا إذا استنفروا نفروا، وإذا وضعت الحرب أوزارها رجعوا إلى مألوف حياتهم 0

وكان كل مقاتل يجهز نفسه بأسلحته ودابته إ فإن لم يتح له ذلك استطاع أن يحصل على الدابة من مخازن الصدقة[24]0

ولما بدأت التوسعات خلال عصر الراشدين احتاجت الدولة إلى جيش كبير دائم يكون على استعداد أيام الحرب والسلم على السواء، ففى عهد عمر بن الخطاب ﷺ كثرت الأموال، فقام بتأسيس ديوان الجند وذلك سنة 15هـ/636م[25] وجعل للجند رواتب مخصصة واعاشة مفروضة لأولادهم، وحظر عليهم مزاولة الأعمال الأخرى، ومنذ ذلك الوقت صار الجيش مؤسسة ذات كيان مستقل تعتمد فى تمويلها على الدولة[26]0

وقد اهتم الرسولﷺ والخلفاء الراشدين من بعده بالتربية البدنية فقد أمر الله بأن يكونوا على أهبة الاستعداد من الناحية المادية والمعنوية، وأن يكونوا مزودين بالعتاد، وأن يحوزوا كل أسباب القوة التي ترهب عدوهم ، يقول تعالى﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾** [27] ويقول الرسولﷺ "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" ويقول أيضا "إن لبدنك عليك حقا" فالجيش

الهزيل الضعيف لا مكان له بين الجيوش فالدعوة والجيش المسلم يحتاج إلى رجال أشداء أقوياء إذا ضربوا أوجعوا وإذا سابقوا سبقوا وإذا قاتلوا انتصروا، ولن يكون ذلك إلا بتعليم أطفال المسلمين الرياضة والألعاب التى تقوى أجسامهم وتقيهم من الأمراض وتعينهم على تحمل أعباء القتال، ولنا فى رسول الله ﷺ القدوة الحسنة فها هو يصرع – ركانة – ثلاث مرات متتاليات وركانة كان أقوى رجل فى شبة الجزيرة لا يغلبه شجاع ولا يصرعه جبار، وكان الصحابة من أشد الرجال وأعظمهم قوة، فكان الخليفة عمر رضي الله عنه يحب ركوب الخيل ويستطيع أن يقفز على الحصان دون أن يمسك بشئ، وكان على بن أبى طالب رضي الله عنه يسابق فلا يسبق، وكان طلحة والزبير من أشد المصارعين فى المسلمين، وهكذا كان الاهتمام بإعداد الجيش وتدريبه[28] 0

وكان الخليفة بحكم ولايته العامة قائدا للجيش، ولكن الخلفاء لم يكونوا يقومون بهذه المهمة إلا نادرا، وكانوا يقيمون ويبعثون الجيوش ويولون عليها الأمراء ويمدونهم بالعساكر، فيذكر أن أبا بكر رضي الله عنه خرج بالمسلمين إلى حرب القبائل في ذي القصة فاجتمع عليه المسلمون، وقالوا له نناشدك الله يا خليفة رسول الله أن لا تعرض نفسك فأنك أن أصبت لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فأبعث رجلا، فإن أصيب أمرت آخر، فقال : لا والله لا أفعل ولا أواسيكم بنفسي"[29]0

وفي حروب العراق وفي ظروف حرب القادسية نادى الخليفة عمر رضي الله عنه "الصلاة جامعة" وأخبر الناس بالخبر فقال العامة : سر وسرنا معك، ثم بعث عمر رضي الله عنه إلى أهل الرأي وإلى أصحاب الرسول ﷺ وأعلام العرب فقال : أحضروني الرأي فأني سائر فاجتمعوا وأجمع معظمهم على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ ويقيم ويرميهم بالجنود، وفي ذلك ما يغيظ العدو، وقال عبد الرحمن بن عوف " بأبي وأمي أجعل جعزها بي وأقم، وابعث جندا فقد رأيت فضاء الله لك في جنودك قبل وبعد،فأنه أن يهزم جيشك ليس كهزيمتك، وأنك أن تقتل أو تهزم في أنف الأمر خشيت إلا يكبر المسلمون وإلا يشهدوا "ان لا أله إلا الله" [30]، وعلى ذلك كان خروجهم على رأس الجيوش قليلا ولا يحدث إلا لأمر عظيم، فقد قاد على بن أبى طالب رضي الله عنه الجيش بنفسه فى حروب الجمل وصفين[31] وقاد عبد الملك الجيش في حربه مع مصعب بن الزبير، وقاد مروان بن محمد

الجيش في حروبه مع الخوارج والعباسيين، وقاد الرشيد الجيش لحرب رافع بن الليث، وكذلك الخليفة المعتصم قاد الجيش لحرب الروم[32].

وفى الولايات كانت قيادة الجيش تعود إلى الولاة أو من كانوا ينيبونهم عنهم ولم تكن على أية حال أخبار الجيوش تغيب عن الخليفة وكانت أخبارها توافية باستمرار منذ أن تخرج إلى ساحة القتال وحتى تعود إلى قواعدها[33] 0

وخلال العصر الأموي تطور تطورا كبيرا، حيث أدخل نظام التجنيد الإجبارى فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وكانت الدولة الأموية دولة حرب زادت الحروب والفتوحات خلال عصرها، وقد تأثر الأمويون بالنظام البيزنطى العسكرى القائم على تقسيم بلاد الشام إلى عده أجناد وكان على العرب أصحاب الأراضى تزويد الدولة بعدد من الجند دونت أسماؤهم فى ديوان الجند وصرفت لهم رواتب معينة علاوة على حصتهم من الغنائم واعتمد الأمويون على القبائل العربية فى بلاد الشام فى تكوين جيشهم[34] ،ولما انطلقت حركة الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية وصارت بعض العناصر المختلفة من أهل البلاد المفتوحة تشارك فى الجيش، حيث شمل عناصر عديدة مثل الفرس والزط – من السند – والبخارية والأتراك والبربر وغيرهم[35]0

ومنذ العصر العباسى أخذت أعداد هذه العناصر تزداد كثافة لأسباب تتصل بمهد الدعوة العباسية وظروف قيام دولتهم، فقد كثرت العناصر الخرسانية فى الجيش فى بداية قيام الدولة، وزاد عدد الأتراك، فى عهد المعتصم ثم ظهر عنصر المغاربة، والفراعنة[36]، ولما ظهرت الإمارات المستقلة بدأ حكامها فى تكوين جيوش خاصة بهم من أجناس مختلفة[37]0

أما عن أعداد الجيش الإسلامى، فقد بدأت متواضعة لا تتجاوز المئات فى بداية قيام الدولة الإسلامية، ففي غزوة بدر كان عدد الجيش الإسلامي مع الرسولﷺ قد بلغ (314رجلا) – (83) من المهاجرين – (61) من الأوس – (170) من الخزرج، وكان عدد المسلمين في غزوة أحد ألف رجل، وفي غزوة الخندق ذكر أن عدد جيش المسلمين بلغ ثلاثة آلاف رجل[38]، وفي غزوة مؤنة كان عدد الجيش الإسلامي مكونا من ثلاثة آلاف مقاتل[39] ،ثم صارت تكبر وتزداد بازدياد الداخلين فى الإسلام، فبلغ العدد فى غزوة

حنين عام 8هـ أثنى عشر ألفا[40]، وفى معركة اليرموك بلغ العدد ستة وأربعين ألفا وغزا يزيد بن المهلب بن أبى صفرة جرجان وطبرستان سنة 98هـ / 716م فى مائة ألف مقاتل من أهل الكوفة والبصرة وأهل خرسان والرى سوى الموالى والمماليك والمتطوعة[41]، وسار هارون الرشيد سنة 165هـ / 781م فى خلافة أبيه المهدى فى الصائفة إلى بلاد الروم فى 95.793، خمسة وتسعين ألف وسبعمائة وثلاث وتسعين رجلا[42] وهذه أمثلة لا تحصى عدد الجيش الإسلامى بأكمله إنما تدل على ازدياد عدد الجيش، حيث كان الجيش موزعا بين الشام ومصر وأفريقية والأندلس والعراق وخرسان والثغور الإسلامية، فعلى سبيل المثال كان ديوان الجند فى مصر خلال عهد معاوية بن أبى سفيان أربعين ألفا[43]، وكان عدد المرابطين المقاتلين من أهل البصرة بخرسان فى عهد بنى أمية أربعة وخمسين ألفا[44] وعندما التقى مروان بن محمد بجيوش العباسيين سنة 132هـ كانت عساكره تبلغ من العدد مائة وعشرون ألفا[45]، وكان الجيش خلال العصر العباسى يبلغ مئات الألوف من الجند، فكان جيش العراق وحده يبلغ 52 ألفا[46]0

تمويل الجيش :

ذكرنا أن الجيش زمن الرسولﷺ كان يعتمد فى تمويله على الاكتفاء الذاتى حيث كان كل مقاتل يجهز نفسه بأسلحته ودابته، فإن لم يتح له ذلك استطاع أن يحصل على دابة من بيت الصدقات[47]، وكان الأفراد يتدبرون المال مما كان بين أيديهم من زراعة أو تجارة أو إبل أو ماشية، أو ما تقدمه الدولة من سلاح وخيل تشتريها من حظها من خمس الغنائم، وما تأخذه من أهل الذمة – الجزية – وما كان يصرف من أموال الزكاة فى هذا السبيل[48]، وبعد تأسيس ديوان الجند صار الجند يصرفون جزءا من رواتبهم فى تجهيز أنفسهم وإعداد ما يلزمهم فى السفر والقتال، وورد على سبيل المثال أن كثير بن شهاب الحارثى الذى عينه والى الكوفه المغيره بن شعبه الثقفى على الرى ودستبى وقزوين فى خلافة عمر بن الخطابﷺ كان إذا غزى أخذ كل امرئ ممن معه بترس ودرع وبيضة ومسبلة وخمس أبر وخيوط كتان وبمخصف ومقراض ومخلاة[49]، وكان الرجل يحتاج مثلما حدث فى غزوة تبوك إلى بعيرين، بعير يركبه وبعير يحمل ماءه وزاده[50]، وعندما

صارت خطوط القتال إلى ما وراء النهر فى المناطق الجبلية الوعرة صار الجند يستخدمون إضافة إلى الإبل والبغال فى حمل امتعتهم وموادهم[51] 0

وإلى جانب تجهيز الجند أنفسهم كانت مساهمة الدولة فى الانفاق وإعداد القوة كبيرة، فقد ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان يحمل فى كل عام على أربعين ألفا من الظهر، وأنه جعل ثلاثين ألف بعير وثلاثمائة فرس ووسم فى أفخاذهن حبيس فى سبيل الله [52]، وبلغ مقدار ما أنفق الحجاج على الجيش الذى سيره بقيادة ابن الأشعث إلى سجستان ألفى ألف سوى أعطيات الجند حتى دعى بجيش الطواويس[53]، وبلغت نفقات الجيش الذى قاده هارون الرشيد فى عهد أبيه المهدى لغزوا الروم 194.450 دينار ومن الورق واحد وعشرين ألف ألف وأربعمائة وأربعة عشر ألف وثمانمائة درهم[54] 0

تشكيلات الجيش :

كان الجيش أول الأمر قد اتبع نظام الصف فى القتال، وجاء فى القرآن الكريم ﴿**إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾[55] ثم اقتضت الضرورة إلى تقسيم الجيش إلى نظام التبعية الذى يقوم على أساس تقسيمه إلى مقدمة وقلب وميمنه وميسره وساقه أى مؤخرة[56]، وهذا النظام يقوم على تقسيم الجند إلى مجموعات فى عشرات ومئات وألوف مربعات أو مثلثات أو أهله، وأطلق على القائد الذى يقود عشرة جنود لقب عريف والذى يقود مائة لقب نقيب والذى يقود ألف لقب قائد، أما لقب أمير فأطلق على القائد العام للجيش[57]0

وقيل أن مروان بن محمد الذى كان قائدا عسكريا للجيوش الإسلامية فى جبهة أرمينيه وأذربيجان قبل أن يكون خليفة هو الذى اتبع نظام التبعية وأبطل نظام الصف[58]، وإلى جانب هذه الأنظمة التى كان يتبعها الجيش فى القتال، كان الجيش يتكون من وحدات، كانت تتمايز عن بعضها بالرايات وكان لكل منها قائد وتتسمى بأسماء تدل على فعالها وصبرها فى القتال مثل كتيبة الأهوال، وكتيبة الخرساء[59] وكانت تتمايز أحيانا بالأسلحة ويذكر أن خالد بن الوليد قسم الجيش فى اليرموك إلى كراديس وجعل على كل كردوس رأسا وزعها ما بين الميسرة والميمنة والقلب[60]0

وبجانب المقاتلين من الفرسان والرجاله وجدت طوائف كثيرة تقوم بخدمة الجيش وتسهيل مهمته مثل النفاطين وضاربى المنجانيق، والعيون وهم الطلائع الذين يرصدون تحركات العدو كما نجد القضاة والأطباء والمؤذنين والقراء والنجارين والحاملين مع الجيش[61]0

هذا وكان الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون من بعده يتعهدون القواد والجند بالنصيحة التي تفيدهم في حسن أدائهم لواجبهم الأول باعتبارهم دعاة الإسلام وفي حسن تسيرهم للجنود والظفر على العدو، فيقول الله تعالى﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾[62] ، وقوله تعالى ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[63]

ومن وصايا الرسول ﷺ إذا بعث سرية :" اغزوا باسم الله في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا"[64] كما نهى ﷺ عن الغدر بقوله " ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة "[65]، ونهى الرسول ﷺ عن الغلول، وعن النهبة، وعن قتل النساء والولدان، ونهى عن التعذيب بالنار إلا الله[66]0

كما أوصى أبو بكر ﷺ أسامة بن زيد قائد أول جيش غزا بعد وفاة الرسول ﷺ بقوله " أيها الناس أوصيكم بعشر فاحفظوا عني : لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تعفروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ،ولا تذبحوا شاه ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له[67]0

ومن وصايا عمر بن الخطاب ﷺ لسعد بن أبي وقاص كبير قواد الجبهة الشرقية في زمانه "0000وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فأنهم سائرون إلى عدو مقيم، حامي الأنفس والكراع – الخيل – وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم، ويرءمون – يصلحون– أسلحتهم وأقبعتهم ونخ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولا يرزأ أحد في

أهلها شيئا، فإن لهم حرمة وذمة أبتليتم بالوفاء بها كما أبتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوهم خبرا ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح، وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم00ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ من البيان جهدك00"[68]

أسلحة الجيش :

كان العرب فى الجاهلية يعيشون فى حرب مستمرة بسبب فقدان سلطة مركزية عليا، وقد أدى هذا إلى تدربهم على القتال وإلى اهتمامهم الكبير بالأسلحة التى صنعوها أو عملوا على توفيرها بشرائها من البلدان المجاورة لهم فاقتنوا السيوف والدروع والرماح للفرسان، والدروع والحراب والقوس والسهام والسيوف للرجالة، كما استخدموا الطبرزينات وهى آله تشبه الفأس – والتروس والخوذ والضبور[69] والدبابات والمنجنيقات، واستخدموا أيضا النفط أو النار الإغريقية[70]0

وكانت السيوف أبرز أسلحة العرب والمسلمين، ومن أحبها إلى نفوسهم، ومن ثم كثرت أسماؤها فى لغتهم وأشعارهم ومنها الأبيض والمهند والمشرفى، والبصرية والسيرجى، والمهند هو السيف المصنوع فى الهند، والمشرفى نسبة إلى مشارف الشام أما السيرجى فهو نسبة إلى سريج وهو رجل من بنى أسد كان حدادا اشتهر بصناعة السيوف[71]، وقد أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أسياف سيفا قلعيا – نسبة إلى القلع مكان البادية قرب حلوان تصنع فيه السيوف – وسيفا يدعى بتار – وسيفا يدعى الحتف، كان عنده بعد ذلك المخدوم ورسوب أصابها من الفلس، وله سيفان آخران أحدهما يدعى القضيب والآخر يدعى ذو الفقار فنمه يوم بدر وكان لمنبة بن الحجاج[72]، أما الرماح فقد اشتهرت عندهم ومنها الردينية – نسبة إلى إمرأة تدعى ردينة اشتهرت فى الجاهلية بسقيف الرماح، والسهرية والخطية التى كانت تستورد من الهند وتباع فى مدينة الخط فى البحرين[73]، والرمح عبارة عن قضيب من الخشب ركب فيها سنان الحديد ولها أسماء أخرى مثل صعدة المستوى، والعنزة وذلك إذا كان أقصر من العصا وأطول من الرمح، ومنها أيضا النيزك والمطرد، وأجود الرماح الصلب المستقيم الذى لا يثنى، والرمح من الأسلحة التى يستخدمها الفرسان والمشاة[74]0

ومن أسلحة المسلمين القسى، ومن أجود أنواعها القسى العصفورية، والقسى الماسخية وكانت الأقواس تصنع من أخشاب الأشجار، وتستخدم السهام والنبال والنشاب للرمى بها، وقد غنم النبى ﷺ من سلاح بنى قينقاع ثلاثة أرماح وثلاث قسى، قوس الروحاء وقوس شوحط وتدعى البيضاء وقوس صفراء تدعى الصفراء[75]0

وعرف المسلمون الدروع واستخدموها، والدرع هو القميص الذى يلبسه المحارب، ويصنع من الحديد أو الزرد، والدروع نوعان الأول يصنع من صفائح الحديد والآخر يصنع من حلق متضافر يصمد أمام طعنات السيوف وضربات السهام ويحمى المقاتل، واشتهر اليهود فى المدينة بصناعة الأسلحة ومنها الدروع وكانوا يبيعونها للقبائل العربية المختلفة فى شبة الجزيرة العربية، وقد أصاب الرسول ﷺ من دروعهم اثنتين واحدة يقال لها السعدية، ودرع يقال لها فضة، كما كانت له درع ثالثة يقال لها ذات الفضول[76] 0

وكان الضبور من الأسلحة التي أستخدمها المسلمون حيث يتقي بها المحاربون النبال الموجهة إليهم من أعلى وهي كالدبابة، تصنع من الخشب المغطى بالجلد، ويكمن فيها المهاجمون ويقربونها للحصن لقتال أهله وهم فيه0

أما الخنادق فكانت ضمن الأسلحة التي أقتبسها المسلمون من الفرس، حيث كانوا ينشئونها حول المدن والمعسكرات، وأول خندق حفره المسلمون هو الذي حفره الرسول ﷺ والمسلمون حول المدينة المنورة بمشورة سلمان الفارسي في غزوة الخندق سنة 5هـ/626م 0(77)

واستخدم المسلمون الخوذة البيضة وهى تصنع من الحديد وتلبس على الرأس حماية لها من ضربات السيوف، والمغفرة هو من الزرد ويلبس تحت القلنسوة، ومنها ما كان يغطى الصدر وهى الجواشن[78]0

وقد اهتم المسلمون بوقاية خيولهم أثناء الحروب فألبسوها دروع تسمى تجافيف، تغطى أجسامها وتصد عنها إصابات الأعداء[79]0

واستخدم المسلمون النفط منذ زمن مبكر فى حروبهم، وهو الذى استعمله الروم قبلهم، وكانت فرقة النفاطين من الفرق الأساسية فى إرباك صفوف العدو، وإحراق سفنه وقلاعه، ويتكون النفط من تركيب كيماوى أساسه البترول[80]، وينسب اختراعه إلى يونانى

اسمه كالينيكوس Kallinikos[81]، ونقله عنهم المسلمون، وبرعوا فى استعماله إذ يوجد النفط فى أنحاء بلادهم، فعرفوا منه الأسود الذى يوجد على ساحل البحر الأحمر 0 ويسيل من أعالى جبل، ويجمع فى خزائن[82] وأبيض أو الطيا، ويوجد فى العراق، كما وجدت منابعة بجوار بحر قزوين[83] وكان النفاطون يلقونه على العدو فى قارورات النفط أو قوارير (قدور النفط)، أو بالنشاب أو من فوق ظهور الخيل[84] 0

وكانت آلات الحصار هى المنجنيقات والعربات والدبابات واستخدمها فى حصار المدنونقب الأسوار وهدم الحصون، وان بدت هذه الآلات بدائية إلا أنها أثبتت فاعلية فى الحصار والمعارك التى خاضها المسلمون الأوائل[85]، فقد استخدمها الرسول ﷺ عندما سار إلى الطائف لمطاردة فلول ثقيف واعتصمت منه بالحصون، ورمت المسلمين بالنبل، ونصب الرسول ﷺ المنجنيق ورماهم به، فكان ﷺ أول من رمى بالمنجنيق فى الإسلام، كما استعان على حربهم بالدبابات، وكان المحاربون يدخلون فى جوفها، ويزحفون بها إلى جدار الحصن لينقبوه[86]0

المعسكرات والثغور:

عرف المسلمون كيف يحتفظون بالفتوح التي تمت لهم على الرغم من قلة عددهم وكثرة أعدائهم المحيطين بهم، فقام الخليفة عمر رضي الله عنه بإقامة الحصون والمعسكرات الدائمة لإراحة الجنود في الطريق بعد أن كانوا يقطعون المسافات الطويلة على ظهور الإبل، ومن هذه المعسكرات معسكر البصرة والكوفة في العراق، وحمص ودمشق في الشام، والفسطاط والإسكندرية في مصر، وبرقة وطرابلس والقيروان في الشمال الأفريقي 0

وعني المسلمون بتحصين أطراف فتوحهم مما يلي أرض العدو من أطراف الصين إلى ساحل المحيط الأطلسي، فأقاموا الحصون والقلاع عند كل مكان يخشى أن ينفذ منه العدو، وسمو هذه الثغور وشحنوها بالرجال والعتاد ووسعوا على أهلها الأرزاق حتى يتفرغوا لحراسة حدود الدولة[87]0

صناعة الأسلحة :

استخدم المسلمون جميع أنواع الأسلحة المعروفة فى العصر الوسيط فقد استخدموا السيوف والرماح والنشاب - أى السهام ذات النصول المثلثة - كما استخدموا أقواس الرحل، وأقواس اللولب التى تشد بواسطة لولب وأقواس الركاب التى تشد من ركاب الخيل 0

كذلك استخدموا ما يسمى باللتوت وهى أعمدة ذات رؤوس حديدية مستطيلة ومضرسة، والدبابيس وهى تشبه اللتوت إلا أن رؤوسها مدورة ومضرسة والطبر أو الطبرزين وهى الفأس 0

والدرق اللمطية لاتقاء ضربات العدو وسهامه وهى مغطاه بجلد اللمط وهو حيوان يعيش فى الصحراء كذلك لبسوا الخوذات أو البيضات الحديدية لحماية الرأس، كما لبسوا الجوشن لحماية صدورهم أو الدروع المسبلة ذات المغاحر الملتحمة التى تغطى جميع أجزاء الجسم 0

كذلك استخدم المسلمون أسلحة الحصار الثقيلة مثل المنجنيقات المدمرة للحصون والدبابات والكباش لنقب الحوائط والأسوار 0

كل هذه الأسلحة صنعها المسلمون فى بلادهم الممتدة شرقا وغربا معتمدين فى ذلك على ما لديهم من مواد خام وأيد صناعية ماهرة 0

فخام الحديد كان منتشرا فى فرغانة وكابل وكرمان وأذربيجان وأرمينيه، ولبنان والشام، وصقلية، والمغرب والأندلس، إلى جانب الحديد المستورد من الهند وسيلان وروسيا وبيزنطة، وعلى أساس هذه الخامات الحديدية قامت صناعة الأسلحة التى اشتهر باسم مكان صناعها فى العالم الإسلامى[88].

ومن السيوف : السيوف الفارسية، السيوف الشامية كالمشرفية، والدمشقية، والسيوف الحنفية التى كانت تصنع فى الحجر عاصمة بنى حنيفة فى اليمامة 0

وإلى جانب هذه الأسلحة التقليدية، توصل المسلمون إلى اختراع أسلحة متطورة أمثال لذلك أنهم صنعوا قدورا خزفية فى حجم الرمانة محشوة بالجير الحى والنشاد والبول، وأطلقوا عليها اسم القدور الكفيات لأنها تلقى على العدو باليد أو بالكف مثل القنابل اليدوية، فإذا صطدمت بجسم العدو العدو المدرع بالحديد انكسرت وخرجت رائحتها فى أنفه وسببت له اختناقا[89] 0

الجاسوسية :

كان النبى ﷺ يهتم بمعرفة أخبار عدوه، واستطلاع أحواله فكان يزكى العيون ليأتوه بخبره، ويعلموه بأمره، ومن ذلك أنه أرسل عبد الله بن جحش فى اثنى عشر مهاجر إلى " نخلة " بين مكة والطائف ليترصد بها قريشا، ويعلم من أخبارهم، كما أرسل قبل بدر رجلان يستقيان ويتنسطان الأخبار وهما بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء، حيث ذهبا إلى قريب من الماء وأخذا شنا لهما يستقيان فيه، وبعض كفار قريش على الماء، فسمع الرجلان حوارا حادا بين جاريتين تستقيان الماء، قالت الأولى لصاحبتها، وكانت تداينها بدين، إنما يأتى العير غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذى لك ورد رجال من قريش أرادوا تهدئة الموقف بينهما وقالوا نعم مؤكدين بذلك صحة ما قالت الجاريتان، وسمع عيون الرسول ﷺ هذه الأخبار، وعادا مسرعين إليه يخبراه بنبأ العير القادمة من الشام[90] 0 وفى أحد بعث أنسا ومؤنسا ابنى فضاله يلتمسان خبر قريش، فأخبراه بما علما، وهكذا كان الرسول ﷺ يهتم بأخبار عدوه ليأخذ حذره، وليعد للأمر عدته[91] 0

وسار الخلفاء من بعد الرسول ﷺ على نهجه فى هذا المضمار، فنرى الخليفة عمر رضي الله عنه، يقول فى وصايته لسعد بن أبى وقاص : فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم 0

وفى عصر العباسيين عنوا بها وأحكموا أمرها، حتى أنهم كانوا يستخدمون لذلك الرجال والنساء الذين كانوا يذهبون إلى البلاد المجاورة متنكرين فى زى التجار، أو الأطباء أو غيرهما، ويتنسطون الأخبار ثم يعودون بها إلى الدولة لتحتاط للأمر، ولن تكن الجاسوسية أكثر نشاطا ولا أعم انتشارا فى بلد من البلاد منها فى الدولة البيزنطية التى كانت تنافس الدولة الإسلامية[92] 0

الأسلحة الوقائية :

استعمل النبى ﷺ لحسك [93] ليمنع العدو من الدنو من جنده، كما تستعمل الجيوش الآن الأسلاك الشائكة، وكان المسلمون يستعملون الخوذة والبيضة لوقاية الجذع والأطراف[94] 0

وجه المسلمون عنايتهم نحو استغلال آبار النفط التى فى بلادهم والتى كانت تكثر فى إيران والعراق وصقلية أو فى طبرستان، وفى سرقوسة 0

ويصف ابن الشباط النوسى (ق 7هـ) طريقة استخراج زيت النفط من الآبار، وكيف أن الرجل الذى ينزل فى البئر كان عليه أن يغطى رأسه ويسد مسام أنفه وإلا هلك لساعته 0

وفى أواخر ق 7هـ / 13م توصل المسلمون فى المغرب والأندلس إلى اكتشاف خاصية أخرى للنفط كمادة هادمة متفجرة إذ اختلطت بملح البارود أو النشادر، وحصى الحديد فى درجة حرارة عالية، وهذا الاكتشاف أدى إلى ظهور المدافع والأسلحة النارية 0

وقد استخدم هذا السلاح سلطان المغرب يعقوب المرينى أثناء هجومه على مدينة سجلماسة سنة 672هـ وأيضا استخدم سلطان غرناطة اسماعيل بن الأحمر فى حصار مدينة أشكر جنوب الأندلس سنة 724هـ / 1324م 0

برع الجيش العربى الإسلامى فى كل فنون الحرب والمعرفة فى العصور الوسطى فكانوا فى حالة الدفاع يحفرون الخنادق ثم عمدوا إلى إنشاء القلاع والحصون، واستخدموا الكمائن والخدع الحربية، ولجأوا إلى عرقلة العدو بإحراق الأرض أو استخدام الثعالب والكلاب وذلك بأن يعلقوا النار فى أذنابها ثم يطلقوها لتعدو فى معسكرات العدو[95] 0

تميز الجندى العربى المسلم بالخفة وسرعة الحركة والصبر على الجوع والعطش والتعب، وكان الانضباط عاليا بين صفوف الجند فقد شدد القواد على الجنود بالعقاب فى حالة العبث بالنظام أو الذين يتعرضون للسكان المدنيين، وقد اتبع العرب المسلمون الرأفة مع الأسرى ومعاملتهم معاملة كريمة، وسلكوا مسلكا إنسانيا مع الأعداء فكان لا يجوز قتل الشيوخ والرهبان والنساء والأطفال فى الحروب والسلم، واتبعوا أيضا أسلوب تبادل أسرى الحرب، وأسلوب الفداء بالمال[96] 0

الأسطول :

لم يكن عرب الحجاز أول الأمر – لبداوتهم – مهرة فى ركوب البحر، وثقافته وممارسة أحواله[97]، وأول من ركبه منهم للفتح العلاء بن الحضرمى والى البحرين فى عهد

الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وذلك عندما خرج لغزو بلاد فارس سنة 17هـ / 638م بغير اذن عمر ﷺ[98] 0

وكان عمر بن الخطاب ﷺ لا يرى فى هذه المرحلة المبكرة أن المسلمين مهرة فى ثقافة البحر وركوبه، ولا يستطيعون بخبرتهم البحرية أن يجاروا البيزنطيين الذين كانوا تمرسوا فى شئون البحر ومرنوا على ركوبه، واحكموا ثقافته[99] 0

وقد روي أن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ نهى عن ركوب البحر ونهى قواده على القتال فيه، ولما أشار عليه معاوية بن أبي سفيان ببناء الأسطول فأبى، ولما ألح عليه سأل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ واليه على مصر عمرو بن العاص أن يصف له البحر، فوصفه له، فبين ما فيه من مخاطر قائلا : " يا أمير المؤمنين أني قد رأيت البحر خلقا كبيرا يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركد أحزن القلوب، وأن ثار أزاغ القول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه دود على عود، أن مال غرق، وأن نجا برق "، فلما قرأ عمر ﷺ كتاب عمرو بن العاص كتب إلى معاوية " والذي بعث محمد بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا"[100]

وكان فى الامتداد البرى للجوانب الأخرى من الشام ما يغنى عن ركوب البحر لأغراض الجهاد ونشر الإسلام، وقد استعاض عمر بن الخطاب ﷺ عن ركوب البحر باتخاذ نظام المرابطة على السواحل كسياسة بحرية دفاعية[101] هذا بجانب المناظر والمسالح على طول الساحل وشحنها بالمقاتلة واتخاذ المواقيد للإنذار باقتراب سفن الروم من السواحل[102] 0

ولما استخلف عثمان بن عفان ﷺ تابع سياسة عمر بن الخطاب ﷺ البحرية وأرسل إلى الولاة يأمرهم بتحصين السواحل وشحنها بالمقاتلة، وقد نجحت هذه السياسة الدفاعية فى صد الاعتداءات البيزنطة البحرية التى تعرضت لها سواحل الشام ومصر سنة 25هـ / 645م[103] 0

ثم عزم الخليفة عثمان ﷺ على ركوب البحر، فأذن لمعاوية والي الشام سنة 27هـ / 647م بغزو قبرص عن طريق البحر، واشترط عليه اتخاذ الحيطة والحذر وقال

له: " لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه، ففعل "[104] 0

ولما استقر الأمر للمسلمين وشمخ سلطانهم وخضع سلطان غيرهم تقرب إليهم كل ذى صنعة بمبلغ صناعته وأنشئوا لهم السفن والشوانى فاستخدموا لها من النواتية فى حاجاتهم البحرية مما تقوم عليها، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافتهم، فاستخدموا الخطط وأنشئوا السفن وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح واختصوا لذلك شعوبهم فى الشام وأفريقية ومصر والمغرب والأندلس[105] 0

دور الصناعة :[106]

كانت مصر فى مقدمة البلاد التى ساهمت فى بناء الأسطول الإسلامى لأن صناعة السفن كانت أكبر صناعات الإسكندرية، وفى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى على مصر غزا الروم البرلس سنة 53هـ / 672م وقتلوا عددا كبيرا من المسلمين، فاهتم أمراء مصر ببناء السفن وأنشئت لأول مرة دار لصناعتها فى جزيرة الروضة سنة 54هـ / 673م[107] 0

ولما ولى الخلافة عبد الملك بن مروان سنة (65-76 هـ / 684- 695م) بعث إلى حسان بن النعمان عامله على أفريقية باتخاذ دار الصناعة بتونس لإنشاء السفن والآلات[108]، حيث كان أهم المنجزات الأموية في المجال البحر إنشاء ترسانة تونس على أثر هجوم بيزنطي راح فيه عدد من ضحايا المسلمين قتلى وأسرى حيث كانت المنطقة غير محمية، وهكذا أمد عبد الملك بن مروان واليه حسان بألف فني من أقباط مصر بأسرهم للعمل في بناء ترسانة تونس، وفرض على السكان البربر أن يتولوا جر الخشب لإنشاء السفن ليكون ذلك جريا عليهم إلى آخر الدهر[109]0

وكان بنوا أمية يغزون الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية مما يلي ثغور الشام والجزيرة، وتقيم المراكب للغزو وترتب للحفظة في السواحل[110]0

وهكذا كانت فى العصر الأموى ثلاث أساطيل مستقلة عن بعضها، ويعمل كل منها فى منطقة معينة هى : أسطول مصر، وأسطول سورية ثم أسطول شمال أفريقية، هذا

علاوة على وحدة بحرية صغيرة تعمل فى البحر الأحمر وقد انعقد لواء كل من هذه الأساطيل لأمير من أمراء البحر[111] 0

ومن ولاة الشؤون البحرية الأوائل في عهد معاوية : علقمة بن جنادة الذي شهد فتح مصر وتوفى سنة 59هـ، وعقبة بن عامر وهو من غزاة جزر البحر المتوسط وكان مع هذا مقرئا وفقيها، ورويفع بن ثابت الذي غزا طرابلس الغرب وجزيرة جربة، وفضالة بن عبيد الذي ولاه معاوية شؤون الجيش وغزو الروم بحرا بعد أن تولى قضاء دمشق مدة، وكذلك تولى غزو البحر عقبة بن نافع على رأس الجيش المصري، ومن ولاة البحر بأفريقية : محمد بن أوس الأنصاري سنة 73هـ وشارك مع موسى ابن نصير في حملاته بالمغرب والأندلس، ويظهر أن ولايته على البحر أستمرت مدة طويلة، ثم رشحه أهل أفريقية سنة102 هـ لولايتها مؤقتا في ظروف أضطرابات بالعاصمة قبل تعين والي رسمي[112]0

وكان من ولاة البحر خلال فترة حكم الوليد بن عبد الملك خالد بن كيسان الذي وقع في أسر الروم خلال هجمات المسلمين على المواقع البيزنطية بأسيا الصغرى ثم قدموه كترضية للوليد[113]0

وعندما آلت الخلافة إلى بنى العباس واتخذوا العراق مركزا لهم بدأ اهتمامهم بأمور البحرية ضعيفا عما كان عليه الوضع خلال العصر الأموى واستمر ذلك ما يقرب من خمسين سنة، بسبب انصراف الدولة عن شئون البحر ونفض يدها من محاربة البيزنطيين فى البحر المتوسط[114] وقد ساعد على تجمد النشاط البحرى الإسلامى فى شرق البحر المتوسط انصراف الدولة البيزنطية هى الأخرى عن المصادمات البحرية مع المسلمين بسبب الفتن الداخلية وبعض المشاكل الخارجية التى عصفت بها كالنزاع الأيقونى، وثورة توماس الصقلى، سنة 205هـ /820م، وكذلك الصراع مع البلغار منذ عهد قسطنطين السادس وأمه ايرين، وساعد على تجمد النشاط البحرى الإسلامى أيضا انفصال المغرب الإسلامى والأندلس عن المشرق سياسيا[115] 0

وعلى الرغم من ذلك فقد أبدى خلفاء بنى العباسى اهتمامهم بالبحرية منذ عهد الخليفة هارون الرشيد وولى حميد بن معيوف سواحل بحر الشام ومصر سنة 190هـ /

805م فغـزوا جزيـرة قبـرص عنـدما نكـث أهلهـا العهـد مـع المسـلمين، كمـا غـزا جزيـرة أقريطش[116] 0

وعلى هذا النحو اهتم العباسيون بالبحرية الإسلامية المغربية والأندلسية فى غرب البحر المتوسط[117] 0

وقد اهتم أحمد بن طولون سنة 270هـ / 883م بإنشاء السفن الحربية وقام بتوسيع دار الصناعة وتحسينها، وجعل لها أحواضا حول جزيرة الروضة، كانت تعرف باسم " صناعة السفن "، ومن دلائل اهتمام ابن طولون بالأسطول أنه استقدم ملتزم الصناعة بالروضة أبا كامن شجاع بن أسلم الحاسب، وقال له :"كل ما تعمل لي من العدة فأنه يكتفي بالقليل مع تقدم هيبتي في صدور الناس إلا المراكب، فأن البحر لا يتهيبني ولا يخاف ثورتي، وليس يعمل فيه إلا وثاقة الصنعة، وتقديم الاحتياط، فقدموا الحزم في المراكب، وإستزيدوا من الإنفاق عليها تسلموا بتوفيق الله من معرة البحر"[118]0

وورث خمارويه عن أبيه هذا الأهتمام بالأسطول، فيذكر أن عدة المراكب المرصدة للجهاد في أيام أحمد بن طولون مائة شين، فلما مات وتملك أبنه خمارويه زاد في عددها وعدتها [119]، غير أن خلفاء خمارويه لم يولوا البحرية ذلك القدر من الأهتمام فكانت القوة البحرية في عهدهم لا تتجاوز عددا محدودا من السفن، ولم يقدر لهذه القوة أن تلعب دورا في تاريخ الأسرة الطولونية[120]

وانتقلت دار الصناعة إلى الفسطاط أيام الاخشيد (323-334هـ / 934-945م) فى المصنع المعروف باسم "صناعة السفن" فغدت السفن الحربية والبحرية والنيلية تصنع فى "صناعة مصر" مرة وفى صناعة الجزيرة مرة أخرى[121] 0

ولما فتحت صقلية فى أيام الأغالبة فى عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات ازداد المسلمون رغبة فى غزو البحر، فبالغوا فى إنشاء الأساطيل فى أفريقية، والأندلس، وبلغ عدد سفن الأسطول الإسلامى خلال عهد عبد الرحمن الناصر أواسط القرن الرابع الهجرى 200 سفينة، وكان أسطول أفريقية نحو ذلك، وتعددت دور الصناعة هناك[122] 0

واهتم الفاطميون بصناعة السفن اهتماما كثيرا فى دور الصناعة بمصر والإسكندرية ودمياط، وأخذت الدولة تثبت سلطانها على قواعد بلاد الشام البحرية وتطرد الروم من أطراف الشام الشمالية، وعلى شواطئ البحر الأحمر وشواطئ أفريقية التى كانت فى حوزتهم من قبل 0

وقد خصصت الدولة جزءا كبيرا من ميزانيتها للنفقة على الأسطول وتجهيزه بما يحتاج إليه، فأنشأ المعز لدين الله دار لصناعة السفن بالمقس قريبا من مدينة القاهرة سنة 362هـ / 972م صنع بها 600 سفينة[123] وقد جدد العزيز بالله الفاطمى دار صناعة المقس بالبناء، وأضاف إليها إضافة جديدة، وانتجت أسطول ضخم سنة 386هـ / 996م ليرسله إلى طرابلس الشام بقصد عرقلة البيزنطيين ومنعهم من التوغل فى بلاد الشام[124] 0

ولما دب الضعف والوهن فى الممالك الإسلامية المتوسطية مثل الفاطميين فى مصر والشام، وبنى زيرى فى أفريقية والأمويين فى الأندلس، وضعفت البحرية الإسلامية، وأخذت سيطرتهم فى البحر المتوسط تتراجع وتنحسر عن جزره تباعا، ولم تستطيع الجهود التى بذلها المرابطون والموحدون والمرينيون وغيرهم فى إنشاء الأساطيل أن تغير الوضع البحرى لصالح المسلمين تماما، ثم أصابها الضعف أيضا، وانتقلت ضربات الأساطيل الأوربية إلى السواحل الإسلامية فى كل من الأندلس والمغرب ومصر والشام ونجح هؤلاء فى احتلال أجزاء من هذه البلاد، ابتداء من سنة 493هـ / 1100م[125] 0

أنواع السفن :

كانت السفن الحربية أنواعا متفاوتة فى شكلها وقوتها وأحجامها تبعا للأغراض المختلفة التى صنعت من أجلها، وقد أنتجت دور الصناعة من قطع الأسطول ومراكب البحر أنواعا كثيرة نذكر منها :

البطسة : والجمع بطسات وبطس، وهى سفينة كبيرة يصل شراعها إلى أربعين شراعا، واشتهر هذا النوع من السفن فى أيام الحروب الصليبية، وهى تحمل آلات الحرب والأقوات والميرة والرجال، وآلات الحصار ولها أسطحة عالية، وطبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش يفرش بالبسط وغيرها، ووظيفة البطس الأصلية هو القيام بالأعمال القتالية فى البحر، وتتسع لعدد كبير من الجند يصل إلى سبعمائة[126] 0

الشوانى : جمع شينى، وكانت أهم قطع الأسطول الفاطمى، وكانت تعرف بالأغربة، لأنها كانت تطلى بالقار، وكانت لها قلوع بيضاء فهى بذلك تشبة القربان، ولها من المجاديف مائة وأربعين مجدافا[127] وكانت تتسع لمائة وخمسين رجلا، ومزودة بأبراج وقلاع تستخدم للدفاع والهجوم[128] 0

الحراريق : جمع حراقة وهى سفينة حربية تقوم برمى النار على الأعداء فى البحر، وهى تلى الشوانى فى الأهمية، وكان يجدف فيها بما يقرب من مائة مجداف[129]

الأغربة : وهى جمع غراب، من المراكب الحربية سريعة الحركة، وسميت بذلك بسبب مقدمتها التى كانت على شكل رأس غراب[130] 0

الطرائد : جمع طريدة وهى سفن مخصصة لحمل الخيل وتسع الواحدة منها لحمل أربعين فرسا[131] وكانت سريعة الجرى 0

الشلنديات : وهى جمع شلندية، نوع من المراكب الحربية المسطحة، تستخدم لحمل الجنود والسلاح والمؤن، وكان المقاتلون يرتادون ظهرها لقتال الأعداء، بينما يجدف الجدافون تحتهم[132] وكانت تصنع بدار الصناعة بالروضة[133] 0

المسطحات : جمع مسطح وهى كبار السفن المسطحة كانت تحمل الأسلحة للأسطول، وتستخدم فى مطاردة العدو لسرعتها[134] 0

القوارب : جمع قارب، والزوارق جمع زورق ضمن قطع الأسطول أيضا وهى مراكب من غير شراع وتستعمل فى العادة لنقل الأشخاص[135] 0

الخليـة : وهى سفينة شراعية كبيرة ويتبعها زورق يقال لـه الركوه، وسميت بذلك تشبيها بالخلية من الابل التى ترأم على ولد واحد[136] 0

جفن : سفينة حربية بطيئة الحركة لكبر حجمها 0

البارجة : كانت ضمن السفن الحربية وهى تحمل خمسة وأربعين رجلا منهم ثلاثة نفاطون وبحار وخباز إضافة إلى المجدفين والمقاتلة[137] 0

الحرابى أو الحربيات : جمع حربية، وهى نوع من الشوانى ولكنها أصغر حجما، وتمتاز هذه المراكب عن الشوانى بسرعتها وخفة حركتها، وكان هذا النوع يصنع بدار الصناعة بالروضة فى مصر، واستخدمت فى المعارك بأرض المغرب والأندلس[138] 0

المركـب المسـمى بالغيطـانى والمركـب المسـمى بـالعجزى : هما مركبان عظيما الحجم، صنعا بدار صناعة مصر، كانا يحملان عددا كبيرا من الركاب والبضائع الطائلة[139] 0

ويذكر المقريزى أنواع أخرى من السفن كانت تصنع بدار الصناعة بالجزيرة خلال عصر ابن طولون مثل العلابيات والحمائم، والسنابك وقوارب الخدمة، وكلها مراكب نيلية، والطيارة، والاشكيف[140] 0

ومن أنواع السفن البدن وهو زورق يمتاز بمقدمة ومؤخرة مدببة، والبغلة وهى ذات مؤخرة مربعة الشكل حمولتها أكثر من خمسين طنا، والبركة من السفن الخفيفة، والجهازى وهى سفينة تجارية ضخمة، والسميرية وهى من سفن البحر والنهر الحربية، والشذا وهى سفينة صغيرة من العصر العباسى [141] 0

إن تعدد أنواع السفن الحربية والتجارية وسفن النزهة الصغيرة يوضح لنا عظمة البحرية الإسلامية، ويدل دلالة واضحة على أن المسلمين الذين نشئوا فى الصحراء استطاعوا السيطرة على البحار وسجلوا مجدا بحريا رائعا 0

وكانت هناك أنواع من السفن تستخدم للابحار فى البحر الأحمر، ما بين أيلة وعيذاب أو عيذاب والبحر الحبشى، وهذا النوع ذكره ابن جبير، وكان يعرف باسم الجلاب أو الجلبات، وكان لا يستعمل فى صناعتها مسمار البته، إنما كانت تخيط بأمراس من

القنبار وهو قش جوز النارجيل يصنعون منه حبالا يخيطون بها السفن، وكانوا يدهنون السفن بالسمن أو دهن الخروع أو دهن القرش[142] 0

هذا عن أنواع السفن المختلفة التى تستخدم فى الأسطول الإسلامى أما عن الأسلحة البحرية فكانت تشمل الآتى :-

- **الكلاليب** : وهى عبارة عن خطاطيف من حديد يلقونها على إحدى سفن العدو فيوقفونها ثم يشدونها إليهم، ويرمون عليها الألواح كالجسر، ويدخلون إليها ويقاتلون من فيها[143] 0
- **الباسليقات** : وهى سلاسل فى رؤسها رمانة من حديد، كانت تستخدم فى القتال على سطح السفن[144] 0
- **التوابيت** : وهى صناديق مفتوحة من أعلاها، تكون فى أعلى الصوارى وتستخدم فى الرمى على سفن العدو أو يصعد إليها الرجال قبل دنو العدو حتى لا تصيبهم سهامه، ويقذفون العدو بأحجار صغيرة فى مخلاه بجانب الصندوق وهم محتمون بالصناديق[145] 0
- **اللجام** : وهى أداة من حديد طويلة محددة الرأس جدا أسفلها مجوف كسنان الرمح، تدخل فى خشبة كالقناة بارزة فى مقدم المركب يستخدم فى مهاجمة مركب العدو عن طريق الطعن أو النطح[146] 0

- **المنجنيق** : وهو عبارة عن آله من الخشب تستخدم فى قذف الحجارة، حيث أنه له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف تجعل كفة المنجنيق التى يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسفله إلى أعلى ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج المقذوف منه[147] وكانت تستخدم فى قذف النفط أو جرار الزيت المغلى أو النيران 0

السهام النارية : وهى عبارة عن سهام عادية ملفوف على نصلها فى مشاقة كبريت ورايتنج وقلفونية، ونورة وشحم الكلى يتم إحراق طرفه، وتستخدم فى الرمى على مراكب الاعداء فإذا واجهت الهواء تشعل نارا عظيمة تحرق كل ما تصيب[148]

جرار النورة : وهى مسحوق ناعم من مزيج الكلس والزرنيخ ويرمون بها فى سفن الأعداء فتعمى الرجال بغبارها 0

الزرافة : وهى أنبوبة من النحاس تستخدم فى قذف مزيج من المواد الملتهبة مما يطلق عليه النفط، وكان يقذف مشكلا فتبعث ناره تجاه سفن الأعداء فتحرقها وكانت توضع فى مقدمة السفن أو مؤخرتها أو على الأجناب[149] 0

وهذه النيران كانت لا تنطفئ بملامسة الماء، ولذا كان تأثيرها شديد على السفن وكان البحريون يتخذون سبل الوقاية بأنهم كانوا يعلقون الجلود أو اللبود المبللة بالخل والشب والنطرون لدفع أذى النفط، وكان الرجال يرتدون بعض الملابس الواقية مثل الخيش المطلى بالطلاء الذى لا تحرقه النار[150] 0

ومن الأسلحة البحرية أيضا 0 **قدور الحيات والعقارب**، وكانوا يرمون بها على سفن الأعداء فتحدث اضطرابا وهرجا بها، وأيضا **قدور الصابون اللين** اللزج لتزلق أقدامهم 0[151]

هذا بجانب الأسلحة الشخصية التى يجهز بها كل جندى نفسه، مثل السيوف والرماح والفؤوس، والدبابيس، والأقواس والنشاب وغيرها[152] 0

قيادة الأسطول :

كان لكل أسطول قائد ورئيس ونوتية، حيث أوكلت الدولة أمور البحرية إلى قائد أطلق عليه " **أمير البحر** " وكانت مهمته الإشراف على الأسطول وجميع ما يتعلق به من بناء السفن وتفقد دور صناعة، وتصفح أحواله، وتعهد أعدائه، وانتقاء المهرة من أهل الصناعات والحرف له، واختيار رجاله وتدريبهم[153] 0

وكان الرئيس يدبر أمر جرية بالريح أو المجادف وأمر إرساله فى مرفئه، والنواتية يعملون بأمر الرئيس[154] فعلى سبيل المثال معاوية بن أبى سفيان لما أذن له بالغزو فى البحر، جعل على البحر عبد الله بن قيس الفزارى أميرا فغزا عبد الله خمسين غزاة ما بين شاتيه وصائفه فى البحر ولم يغرق منها أحد ولم ينكب[155]

وخلال العصر الفاطمى كان على رأس الأسطول المصرى عشرة قواد عليهم رئيس يسمى قائد القواد، ولهم مرتبات قد تصل إلى 20 دينارا فى الشهر، ويذكر أن ما كان ينفق على الحملة زمن المعز لدين الله الفاطمى أكثر من مائة ألف دينار، وكان يصرف عليه

من خراج الاقطاعات المحبوسة عليه، ووصل عدد رجال الأسطول الفاطمى فى بعض الأحيان أكثر من خمسة آلاف[156] 0

مصادر ومراجع الفصل الرابع

1- **ابن عبد ربه** : العقد الفريد جـ1، ص108 0

2- **ابـن خلـدون** : المقدمـة جـ2، ص653، **أبـو زيـد شـلبى** : الحضـارة الإسـلامية، ص147 0

3- **المائدة آية 64 0**

4- **الأنفال آية 57 0**

5- **أبو زيد شلبى** : الحضارة الإسلامية، ص148 0

6- **الرازى** : مختار الصحاح، ص48، مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز ص122 0

7- **حسن محمد جودة** : نظم الحضارة الإسلامية، ص100 0

8- **إبراهيم أحمد العدوى** : تاريخ الوطن العربى وحضارته، ص196 0

9- **الجهـاد** : مأخوذ من الجهد بفتح الجيم وضمها : الطاقة وورد فى قولـه تعالى " وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ"(التوبة: من الآية79) والجهد بالفتح المشقة 0

10- **الحجر : آية 94**

11- **النحل آيه125**

12- **ابن هشام** : السيرة النبوية، جـ1، ص282 0

13- **سورة الحج آية 39** 0

14- **البقرة الآيتان 190، 191 0**

15- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص95، 96 0

16- **البقرة : آية 216** 0

17- **التوبة : آية 122 0**

18- **الأنفال : آية 39** 0

19- **البقرة : آية 194 0**

20- **التوبة : آية 5 0**

21- **التوبة : آية 36** 0

22- **البقرة : آية 244**

23- يطلق لفظ الجيش على الجند كما يطلق على جماعة الناس فى الحرب أو السائرين إلى الحرب أو غيرها 0 **الزبيدى** : تاج العروس مادة جيش 0

24- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص96، **إبراهيم سليمان الكروى** : المرجع فى الحضارة، ص102 0

25- **الطبرى** : تاريخ، جـ3، ص613 0

26- **الطبرى** : تاريخ، جـ3، ص247 0

27- **الأنفال : آيه 60**

28- **مجدى شحاته محمد فايد** : الجهاد، بحث ضمن " بحوث دراسات إسلامية "، مؤسسة اقرأ، القاهرة 1992م، ص57 0

29- **الطبري** : تاريخه، جـ3، ص 247

30- **الطبري** : تاريخه، جـ3، ص 481

31- **محمد عزب دسوقى** : القبائل العربية فى بلاد الشام، ص207-220 0

32- **محمد بطانيه** : في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص97

33- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص98 0

34- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة، ص103 0

35- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص104 0

36- **ابن الأثير** : الكامل، جـ5، ص236 0

37- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص105 0

38- **محمد الخضري** : محاضرات، جـ1، ص128، 136، 149

39- **ابـن سـيد النـاس** : عيـون الأثـر، جـ1، ص153، 156، محمـد الخضـري : محاضرات، جـ1، ص160،159

40- **ابن هشام** : السيرة النبوية، جـ4، ص83 0

41- **الطبرى** : تاريخ، جـ3، ص394، 395 0

42- **الطبرى** : تاريخه جـ8، ص152 0

43- **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص102 0
44- **الطبرى** : تاريخه جـ6، ص512 0
45- **الطبرى** : تاريخه، جـ7، ص437 0
46- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع، ص104 0
47- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص96 0
48- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص105 0
49- **البلاذرى** : فتوح البلدان، جـ2، ص390 0
50- **القرطبى** : تفسير القرطبى، تفسير آية 53 من سورة التوبة 0
51- **ابن الأثير** : الكامل، جـ5، ص238 0
52- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص108 0
53- **الطبرى** : تاريخه جـ6، ص329 0
54- **ابن الأثير** : الكامل، جـ5، ص238 0
55- **سورة الصف آية 4** 0
56- **ابن خلدون** : المقدمة، ص203 0
57- **إبراهيم الكروى** : المرجع فى الحضارة ص105 0
58- **ابن خلدون** : المقدمة، ص205 0
59- **الطبرى** : تاريخه، جـ4، ص11 0
60- **الطبرى** : تاريخه، جـ3، ص396 0
61- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع، ص105 0
62- **البقرة : آية 150**
63- **الممتحنة : آية 8**
64- **رواه مسلم** : كتاب الجهاد
65- **رواه البخاري** : كتاب الفتن
66- **رواه البخاري** : كتاب الجهاد
67- **الطبري** : تاريخه، جـ2، ص63

68- **ابـن عبـد ربـه** : العقد الفريـد، جـ1، ص154، **أبـو زيـد شـلبي** : الحضـارة الإسلامية، ص155

69- **الضبور** : آله تشبة الدبابة تصنع من الخشب المغطى بالجلد، ويكمن فيها الجنود بعد تقريبه من الحصن يتقون نبل العدو استعدادا للهجوم على الحصن 0 **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ص117 0

70- **محمد بطاينة** : فى تاريخ الحضارة، ص117 0

71- **فتحية النبراوى** : تاريخ النظم والحضارة، ص242 0

72- **ابن سعد** : الطبقات، جـ1، ص486، الطبرى : تاريخه جـ3، ص177 0

73- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة، ص106 0

74- **فتحية النبراوى** : تاريخ النظم والحضارة، ص242، 243 0

75- **الطبرى** : تاريخه، جـ3، ص177 0

76- **ابن سعد** : الطبقات الكبرى، جـ1، ص178، **الطبرى** : تاريخه جـ3، ص177 0

77- **حسن محمد جودة:** نظم الحضارة الإسلامية، ص105

78- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص69 0

79- **إبراهيم سلمان الكروى** : المرجع فى الحضارة الإسلامية، ص107 0

80- **محمد ضيف الله** : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جـ1، ص117 0

81- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص70 0

82- **القلقشندى** : صبح الأعشى، جـ3، ص388 0

83- **عبد المنعم ماجد** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص70 0

84- **المقريزى** : الخطط، جـ2، ص18، **القلقشندى** : صبح جـ2، ص138 0

85- **محمد ضيف الله** : تاريخ الحضارة، جـ1، ص117 0

86- **أبو زيد شلبى** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص161 0

87- **محمد عبد الهادي شعيرة** : من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الول والثاني للهجرة، بحث ضمن كتاب دراسات في الآثار الإسلامية، ص29،9

88- **أحمد مختار العبادي** : نظم الحكم والإدارة، ص179، 180

89- **أبو يزيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص161

90- **الحسك** : شوك مدحرج لا يكاد يمشي عليه إذا يبس، أبن هشام : السيرة النبوية، جـ2 ،ص303

91- **أبو يزيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص162

92- **إبراهيم سلمان الكروي** : المرجع في الحضارة، ص107

93- **إبراهيم سليمان الكروي** : المرجع في الحضارة، ص 107، 108

94- **ابن خلدون** : المقدمة، ص189

95- **ابن الأثير** : الكامل، جـ3، ص3

96- **ابن خلدون** : المقدمة، ص189

97- **عبد العزيز سالم، العبادي** : تاريخ البحرية الإسلامية، ص5

98- **عبد العزيز سالم** : طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ص33

99- **البلاذري**: فتوح البلدان، جـ1، ص150

100- ابن خلدون : المقدمة، ص197

101- **الطبري** : تاريخه، جـ3، ص315، **السيوطي** : تاريخ الخلفاء، ص104

102- **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص166

103- **دار الصناعة** : كانت فيما مضى تطلق على ما يسمى الآن " الترسانة" وهي أسم المكان الذي أعد لإنشاء المراكب البحرية، **المقريزي** : الخطط، جـ2، ص189

104- **الكندي** : الولاة والقضاة، ص 38، المقريزي : الخطط، جـ2، ص190

105- **أبو يزيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص167

106- **إبراهيم الكروي** : المرجع في الحضارة الإسلامية، ص116

107- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية الإسلامية، ص 37

108- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية الإسلامية، ص38

109- **البكري** : مسالك الممالك، ص 28

110- **البلاذري** : فتوح البلدان، ص222، **إبراهيم حركات** : السياسة والمجتمع، ص206

111- **البلاذري** : فتوح البلدان، جـ1، ص279، **ابن الأثير** : الكامل، جـ6 ،ص196

112- **إبراهيم حركات** : السياسة والمجتمع، ص206،207

113- **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص114، **أبو المحاسن** : النجوم ،جـ1،ص127-138

114- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية الإسلامية، ص39

115- **البلـوي** : سيرة أحمد بن طولون، ص349، **الكنـدي** : الولاة، ص286، **سـالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص57،59

116- **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص167

117- **المقريزي** : الخطط، جـ2، ص189

118- **ابن سعيد** : المغرب في حلى المغرب، جـ1، ص 95

119- **سالم، العبادي** : تاريخ البحرية، ص95

120- **المقريزي** : الخطط جـ2، ص90، **السيوطي** : حسن المحاضرة، جـ2، ص223

121- **سالم، العبادي** : تاريخ البحرية، ص91

122- **محمد ضيف الله** : في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص128، **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص103-108

123- **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص480، **سعاد ماهر** : البحرية في مصر الإسلامية، ص 232

124- **ابن مماتي** : قوانين، ص340

125- **سالم والعبادي** : البحرية الإسلامية، ص133

126- **ابن مماتي** : قوانين، ص 340، **محمد ضيف الله** : في تاريخ الحضارة، ص129

127- **ابـن مماتي** : قوانين، ص340، **محمد فتحـي الشاعر** : الحضارة الإسلامية، ص68

128- **ابن مماتي** : قوانين ص339

129- **ابن مماتي** : قوانين، ص 340

130- **المقريزي** : الخطط جـ2، ص180

131- **المقريزي** : الخطط، جـ2، ص195

132- **عبد المنعم ماجد** : نظم الفاطميين، ص234

133- **محمد ضيف الله** : في تاريخ الحضارة، ص 129

134- **محمد ضيف الله** : في تاريخ الحضارة، ص 129

135- **سالم، العبادي** : تاريخ البحرية، ص133، 134

136- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص134

137- **المقريزي** : الخطط، جـ2، ص185، **ابن سعيد** : المغرب، جـ1، ص8، **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص138

138- **ابن مماتي** : قوانين الدواوين، المقريزي : الخطط، جـ2، **درويش النخيلي** : معجم السفن الإسلامية

139- **ابن جبير** : الرحلة، ص70

140- **أبو زيد شلبي** :تاريخ الحضارة، ص169

141- **سالم والعبادى**:تاريخ البحرية ،ص141

142- **ابراهيم حسن سعيد** : البحرية في عصر المماليك، ص239

143- **الحسن بن عبد الله** : آثار الأول، ص 197، **سعاد ماهر** : البحرية، ص203

144- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص141، **إبراهيم حسن سعيد** : البحرية، ص242

145- **إبراهيم حسن سعيد** : البحرية، ص241

146- **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص169

147- **إبراهيم حسن سعيد** : البحرية، ص241

148- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص142، **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص170

149- **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص170

150- **سالم والعبادي** : تاريخ البحرية، ص140، 141

151- **قدامة بن جعفر** : الخراج وصناعة الكتابة، ص 47-50

152- **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص171

153- **ابن خلدون** : المقدمة، جـ2، ص629

154- **الطبري** : تاريخه، جـ4، ص260

155- **سعاد ماهر** : البحرية في مصر، ص 299، **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص 171، **محمد ضيف الله** : في تاريخ الحضارة، ص133

156- **محمد ضيف الله** : في تاريخ الحضارة، ص133

الفصل الخامس: النظم الاجتماعية

- المرأة
- الرق

الفصل الخامس

النظم الاجتماعية

النظام الاجتماعي هو مجموعة القواعد التى تنظم العلاقات بين الفرد والجماعة، وتربط بين أجزاء المجتمع على اختلاف أنماطه 0

والمجتمع هو محور النظام الاجتماعي، وهو مجموعة من الأفراد داخل المجتمع تربطهم روابط عديدة أهمها اللغة والجنس والأرض والعادات والتقاليد، ويتكون داخل المجتمع ما يسمى بالأسرة التي ترتبط مع غيرها من الأسر أما عن طريق المصاهرة أو الجوار أو التفاعل الاجتماعي المتمثل في ضرورة التعامل التلقائي بين الناس، وتبادل المنافع والمشاركة الوجدانية مكونة فيما بينها المجتمع 0

ويشمل حديثنا عن النظام الاجتماعي في الإسلام، المرأة فى الإسلام والرق وموقف الإسلام منه 0

أسس النظام الاجتماعي في الإسلام :

كان للمجتمع العربي الإسلامي سمات واضحة ومميزات قيمة أثرت أثرها العظيم فى حياة المسلمين وحضارتهم، فقد كان يسودهم الإخاء والتسامح وكانوا يتسمون بالحلم والأدب والوقار، والرضا بما قسم الله من حظوظ الدنيا فكان حقا مجتمعا سعيدا هانئا مطمئنا، وقد أقام الإسلام نظامه الاجتماعي على دعائم متعددة أساسية هي: المساواة والعدل والرحمة 0

المساواة :

أقر الإسلام مبدأ المساواة بين الناس، وقد سار النبيﷺ والخلفاء الراشدين من بعده على تحقيق هذا المبدأ، فقد بين الإسلام أن الناس متساوون فى مادة خلقهم التى هي الركيزة الأساسية للمساواة فيما بينهم، فالجنس البشرى خلق من مادة واحدة هي الطين وذلك ما بينه الله عز وجل فى كتابه الكريم:﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾[1] كما أشار الرسول ﷺ إلى ذلك بقوله : "كلكم بنو آدم وآدم من تراب"[2] ولذا ليس هناك فرق بين الناس بل هناك مساواة 0

هذا ولم يقم الإسلام موازين التفاضل بين الناس عند الله على أساس اللون أو اللغة أو القبيلة وإنما جعلها بالتقوى، يقول تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [3] كما قال الرسول ﷺ في خطبة له : "يأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم "[4] 0

والمساواة في الإسلام تعنى أنه لا فرق بين أحد وآخر فى الخضوع لحكم قواعده وليس فيه فرد فوق هذه القواعد مهما علت منزلته، ويؤكد ذلك ما روى عن المرأة المخزومية التى سرقت وجئ إلى الرسول ﷺ للشفاعة حتى لا يقام عليها الحد، فغضب الرسول لذلك وقال "إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق منهم الشريف تركوه وإذا سرق منهم الوضيع أقاموا عليه الحد 0 وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها "[5]، وهكذا طبق الإسلام مبدأ المساواة بين أفراد المجتمع 0

العدل :

أخذ الإسلام بمبدأ تحقيق العدالة بين الناس ويظهر ذلك سواء فى كتاب الله أو أحاديث رسوله ﷺ ففي الكتاب الكريم آيات تتحدث عن العدل منها قوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً**﴾ [6] ويقول تعالى مشيرا إلى تحقيق العدل :﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾[7] 0

ووجبت العدالة على المخلوقين، يقول تعالى:﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَق000**﴾[8] والعدل فى القرآن ليس حقا للحاكم يعطيه أو لا يعطيه بل هو واجب عليه وأمانة فى عنقه 0

وهناك جانبا آخر فى القرآن الكريم يتحدث عن العدل ووجوبه فى الحديث والأقضية والأحكام والشهادات يقول تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾[9] 0

أما في السنة النبوية فإن من أقوال الرسولﷺ وأعماله وتقريراته تمثل فى جملتها الجانب التطبيقي لمبدأ العدالة الإسلامية، فقد كان عادلا بينه وبين نفسه وبين جماعته، بل شملت عدالته المجتمع الإسلامي كله، بل المجتمع الإنساني بأسره، إذ لم يفرق بين مسلم وغير مسلم فى العدالة وتلك عدالة الإسلام التى يتسع مفهومها ليشمل الإنسان أيا كان نوعه أو دينه أو منزلته بين قومه، يقول الرسولﷺ : "القضاة ثلاثة واحد فى الجنة واثنان فى النار، فأما الذى فى الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ورجل قضى بين الناس على جهل فهو فى النار"[10] 0

الرحمة:

الرحمة إحساس ينبع من قلب الإنسان، ويسرى بين جنبات نفسه فيقتل ما كان فيها من قسوة وغلظة وغضب، وهى شعور لا يفرض من خارج الإنسان وإنما يتولد من داخله طواعية دون إلزام أو إجبار يجعله شفوقا بإخوانه عطوفا عليهم ودودا لهم، متواضعا محبا للناس يشاركهم أفراحهم وأحزانهم، والرحمة فى الإسلام تفرض على المسلم أن يبدأ بنفسه فيرحمها بكبح شهواتها وإمساكه بازمتها حتى لا تجنح إلى الهاوية، وعلى المسلم أن يرحم نفسه ويرحم أهله وقد بين القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[11] 0

ويأمر الإسلام المسلمين بأن يكون رحيما بجيرانه وبمعارفه بل بالمجتمع كله، بمعنى أن تعم الرحمة جنبات المجتمع، فيغدو فى ظلها متآخيا مترابطا ومن ثم يحقق لذاته كمجتمع إسلامي الهدف الذي ينشده الرسولﷺ بقوله : ***"ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"***[12] 0

وقد قام النظام الإسلامي في ظل هذه الرحمة بالناس والتخفيف عنهم والتيسير عليهم بقوله تعالى:﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾[13] وقد دعي النظام الإسلامي وهو الذي يرتكز على الرحمة – المسلم أن يكون ملتزما بها قولا وعملا وسلوكا حيث تحدث أثرها فى التآلف والتعاون والمودة والمحبة بين أبناء المجتمع[14]

المرأة:

يقاس رقى أي مجتمع من المجتمعات فى أي عصر من العصور التاريخية دائما بمدى تقدير ذلك المجتمع للمرأة، واستجابته لإعطائها حقوقها، فهي الشريكة الأولى للرجل فى تكوين الأسرة، وساعده الأيمن فى تحمل أعباء الحياة الزوجية فهي التي تدبر شئون الخلية الأولى للمجتمع وهى الأسرة 0

والأم هي المسئولة قبل غيرها عن تنشئة المواطن الصالح، وقد أسهمت المرأة بنصيب موفور فى شتى مناحي الحياة، وظهر أثرها واضحا فى تلك المناحي من خلال مكانتها ودورها فى ظل الحضارة الإسلامية، على مر العصور، فشاركت فى النواحي الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعسكرية، وتمتعت بقسط موفور من الاحترام والتبجيل، سواء داخل الطبقة الحاكمة أم فى عامة الشعب 0

فالمجتمع الإسلامي امتاز في صدر الإسلام بالديمقراطية الحقة، ولكون الدين الإسلامي حث على هذه الصفة المحمودة فقد ظلت مألوفة بين أفراد المجتمع، حيث شجعها الرسول ﷺ ومن بعده الخلفاء الراشدون وشجعها بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين 0

وأن مجتمعا تسوده هذه الصفة، بل هذه الفضيلة لمجتمع تعمه الطمأنينة ويسوده العدل، وهذا يدل دلالة واضحة على سلامة المجتمع والمساواة بين أفراده

فقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقها كاملة غير منقوصة ورفع عن كاهلها وزر الإهانات التى لحقت بها عبر التاريخ، فقد كانت الأمم السابقة تنظر إلى المرأة نظرة احتقار، وظلت المرأة مجهولة القدر مجحودة الفضل، ترزخ تحت أعباء ظالمة وتقاليد جائرة، فهي في الصين حبيسة، وفى الفرس مجهولة القدر، وفى مصر حقيرة، وفى أوربا مملوكة، وفى البلاد العربية متاعا يورث، حتى إذا ما جاء الإسلام فأنصفها وبوأها مكانا ساميا 0

فقد أوضح الإسلام أن المرأة والرجل من أصل واحد وذلك فى قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً**﴾[15] 0

وقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى كل ما يصلح النفوس، وفى النواحي الدينية والعبادة، فكثير من الآيات تجمع بين الرجل والمرأة فى التكاليف الشرعية وفى الثواب والعقاب، قال تعالى:﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً**﴾[16]، وقال تعالى:﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[17]، وقال عز من قائل : ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**﴾[18] هذا وقد قرن الإسلام المرأة بالرجل ثم جعل عاقبتهما معا واحدة بأن الله أعد لهم مغفرة وأجرا عظيما، كما جاء فى قوله تعالى :﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ [19] 0

أما بالنسبة عن نصيب المرأة فى التعليم، فنجد أن الإسلام حث على طلب العلم ولم يفرق بين الرجل والمرأة فى ذلك، فقد ورد فى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تحث على طلب العلم وفضل العلماء [20] فأولى الآيات التي نزلت في القرآن الكريم على الرسول ﷺكانت ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ [21]، كما تبين الآيات مكانة العلماء في قوله تعالى﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [22]، كما فضلهم على غيرهم في قوله تعالى ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[23] كما حثهم على الاستزادة منه بقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**﴾[24] وشرح فضل العلم في معرفة العلماء للخالق وخشيتهم له في قوله تعالى﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[25]كما ورد فى السنة النبوية المطهرة ما يبين فضل العلم، يقول الرسولﷺ : "طلب العلم فريضة على كل مسلم" [26] 0

وتذكير كلمة مسلم هنا يفهم منها الاستغراق كما يقول علماء البلاغة بمعنى أن نستغرق كل المسلمين وتشمل الذكر والأنثى على السواء 0

وهناك أمثلة كثيرة تلقى الضوء على تعليم المرأة فى مختلف العصور الإسلامية منها :-

- يذكر أنه عند مجيء الإسلام كان هناك خمسة من نساء العرب يقرأن ويكتبن منهن الشفاء بنت عبد الله العدوية التى كانت تعلم حفصة واستمرت فى تعليمها بناء على طلب الرسول ﷺ حتى بعد زواجه منها وأم كلثوم بنت عقبة، وعائشة بنت سعد، وكريمة بنت المقداد[27] 0

ويروى البخاري أن النساء قلن للنبي غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك 0 فجعل لهن يوما يلقاهن فيه ويعلمهن[28] 0

هذا وقد حصلت المرأة على علومها من مصادر عدة تمثلت فى أخذها العلم عن العديد من العالمات الفاضلات من بنى جنسها، بجانب أخذ البعض منهن العلم عن آبائهن أو إخوانهن، أو جلوس البعض منهن فى مجالس العلم أمام العلماء فى المساجد وذلك من وراء حجاب[29] 0

وعلى كل حال فقد انتج التعليم الخاص مجموعة من النساء اللاتي كانت ثقافتهن لا تقل عن ثقافة الرجال بل ربما فاقتها فى كثير من الأحوال، وهناك قول لأحد الشعراء:

نساؤنا فاقت أئمتنا في الفضل والتدريس والإخلاص[30]

وقد برزت في الدولة العربية الإسلامية عدة نساء كان لهن مركز ممتاز يأتي في مقدمتهن السيدة عائشة أم المؤمنين زوجة الرسول ﷺ فقد اشتهرت بتفوقها فى الفقه ورواية الحديث والفتيا والأدب والتاريخ والنسب، وقد ورد عن الرسول ﷺ قوله : *"خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء"* يقصد زوجته عائشة التى روت عنه ﷺ ألف حديث رواية مباشرة وهو ما لم يتوفر لسواها "[31] 0

كانت ***السيدة عائشة*** رضي الله عنها على قدر كبير من العلم والفصاحة والبلاغة وجمال الأسلوب ورقة التعبير وقوة البيان، وقد كانت عالمة هذه الأمة بل عالمة نساء العالمين، روى الرواة عنها من الأحاديث الكثير وهى أكثر الصحابيات رواية بعد أبى هريرة وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك رضى الله عنهم، وقال عطاء بن أبى رباح كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس رأيا فى العامة، وقال هشام بن عروة عن أبية ما رأيت أحدا أعلم بفقه

ولا بطب ولا بشعر من عائشةﷺ، وقال الزهري لو جمع علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل[32] 0

وكانت السيدة ***زينب*** بنت الإمام على بن أبى طالب وأمها السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ من الذين شاركوا مشاركة فعالة فى الحياة الثقافية أوائل العصر الأموي حيث برعت فى العلوم الدينية 0

أتت إلى مصر بعد مأساة كربلاء سنة 61هـ/680م، واستقرت بها وعرفت بأم العزائم، وأم هاشم، وتحول بيتها فى مصر إلى مقر يعقد فيه الوالي لقاءاته وكان ذلك خلال فترة حكم الوالي مسلمة بن مخلد الأنصاري، توفيت السيدة زينب رضى الله عنها سنة 62هـ/ 607م ودفنت فى منزلها بمصر وهو مسجدها الآن[33] 0

ومن النساء الشهيرات ***سكينة بنت الحسين*** بن على بن أبى طالب، فكانت سيدة نساء عصرها اشتهرت فى تاريخ الثقافة العربية الإسلامية بأنها صاحبة أول ندوة أدبية تقمها المرأة ويقف ببابها الرجال، وكان من بين هؤلاء فحول الشعراء، مثل الفرزدق، وكثير، وجرير، وجميل، وعمر بن أبى ربيعة، تزوجت من مصعب بن الزبير فهلك عنها، تقدم عبد الملك بن مروان يطلب الزواج منها، ولكنها أبت وتزوجت عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام، ومات عنها، ثم تزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول عليها، ثم تزوجها زيد بن عمر بن عثمان بن عفان، وأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل، وكانت سكينة قائلة للشعر راوية وناقدة له خبيرة بضروبة وأوزانه وقوافيه، ذواقة لمعانية عارفة لأقدار قائليه[34]، توفيت السيدة سكينة بمكة سنة 117هـ/735م 0

وقد اشتهرت ***السيدة نفيسة*** بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب بالفقه، تزوجت من ابن عمها إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق[35] استقت علومها من مدرسة أبيها فحفظت القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، ورحلت إلى المدينة، وتلقت العلوم عن الإمام مالك (93-79هـ)، طيلة أربعة عشر عاما ثم انتقلت إلى مصر، واستقرت بها، أثناء خلافة المأمون العباسي، ونهل من علمها الكثير من أبناء مصر، وكان الإمام الشافعي يزورها من وراء حجاب، وكذلك قصدها الإمام أحمد بن حنبل

(164-241هـ) حفرت قبرها بنفسها وصلت فيه عدة مرات، وقرأت فيه القرآن الكريم كاملا عدة مرات، توفيت سنة 208هـ/ 823م[36] 0

وكانت ***فاطمة النيسابورية*** من ذوى الزهد والورع حجت أكثر من مرة وهى ماشية على قدمها من بيت المقدس إلى مكة، وكانت معاصرة للعالم المصري ذي النون وكانت على قدر كبير من العلم حيث تفقهت فى الدين، توفيت سنة 223هـ/837م[37]0

ومن عالمات القرن الثالث الهجري ***آمنة الرملية***، كانت أكثر علماء زمانها يترددون عليها ينهلون من علمها، وكانت معاصرة للأمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة 341هـ وكانت تزوره[38] 0

وكانت ***السيدة زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسي*** من النساء اللاتي ساهمن بدور كبير فى الحياة الثقافية خلال العصر العباسي، قيل أن أسمها آمنة، وأمة الواحد[39] فلقبها جدها المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها، تزوجها الخليفة هارون الرشيد سنة 169هـ/ 781م وهى أم الخليفة الأمين[40] 0

تميزت زبيدة بسعة الأفق حتى فى الأمور الفقهية، وكانت ذات دين وفضل تقرأ القرآن الكريم وترتله فضلا عن ذلك شجعت العلم وقراءة القرآن، وكان لها مائة جارية تحفظن القرآن ولكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع فى قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن الكريم[41] توفيت زبيدة ببغداد سنة 216هـ/831م[42] 0

ومن عالمات القرن الرابع الهجري ***أمة الواحد المحاملى*** بنت القاضي أبى إسماعيل عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد الضبي المحاملى، كانت من أهل الدين والصلاح قرأت القرآن الكريم وحفظته مجودا، وبجانب ذلك تعلمت الفقه والنحو وعلم الفرائض وأتقنتها جميعا، درست فى منزلها للنساء وبلغت فى الفقه مكانه مرموقة حيث كان النساء فى قطرها لا يحتجن إلى سؤال أحد العلماء فى أمور دينهن، توفيت ببغداد سنة 377هـ/ 987م[43] 0

وفاطمة بنت زعبل وهى فاطمة أم الخير كانت أوحد زمانها فى علم الحديث، ولها مشاركة فعالة فى العلوم الدينية، روت صحيح مسلم، وعملت بالفقه والفرائض، وكانت تميز بين المسند والمرفوع والمعنعن والمرسل والمنقطع والموضوع والمتواتر، والغريب

والمسلسل والمصحف، هذا بجانب علمها بالنحو، توفيت ببغداد سنة 532هـ/ 1137م[44] 0

وفى بلاد المغرب برع من النساء ***أم العز العبدرية*** التى كانت تدرس القراءات السبع وصحيح البخاري[45] وأم هانى ابنة القاضي عبد الحق بن عطريه التى درست على والدها وأخذ الناس عنها العلوم، ولها تأليف فى الوعظ والإرشاد، ومنهن السيدة خيرونة الفاسية العالمة الصوفية التى أخذت التصوف عن الإمام عثمان السلالحى صاحب الطريقة البرهانية، وشيخ أهل فاس فى عصره[46] 0

أما عن دور المرأة فى العلوم الأدبية :

فقد اشتهرت كوكبة من النساء فى هذا المجال وأبدعن إبداعا كبيرا في ستة فروع من العلوم الأدبية من شعر وأدب وخطابة وبلاغة بجانب علوم اللغة خاصة النحو وأمثلة ذلك :

عمرة بنت مرداس بن أبى عامر، أمها الخنساء، كانت عمرة شاعرة مثل أمها، وقد برعت فى شعر الرثاء، توفيت فى خلافة معاوية وذلك سنة 48هـ/ 668م[47]

وكذلك ***ميسون بنت حميد بن بحدل الكلبية***، كانت جميلة الأوصاف، فائقة الجمال، وهى من بادية العرب، من أهل الحسب من بنى كلاب الأنجاب تزوجها معاوية بن أبى سفيان، وأنجبت له يزيدا، كانت تجيد الشعر وتنشده، توفيت ميسون فى خلافة ابنها يزيد[48] 0

ومن المتكلمات الخطيبات البليغات من نساء العرب المسلمات ***أم الخير ابنة الحريشى بن سراقة البارقيه***، كانت قد وقفت مع جنود الخليفة على بن أبى طالب ﷺ قبل لقاءهم مع جنود معاوية فى معركة صفين وقالت قصيدة بلاغية حماسية، ظلت بالكوفة حتى توفيت بها[49] 0

ومن الأدبيات ***عكرشة بنت الأطروش بن رواحة***، كانت فصيحة الألفاظ رقيقة أدبية حرة المنطق ذات عقل وافر، جامعة بين الشجاعة والأدب، حضرت حرب صفين أيضا وألقت الخطب الحماسية البليغة تحرض جنود على لقتال أتباع معاوية، ولما تولى الخلافة معاوية غدت عليه فسألته رد الصدقات، فأمر برد صدقاتهم وأنصفها، وبقيت مكرمة فى قومها إلى أن توفيت فى خلافة معاوية (40-60هـ)[50] 0

وكانت ***بكارة الهلالية*** من نساء العرب الموصوفات بالشجاعة والإقدام والفصاحة والشعر والنثر والخطابة، حضرت مع الخليفة على فى حرب صفين، ولها فيها مقالات حماسية جعلت من يسمعها يقبل على الهلاك بدون مبالاة بالعواقب 0

أما ***دراميـة الحجونيـة***، فكانت فصيحة اللسان بليغة البيان غير هيابة المقال لا يسألها أحد سؤال إلا جاوبته بأحسن جواب وأقنع خطاب وصلت إلى درجة كبيرة من الجرأة الأدبية وساعدها على ذلك فصاحة اللسان وبلاغة البيان، وصدق القول[51] 0

أما ***عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية***، فكانت على قدر كبير من الثقافة والمعرفة، وكانت من الشاعرات القليلات اللاتي لا يقلن الشعر إلا لأغراض سامية، ولها فى ذلك شعر كثير، كانت من النادرات اللاتي يقرأن ويكتبن، تزوجت عبد الله ابن أبي بكر واستشهد فى الطائف، ثم تزوجها الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، سنة 12هـ واستشهد، ثم تزوجها الزبير بن العوام وقتل فى واقعة الجمل سنة 36هـ، ثم تزوجها محمد بن أبى بكر الصديق، وقتل بمؤامرة من معاوية سنة 37هـ، وأراد الخليفة على بن أبى طالبﷺ أن يتزوجها إلا أنها أدركت أن ذلك شفقة منه فرفضت، وكان المسلمون يرددون من أحب الشهادة فليتزوج عاتكة[52]، توفيت عاتكة في خلافة يزيد بن معاوية سنة (61-64هـ) 0

وكانت ***ليلـى الأخيليـة*** من النساء المتقدمات فى الشعر خلال العصر الأموي وبجانب ذلك كانت حافظة لأنساب العرب وأيامهم وأسفارهم، وكانت دائما على اتصال بعلية القوم من خلفاء وأمراء مثل معاوية، ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف الثقفي، وهذا إن دل على شئ إنما يدل على مكانتها الاجتماعية والأدبية وساعدها على ذلك ما تميزت به من فصاحة وبلاغة، توفيت ليلى الأخيلية سنة 86هـ/ 705م بالقرب من حلوان فى مدينة قومس على جانب الفرات بالعراق[53] 0

وكذلك ***لبانـة ابنـة ريطـه*** بن على بن عبد الله بن طاهر كانت من أحسن النساء عقلا وأعظمهن أدبا فصيحة البيان عذبة اللسان شاعرة، تزوجها محمد الأمين بن هارون الرشيد، توفيت فى خلافة المأمون العباسي (198-218هـ) [54]

ومن شاعرات العصر العباسي " ***علية ابنة المهدى العباسية*** " وهى أخت الخليفة هارون الرشيد العباسي، كانت من أحسن نساء عصرها وجها، وأظرفهن خلقا، وأوفرهن

عقلا، ذات صيانة وأدب بارع، تزوجها موسى بن عيسى العباسي، وكان هارون الرشيد يبالغ فى إكرامها واحترامها ولها ديوان شعر، وكانت عليه قد ولدت سنة 160هـ/776م وعاشت خمسين سنة وتوفيت سنة 210هـ/ 820م فى خلافة ابن أخيها المأمون العباسي[55] 0

ومن النساء اليمنيات البارزات في علوم اللغة ***صفية بنت المرتضى محمد بن الهادي*** (298-301هـ) اشتغلت بالعلم منذ شبابها ودرست على يد والدها، ونبغت فى علم النحو الذى برزت فيه وتصدت للتدريس ولها رسائل جيده منها رسالة فى الجواب الوجيز على صاحب التجويز، وكانت تناظر العلماء[56] 0

من شهيرات النساء فى بلاد المغرب الشاعرة ***خديجة المعافرى***، التي عرفت باسم ***خدوج الروصفية***، فقد اشتهرت بأدبها وفصاحتها وشعرها الرقيق[57] 0

وقد ظهر في عهد عبد المؤمن الموحدى عدد من الأديبات المجيدات اللاتي اقتحمن ميادين المعرفة منهن الشاعرة ***حفصة ابنة الحاج الركونى***، يقول لسان الدين ابن الخطيب أنها كانت فريدة الزمان فى الحسن والظرف والأدب واللوذعية أديبة نبيلة جيدة البديهة سريعة الشعر[58] ويضيف ياقوت أنها كانت مشهورة بالحسب والنسب والأدب والجمال، ولبثت تعلم النساء فى دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن ابن على الموحدى، وقد تولع بها وتغير بسببها على الوزير أبى جعفر أحمد بن عبد الملك[59]

المرأة والجهاد :

عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : " استأذنت النبيﷺ في الجهاد فقال : جهادكن الحج[60] لذا قال العلماء لا يجب الجهاد على النساء ولكن من عرفه يحصل لهن فى معرفته الأجر وقد يحتجن إليه فى بعض الأوقات والحضارة الإسلامية حافلة بمواقف مشرفة لجهاد المرأة المسلمة فعلى الرغم من عدم وجوبه عليها فقد حرصت على المشاركة فيه طلبا للتحرر وحرصا على الشهادة ومثال لذلك :

السيدة نسيبة بنت كعب المازنية " أم عمارة " التي يفخر بها التاريخ الإسلامي ويعتز بها كل مسلم مجاهد، التي دافعت عن الرسولﷺ يوم أحد حتى قال الرسولﷺ فيها

: "ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني " فقد خرجت مع المسلمين في غزوة أحد تسقى وتداوى الجرحى حتى إذا دارت الدائرة على المسلمين، وفر من فر، وقتل من قتل وظن الكثيرون أن الرسولﷺ قتل تركت السقاء وأمسكت سيفا وأخذت تدافع عن الرسول ﷺ دفاعا شديدا لا تلقى بالا لضربات المشركين ولا طعناتهم حتى صار جسمها من جميع نواحيه يقطر دما وهى غير مكترثة بما يصيب أولادها وزوجها من الهلاك، فهمها الأكبر هو سلامة رسول اللهﷺ لذا دعا الرسولﷺ لها ولأهلها قائلا : "اللهم اجعلهم رفاقي في الجنة"[61] وعن ***الربيع بنت معوذ*** رضى الله عنهما قالت :"كنا نغزو مع النبيﷺ فنسقى القوم ونخدمهم ونردوا الجرحى والقتلى إلى المدينة "[62] 0

وكانت ***السيدة صفية*** عمة الرسولﷺ ضمن المجاهدات فى غزوة الأحزاب سنة 5هـ/ 626 م، فلما وضع الرسولﷺ النساء والصبيان فى حصن بنى حارثة حتى لا يصيبهم السوء بعدما نقض اليهود عهدهم وخانوا المواثيق وانضموا لكفار قريش والعرب فكان فى الحصن حسان بن ثابت، فمر بهم يهودي يطيف بالحصن قالت السيدة صفية لحسان : إن هذا اليهودي يطيف يا حسان بالحصن كما ترى وأنى والله ما آمنة أن يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود، ورسول الله وأصحابه قد شغلوا عنا، فانزل إليه فاقتله قال حسان : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، فأخذت صفية عمودا ونزلت من الحصن وضربت به اليهودي حتى قتلته[63] ويذكر أن السيدة صفية جاءت يوم أحد وقد انهزم الناس وبيدها رمح تضرب فى وجوههم ورآها النبيﷺ فقال لولدها " الزبير " يا زبير 00000 المرأة !! أي أدركها لتحميها حرصا منهﷺ على عمته أن تصاب بسوء، توفيت السيدة صفية رضى الله عنها فى خلافة عمر بن الخطابﷺ سنة 20هـ ودفنت بالبقيع وعمرها بضع وسبعون عاما[64] 0

وكانت ***أم حكيم بنت الحارث*** وهى زوجة عكرمة بن أبى جهل أسلمت قبله يوم الفتح، وهرب عكرمة فأخذت له أمانا من الرسولﷺ وعاد وخرجت معه إلى الشام لما غزا وقتل عنها بأجنادين سنة 13هـ، فأكملت العدة وتزوجها خالد بن سعيد بن العاص على أربعمائة دينار فلما نزل المسلمون فى مرج الصفر – من أعمال دمشق – أراد خالد بن سعيد بن العاص أن يعرس بها، فأعرس بها عند القنطرة التى بمرج الصفر، فسميت قنطرة أم

حكيم، وأعد وليمة ودعا أصحابه على الطعام فلما فرغوا صفت الروم صفوفها، برز خالد بن سعيد حتى قتل ﷺوشدت أم حكيم عليها ثيابها وظهرت وعليها درع الخلوق، فاقتتلوا أشد القتال على النهر، وقتلت أم حكيم سبعة رجال بعمود الفسطاط الذى بات فيه خالد ليلة عرسه، ثم تزوجها عمر بن الخطابﷺ فولدت له فاطمة بنت عمر[65] 0

وعن أنسﷺ قال : " لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبيﷺ قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم وأنهما لمشمرتان أرى حزم سوقهما بالخلاخيل تنتقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئانه فتفرغانه فى أفواه القوم[66] 0

وعن أنسﷺ أن ***أم سليم*** اتخذت يوم حنين خنجرا، فكان معها فرآها طلحة، فقال يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجرا فقال لها رسول اللهﷺ : ما هذا الخنجر ؟ قالت : اتخذته إن دنا منى أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول اللهﷺ يضحك قالت : يا رسول الله أقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك فقال رسول اللهﷺ : "يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن"[67] 0

وفى موقعة اليرموك سنة 15هـ/ 636م كان لنساء المسلمين دور بارز فقد جعلهن خالد بن الوليد من وراء الجيش ومعهن عدد من السيوف وغيرها، قال لهن: "من رأيتموه فاقتلنه"، وكذلك حرضهن أبو سفيان قائلا من رأيتنه فارا فاضربنه بهذه الحجارة والعصى حتى يرجع، فكانت النساء تستقبل من انهزم من الناس بضربهم بالخشب والحجارة وجعلت ***خوله بنت تعلبة*** تقول :

يا هاربا عن نسوة نقيات فمن قليل ما ترى سبيات

لا حصيات ولا رضيات

فكان الرجل من هؤلاء يرجع إلى موقفه فى القتال فكان موقف النساء فى هذه المعركة من أعظم المواقف خيرا وبركة على المسلمين 0

أما ***هند بنت عتبة*** فهي سيدة قريش وبنت أكبر سادتها، لما أسلمت تحولت من الطغيان والغرور إلى السماحة والإخلاص حتى أنها حاربت فى عدد من الغزوات، وكانت

تشجع المسلمين وتحثهم على الجهاد فى سبيل الله، فقد رفعت راية الإسلام فى معركة اليرموك وحرضت فى المسلمين المرتدين والإسلاماه 00 والإسلاماه 000 والإسلاماه 0

وفى معركة اليرموك كانت تهتف عضضوا القلفان يا معشر المسلمين (أي قاتلوا في سبيل الله بسيوفكم) وكانت تقود كتيبة النساء المسلمين التى قاتلت يوم اليرموك قتالا شديدا 0

ويصف الزبير بن العوام موقف هند الشجاع في اليرموك بقوله : استقبلت خيل ميمنة المسلمين فرأتهم منهزمين فصاحت إلى أين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم ؟، ونظرت إلى أبى سفيان منهزما فضربت وجه حصانه بعمودها فقالت : إلى أين يا أبا حرب ؟ ارجع إلى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص عنك ما قد سلف منك من تحريضك على رسول الله ﷺ فعاد أبو سفيان عندما سمع كلام هند إلى ساحة المعركة وعاد المسلمون معه، وحملت النساء على الروم معهن وهن يسابقن المسلمين وهن بين أرجل الخيل، وكانت المرأة منهن تقبل إلى العلج العظيم "الرجل الضخم" وهو على فرسه فتتعلق به فلا تفارقه حتى تسقطه عن الجواد ثم تقتله وتقول هذا بيان نصر الله[68] 0

وكانت المجاهدة المسلمة لا تضن بنفسها أو بأولادها فى سبيل الله بل تحثهم وتبث فيهم روح الجهاد والاستشهاد راجية من المولى عز وجل أن يتقبلهم بقبول حسن فلا خوف ولا جزع على موتهم، ولكن استبشار باستشهادهم مثل ***الخنساء*** التى خرجت فى معركة القادسية سنة 16هـ تطيب وتواسى وتحمل الماء فأبلت بلاء حسنا وقد خرج معها بنوها الأربعة فنادتهم وقالت لهم : "يا بنى أنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذى لا إله إلا هو أنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم،وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا إن الدار الباقية خير من الدار الغائبة يقول الله عز وجل﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[69]فان أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله علي أعدائه مستنصرين" 0

حتى إذا دارت رحى الحرب قتلوا جميعا فلما وصل إليها الخبر لم تبد جزعا ولم تزد علي قولها: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وارجوا إن يجمعني بهم في مستقر رحمته[70] 0

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ شاركت المرأة في الجهاد ومثال لذلك ***أم حرام بنت ملحان*** بن خالد من بني نجران، هي خاله أنس بن مالك وهي زوجه عبادة بن الصامت ،كان الرسول ﷺ يزورها ويقيل في بيتها ،قال ﷺ وهو عندها "عرض علي ناس من أمتي يركبون البحر ملوكا " قالت فأدع الله لي أن أكون منهم فدعا لهم ثم قال لها أنت من الأولين ،ولما ولي الخلافة عثمان بن عفان ﷺ جهز جيشا مع معاوية إلى فتح جزيرة قبرص فخرجت أم حرام مع زوجها عباده بن الصامت غازيه فلما وصلوا إلى جزيرة قبرص وخرجوا إلى البر وخرجت أم حرام من البحر فقدموا إليها دابة لتركبها فركبت ولم تستقر حتى صرعتها، ووقعت إلى الأرض وماتت ودفنت في جزيرة قبرص وكان ذلك سنه 28هـ[71] 0

وقد شهد عهد علي بن أبي طالب ﷺ أمثلة كثيرة لنساء مجاهدات شاركن في الحروب البعض منهم بإلقاء الخطب الحماسية وسط الجنود والبعض حملن السلاح وحاربن بين الرجال فكانت ***بكاره الهلالية*** من النساء العرب الموصوفات بالشجاعة والإقدام والفصاحة والخطابة ،حضرت مع الإمام علي ﷺ في حرب صفين سنه 37هـ ولها هناك مقالات حماسية جعلت من سمعها يقبل علي الحرب دون مبالاة بالعواقب[72] 0

وكذلك ***دراميه الحجونيه*** كانت فصيحة اللسان بليغة البيان غير هيابة المقال لا يسألها أحد سؤلا إلا جاوبته بأحسن جواب واقنع خطاب ،كانت تلقي الخطب الحماسية في ضوء جنود علي أثناء معركة صفين فبعث لها معاوية بعد إن تولي الخلافة وسألها : علام أحببت عليا وابغضتني ووالبتني؟ قالت : "أو تعفيني قال لا أعفيك" قالت : "أما إذا أبيت فأنى أحببت عليا علي عدله في الرعية وقسمته بالسوية ،وابغضتك علي قتال من هو أولى بالأمر منك وطلبك ما ليس لك به حق،ووالبت عليا علي ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاء وحبه للمساكين وإعظامه لأهل بيته، وعاديتك علي سفك الدماء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى"[73] 0

وكانت ***عكرشه ابنه الاطروش بن رواحه*** فصيحة الألفاظ رقيقه أديبه حره المنطق ذات عقل وافر جامعه بين ميزتي الشجاعة والأدب حضرت حرب صفين والقت الخطب البليغة فمما قالت وهي واقفه بين الصفين تحرض جيش علي بن آبي طالب ﷺ: "أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إن الجنة لا يرحل من أوطانها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها وابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا مستبصرين في دينكم مستظهرين بالصبر علي طالب حقكم إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة ودعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم في الباطل فلبوه فالله الله عباد الله في دين الله إياكم والتواكل فإن ذلك ينقص عز الإسلام ويطفئ نور الحق هذه بدر الصغرى والعقبة الأخرى يا معشر المهاجرين والأنصار امضوا علي بصيرتكم واصبروا علي عزيمتكم فكأني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير"[74] 0

أما ***أم الخير ابنة الحريش ابن سراقه البارقيه*** فكانت من المتكلمات البليغات من نساء العرب وقفت بين جنود علي ﷺ في معركة صفين سنه 37هـ والقت خطبه حماسية بليغة قالت فيها: "أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزله الساعة شئ عظيم إن الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل وبين السبل و رفع العلم ولم يدعكم في عمياء مدلهمه فأين تريدون رحمكم الله افرارا عن أمير المؤمنين أم فرار من الزحف أم رغبه عن الإسلام أم ارتداد عن الحق أما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والرضي النقي التقي والصديق الأكبر أنها احسن بدريه وأحقاد جاهلية وسيدها وأنت حين الغفلة ليدرك ثارات ابن عبد شمس ثم قالت قاتلوا أئمة الكفر انهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون صبرا يا معاشر المهاجرين والأنصار قاتلوا علي بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فكان بي رغدا ولقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قصوره لا تدري أي يسلك لها من محاج الأرض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلال بالهدي وعما قليل لا يصبحن نادمين حين تحل لهم الندامة 000 " قد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمه الله[75] 0

وخلال العصر الأموي كانت هناك أمثله للنساء المجاهدات منهن غزاله الحورية وأم شبيب حيث ثارتا مع شبيب بن يزيد يحاربن معه جنبا إلى جنب عندما ثار زوجها ضد عبد الملك بن مروان سنه76 هـ وقد أرسل إليها الحجاج جيوشه عدة مرات لإخضاعه إلا انه تغلب علي معظم القواد الذين أرسلوا إليه وقتلهم حتى سار الحجاج بنفسه لمحاربته فالتقي معه واشتد القتال وتكاثروا عليه فانهزم وكانت زوجته غزاله وقد نذرت إن تدخل مسجد الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما سورتي البقرة وال عمران فجاهدت حتى تحقق لها ذلك وهرب الحجاج أمامها في إحدى المعارك وقد عيره الشعراء بذلك[76] 0

وكانت ليلى بنت طريف الشيباني يقال لها الفارعه أخت الوليد ابن طريف الشيباني الخارجي الذي خرج علي الرشيد فأرسل إليه يزيد بن مزيد الشيباني فظهر عليه وقتله سنه 179هـ / 795م وكانت أخته(الفارعه) 0

من شعراء العرب وكانت من الفروسية علي جانب كبير ولما قتل أخوها صبحت القوم وعلي جسدها الدرع وعدة الحرب وجعلت تحمل علي الناس ومن شجاعتها وفروسيتها قال القوم إن الوليد قد قتل وليست هذه إلا أخته ليلى لأنها تشابهه بالفروسية، فخرج إليها يزيد بن مزيد وضرب بالرمح غطاء فرسها وقال اغربي غرب الله عليك قد فضحت العشيرة فاستحييت وانصرفت[77] 0

وأثناء ولاية احمد بن طولون علي مصر خرج عليه رجل علوي يدعي بن الصوفي العلوي وتمكن من هزيمة فرقه أرسلها إليه ابن طولون ومثل بجثة قائدها ابن يزداد مما اضطر احمد ابن طولون إلى إرسال قائدين من قواده تمكنا من هزيمة ابن الصوفي وهرب إلى الواحات، وفي هذه الثورة شاركت المرأة بالفعل في ميدان الحرب فمنهم "نغمه" وهي من قبيلة العلويين بصعيد مصر وهي أم الثائر العلوي بن الصوفي وخرجت لمواجه جيوش بن طولون بالقرب من مدينه إسنا[78] 0

هذه أمثلة لمشاركة المرأة في الجهاد والحرب تدل علي شجاعتها ووقوفها إلى جانب الرجل مدافعه صامدة خالصه لعقيدتها مندفعة في سبيلها وقد أظهرت المرأة دروب من الشجاعة والتضحية مثلا اعلي فأول شهيدة في الإسلام هي سميه أم عمار بن ياسر ماتت شهيدة ولن تتراجع عن عقيدتها مخلصه لدينها الحنيف وأول امرأة تقف إلى جانب

الرسول ﷺ مؤمنه صادقه شجاعة هي السيدة خديجه رضي الله عنها كذلك وقفت فاطمة بنت الخطاب موقفا جليلا لنصره الإسلام مؤمنه دون إن تهاب أو تخاف أخاها عمر بن الخطاب ومن لم يهب عمر بن الخطاب في وقتها؟ ذهبت المرأة إلى ساحة المعركة جنبا إلى جنب مع الرجل تضمد جراحهم أو تسقي عطشاهم وتثير همهم، بل لقد حملت بعضهن سيوفهن وقاتلن قتال الأبطال .

محاربة الإسلام للتشاؤم من البنات ووأدهن .

كان العرب قبل الإسلام يفضلون الذكر علي الأنثى لأنه هو القادر علي حمل السلاح والدفاع عن حقوق القبيلة، لذا انتشرت ظاهره وأد البنات .

وكانوا يتشاءمون بمولد الأنثى مخافة الفضيحة والعار والفقر، وقد أشار القرآن إلى مشاعر العرب نحو المرأة بقوله تعالي﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾[79] 0

وقد دفع تشاؤم العرب بمولد البنات إلى وأد الإناث , وقد جاء القرآن الكريم مجرما هذه الجريمة , وذلك قولة تعالى:﴿**وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾[80]، وقد خاطب الله سبحانه وتعالى الوالدين مطمئناً إياهم على أرزاقهم بالا يقتلوا أولادهم خشية الفقر ويقول تعالى:﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيرا**﴾[81]، ولهذا قوله تعالى:﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُم**﴾ [82]،كما بايع الرسول ﷺ النساء على ألا يقتلن أولادهن0

تقرير حق المرأة في الميراث:-

قرر الإسلام حق المرأة في الميراث سواء كانت بنتاً أو أختا أو أما أو عمتاً أو زوجة كما زكى في آيات كثيرة في القران الكريم بعد إن كانت محرومة منه، وقد جاء تقرير حق المرأة في الميراث فريضة من الله لا يأكل منها شيئاً إلا باغٍ أثيم، يقول الله تعالى :﴿**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً**﴾[83].

تكريم الإسلام للمرأة في أطوار حياتها :-

اوصى الإسلام بتكريم المرأة وهي بنت فقد قال الرسولﷺ :"من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين في الجنة وضم أصابعه"[84]، وفي حديث آخر يقول ﷺ "من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة"[85] 0

كما قرر الإسلام عدم جواز عضل أولياء البنات لمن هن تحت ولايتهن طمعا في أموالهن ،والعضل هو منع البنات من الزواج يقول تعالي:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ**﴾[86]

كما قرر الإسلام عدم جواز إكراه البنات وإجبارهن علي الزواج بمن يريده أوليائهن حرصا علي مال وفير أو جاه رفيع،وإنما تقبل البنت علي الزواج برضاها كالرجال.

فكانت المرأة العربية هي التي تختار زوجها في كثير من الأحيان كما حدث لخديجه بنت خويلد فقد خطبت الرسول ﷺ لما كان يتصف به من أخلاق سامية والملقب بالأمين، وهي تعلم علم اليقين قله ما في يده من المال [87] .

وكان من حق النساء إن يجلسن إلى خطابهن من الرجال كما كان لهن الحق في تطليق أزواجهن[88] 0

وجاءت الخنساء بنت خزيمه الأنصارية إلى النبي ﷺ وقد أراد أبوها أن يزوجها من ابن عمها قسرا ،فقالت يا رسول الله :إن آبي زوجني من ابن أخيه ليرفع خسيسه ومالي رغبه فيما صنع لي، فقال ﷺ "اذهبي فلا نكاح له أنكحي من شئت" وتقدم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وهو خليفة المسلمين إلى السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق يخطب أختها أم كلثوم فترفض أم كلثوم هذه الخطبة وتقول لأختها :"إنما أريد فتي من قريش يصب علي الدنيا صبا . وكان عمر ضيق العيش فإن دل هذا علي شئ فإنما يدل علي ما كان للمرأة من رأي واضح في الزواج وفي اختيار زوجها المناسب بغض النظر عن منصبه"[89] 0

وفي الحديث النبوي يقول ﷺ :"لا تنكح الثيب حتى تستأمر ولا البكر إلا بإذنها قالوا يا رسول الله وما إذنها قال: "أن تسكت"[90] 0

تكريم الإسلام للمرأة وهي زوجه :

حث الإسلام علي الزواج واعتبره خير متعه للإنسان إذ جاء في الحديث الشريف قوله ﷺ :تزوجوا الإبكار فإنهن أعذب أفواها وانتق أرحاما وارضي باليسير . كما شجع ﷺ

علي كثره الإنجاب بقوله ﷺ "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم" ومن الصفات المستحبة في المرأة الجليلة، المطيعة الأمينة ذات الوفاء كما ورد في الحديث النبوي قوله ﷺ "خير النساء إن نظرت إليها سرتك وان أمرتها أطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها "ورغب الرسولﷺ الزواج من المرأة المتدينة وقال ﷺ:"تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها وحسبها ولدينها فأظفر بذات الدين تربت يداك"

وإما المرأة التي حذر الرسول ﷺ من زواجها فهي المرأة التي نشأت وترعرعت في بيت سوء، وقالﷺ:" إياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟قالﷺ المرأة الحسناء في منبت السوء" [91] وقد جعل الإسلام مهور الزواج حقا خالصا للزوجات يقول الله تعالي:﴿**فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**﴾[92] ،كما جعل الإسلام من حقوق الزوجة علي زوجها حسن المعاشرة ،يقول تعالي:﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[93] 0

وجعل الإسلام للزوجة حقوق علي زوجها مقابل الواجبات التي عليها له يقول تعالي:﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[94]، فالزوج مأمور بحفظ كرامتها وصون آدميتها ومعاملتها بالحسني والشفقة ،وحرية التصرف في أموالها وجعل أمرها بيدها تطلق نفسها متي شاءت إلى غير ذلك مما يرفع شانها . ويقولﷺ عندما سأله سائل " ماحق زوجه أحدنا علينا قال : "إن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت"[95]

أما بالنسبة للطلاق.

يقول تعالي ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾[96] علي هذه القاعدة سار المسلمون في حياتهم الزوجية فإن اختلفت حياه الزوجين وأصبحت لا تطاق وبدأ كل واحد منهما ينفر من الآخر حتى تصبح ساعات حياتهم لا تطاق لذا أحل الإسلام الطلاق إلا أنه بغضه بغضا شديدا لأنه يهدم عائله ويشرد أطفال ويحرمهم من حنان الأبوين الذي لا يمكن تعويضه مطلقا وقد أوضح الرسول ﷺ أنه أبغض الحلال عند الله بقوله "أبغض الحلال عند الله الطلاق"[97] وقد نظم الإسلام قضيه الطلاق بما يمنع تعسف الرجل واستبداده فجعل للطلاق حدا لا يتجاوزه الرجل وهو الثلاث وكان عند العرب غير محدود

بحد يقف عنده كما أتضح ذلك من قوله تعالي ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتَانِ**﴾[98] فطلاق الزوج في المرتين الأولى والثانية طلاق رجعي يمكنه إذا ندم إن يراجع زوجته .

وقد رغب الإسلام في أعاده الحياة الزوجية بين المطلق ومطلقته وقد عبر القرآن عن الرجعة بالرد بقوله تعالي:﴿ **وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحاً**﴾[99]، أي إن المطلقين إن يراجعوا مطلقاتهم خلال فتره عدتهن غير إن الإسلام قد قيد الرجعة بإرادة الإصلاح لا علي وجه الإضرار فإذا استعمل الزوج حقه في الطلاق للمرة الثالثة هنا يصبح طلاقه بينا بينونة كبري لا تحل له المطلقة من بعد حتى تتزوج غيره، يقول الله تعالي:﴿**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ**﴾[100] 0

تعدد الزوجات:

تحدثنا عن أمور كثيرة عن الزواج وكذلك الطلاق، ونتحدث هنا عن نظام تعدد الزوجات في المجتمع العربي الإسلامي لأن كل منهما مرتبط ارتباط وثيقا بالآخر، ولقد كان تعدد الزوجات معروفا عند العرب قبل الإسلام، ولم يكن هناك حد يقف عنده الرجل، فقد بجرح عشر نساء وان اكتفى أكثرهم بواحدة، ولما جاء الإسلام قصر على الرجل الزواج بأربع، بشرط القدرة على النفقة على الجميع، وفرض الإسلام فيه العدل الشامل، واجتناب انسياق النفس في ميلها وهواها، واتقاء ما من شأنه أن يسير الحقد والضغينة بين الزوجات 0 إذ قال تعالى في كتابه العزيز:﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**﴾[101] ،ثم يقول سبحانه وتعالى:﴿**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ**﴾[102].

كان المجتمع العربي قبل الإسلام في ظروف اجتماعية ساعدت على نظام تعدد الزوجات فكان للبيئة أثرا فعالا في هذا النظام، حيث كان نظام البنوة سائدا والبنون فيه زينة الحياة، وفخر المرأة الإنجاب، وفخر الرجال الولد وعزة النفس وكان النظام القبلي في أمس الحاجة إلى عدد كبير من الأفراد، إذ قوة القبيلة واحترامها بعدد نفوسها، ولما جاء الإسلام ورث هذا النظام، فكان استشهاد على كبير من الرجال قد أدى إلى وفرة عدد النساء، كما أن المسلمين اخذوا يزوجون من نساء الأعاجم ولكن الخليفة عمر اضطر إلى

وضع ذلك، هذا بجانب حاجة الأمة إلى عدد كبير من الأفراد حفاظا على كيان الأمة، بجانب أن الاقتصار على زوجة واحدة في أوائل الإسلام سيؤدى إلى حرمان عدد كبير من النساء من الأزواج، وهذه ظاهرة غير محمودة إذ أن المرأة بحاجة إلى رجل يرعاها ويعيلها، وزواج المرأة من رجل ذا زوجات حير من أن يسلك سبيلا آخر[103] 0

الرق:

الرق في اللغة الضعيف ومنه رقة القلب، وعند فقهاء الإسلام ضعف معنوي وعجز حكمي، وأيضا يعنى العبودية والرقيق العبد، ورق فلان أي صار عبدا وقيل سمى العبيد رقيقا لأنهم يرقون لمالكهم ويخصون وجمع الرقيق أرقاء[104] 0

أما الرق في الاصطلاح : فهو عجز حكمي شرع في الأصل جزاء عن الكفر، أما أنه عجز فلأنه لا يملك ما يملكه الحر من الشهادة والقضاء وغيرهما، وأما أنه حكمي لان العبد قد يكون أقوى في الأعمال من الحر[105] 0

والرقيق كلمة عامة تطلق على من فقد حريته من الناس وأصبح ملكا لغيره مع ملاحظة أن المسترق الأبيض كان يدعى مملوكا، أما الأسود فكان يدعى عبدا[106] 0

وسببه أن الناس قد حزوا على التنازع والشقاق والتنافس، وذلك بطبيعته مفضى إلى القتال واستئصال الغالب شأفة المغلوب واحتوائه على ما في حوزته من ناطق وصامت وماله من نساء وأموال[107] 0

والرق معروف منذ أقدم عصور التاريخ، حيث عرفته الأمم المختلفة قبل الإسلام وبعده، حيث يعتبر نظام الرق من أهم النظم في المجتمعات القديمة قاطبة، فقد كانت شعوب العالم هي شعوب الحضارات القديمة من المصريين والبابليين والفرس والهنود واليونان والرومان والعرب وغيرها تتخذ الرقيق وتستخدمه في أشق الأعمال وتعامله بالشدة والقسوة[108] 0

والعرب في الجاهلية مثلهم مثل سائر الأمم الأخرى عرفوا الرقيق عن طريق الأسر في الحرب أو عن طريق الشراء وكانت قريش تتجر بالرقيق مثل اتجارها بسائر السلع وكان من أشهر تجار الرقيق بها عبد الله بن جدعان [109] وكان العربي إذا اشترى عبدا وضع في عنقه حبلا وقاده إلى منزله مثل الدواب[110] وقام العبيد بجميع المهن

واستخدمتهم بعض القبائل في القتال، ومثال لذلك بنى المغيرة كان لهم فرقة عسكرية في الجيش قبل الإسلام، وقد حاول المسلمون إشراكهم في غزوة حنين ولكن الرسول ﷺ قال : "لا خير في الجيش إن جاعوا سرقوا وإن شبعوا زنوا"[111]

وحرم الأرقاء في الجاهلية من كافة الحقوق المدنية ومن التصرف في شئونهم الخاصة، غير أن العرب في الجاهلية كانوا يعتقون عبيدهم لأسباب كثيرة منها إذا قام العبد بعمل عظيم، أو بشجاعة في القتال أو لإخلاصه الشديد لمولاه، أحيانا يطلق السيد عبده بدون دية وهو ما يسمى بالسائبة[112] 0

ثم جاء الإسلام فاحتفظ بنظام الرقيق القديم ولم يزله، غير أن الإسلام هذب هذا النظام وقبله كشر محتوم [113]، وسار في إلغاء الرق شوطا بعيدا، فقد وضع من الأسس ما لو سارت سيرها الطبيعي لقضت على الرق منذ زمن بعيد، والدين الإسلامي لا يبيح أن يسترق مسلم ثم أنه لا يبيح إلا استرقاق أسرى الحرب شرعية لم تقم إلا على إعلاء كلمة الله تعالى على أن تكون مسبوقة باعتداء غير المسلمين عليهم، فأسرى الحروب التي أقامها كثير من ملوك الإسلام بفرض السلب والنهب والعدوان لا يجوز استرقاقهم بحال سواء كانوا مسلمين أم غيرهم[114] 0

ولم يأمر الإسلام بإلغاء الاسترقاق مرة واحدة ولكنها عملت على إنضاب منبعه وتقليل أثرة من الوجود وحصره في حدود ضيقة وهى أن مصدر الرق في الإسلام هم أسرى الحرب المعلنة على الكفار 0

وحرص الإسلام على معاملتهم بالحسنى وحذر من إساءة معاملتهم وروى عن الرسولﷺ : "اتقوا الله في الصلاة وفيما ملكت أيمانكم " وقالﷺ "واتقوا الله في الضعيفين المملوك والمرأة " 0

وقالﷺ "لا يقولن أحدكم لمملوكة عبدي وأمتي، ولكن يقول فتاي وفتاتي، ولا يقول المملوك ربى وربتي، ولكن يقول سيدي وسيدتي" [115] 0

وحبب الإسلام للمسلمين عتق رقيقهم وجعله كفارة عن كثير من الذنوب والآثام فضلا عما فيه من تقرب لله تعالى 0 قال تعالى :﴿**فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۞ فَكُّ رَقَبَةٍ**﴾[116] 0

وجاء في الحديث الشريف : "من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا من أعضائه من النار حتى فرحة بفرحة" ، كما جعل النبي ﷺ الخادم أخا لسيدة أو ابنا، وجعل الخادمة أو الجارية أختا لسيدها أو ابنه، وأوصى وصيته المشهورة :- "إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم في الأعمال ما لا يطيقون، فان كلفتموهم فأعينوهم "[117] 0

وقد عرف المسلمون المساواة بين أشرافهم ومواليهم بمجرد قدوم النبيﷺ المدينة، فقد كان حمزة عم النبي هو وزيد مولى الرسولﷺ أخوين وكان خالد بن رويحه الختمى وبلال بن رباح أخوين، وكان أبو بكر الصديق وخارجه ابن زيد أخوين[118] 0

وتمتع الرقيق بكثير من المميزات فكان للرقيق الذين يشتركون في القتال نصيب في العطاء، وقد ساوى عمر بن الخطاب بين الحر والعبد في الرزق فجعل لكل منهما مديى حنطه وقسطي زيت وقسطي خل في كل شهر[119] وكان الوليد بن عقبة ولى عثمان بن عفان بالعراق يقسم للولاية والعبيد مما أدى إلى غضب الأمراء[120] 0

وكان من حق الرقيق امتلاك الأموال، بل لهم أن يمتلكوا عبيدا وكان أموال العبيد ترجع إلى سيدهم عند بيعهم أو موتهم، ولهم أن يعتنقوا ما شاءوا من أديان والقيام بشعائرهم، ونبغ عدد من الرقيق فأصبحوا من العلماء والرواة، وحاز بعضهم ثقة أسيادهم فبرزوا في ميادين التجارة والصناعة والزراعة[121] 0

ومن هذا يتضح أن الإسلام منح الإنسان قدره، ورفع مستواه وكرمه مصداقا لقوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ وعنى بالحرية عناية لم يصل إليها أمة من الأمم، ولا دين من الأديان السماوية، وسلك في ذلك السبيل أحكم الوسائل وأبلغها أثرا وأصدقها نتيجة، فضيق روافد الرق التي تمده، وتكفل له البقاء، وأكثر منافذ الخلاص منه ووسائل القضاء عليه[122] 0

مصادر ومراجع الفصل الخامس

1. **سورة المؤمنون : آيه12**
2. **تفسير ابن كثير**، جـ3، ص387
3. **الحجرات : آيه 13**
4. **رواه البيهقي** في الترغيب والترهيب، جـ3، ص612، 613
5. **رواه البخاري** :كتاب الحدود –باب كراهية الشفاعة في الحد
6. **النساء** : آيه40
7. **الزلزلة** : آيه7 ،8
8. **سورة ص** : الآية 26
9. **سورة النساء** : آيه135
10. **رواه أبو داود** : كتاب الأقضية باب القاضي
11. **سورة التحريم : آيه6**
12. **رواه البخاري** : كتاب الأدب – باب رحمة الناس
13. **البقرة : الآية 286**
14. **حسن محمد جودة** : نظم الحضارة الإسلامية، ص183
15. **النساء : آيه1**
16.
17. **النحل : آيه 97**
18. **آل عمران : من الأيه195**
19. **الأحزاب : آيه 35**
20. **القلم 1، العلق آيات 3–5، فاطر الآية 28**
21. **العلق :آيه1**
22. **المجادلة : آيه11**
23. **الزمر: آيه 9**
24. **الإسراء: آيه 85**

25. **فاطر: آيه28**
26. **رواه ابن ماجه** –باب فضل العلماء، جـ1، ص81
27. **البلاذري** : فتوح البلدان، ص458
28. **صحيح البخاري**، جـ1، ص38
29. **إبراهيم القلا** : الدور الثقافي للمرأة خلال العصرين الأموي والعباسي، "ندوة المرأة عبر العصور"، جامعة القاهرة 2000
30. **عبد الله الحبشي**: دراسات في التراث اليمني، ص78
31. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص233
32. **ابن سيد الناس** : عيون الأثر، ص301، **الطبري** : الرسل، جـ1، ص67
33. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص235
34. **الكندي** : ولاة مصر، ص72، **ياسين العمري** : الروضة الفيحاء، ص66–68، **زينب فواز** : الدر المنثور، ص244–249
35. **الزركلي** : الأعلام، جـ1، ص16، **رضوان الجناني** : القبائل العربية، ص161
36. **ابن خلكان** : وفيات، جـ5، ص56، **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص44، الشعراني : الطبقات الكبرى جـ1، ص156 ، **هويدا رمضان** : المجتمع المصري، ص53، **ياسين العمري** : الروضة الفيحاء، ص260
37. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص367
38. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص17
39. **ابن خلكان** : وفيات الأعيان، جـ2، ص315
40. **ياسين العمري** : الروضة الفيحاء، ص265، **المسعودي** : مروج الذهب، جـ3، ص386
41. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص215، **وفاء محمد علي** : نفوذ النساء، ص34
42. **ابن خلكان** : وفيات الأعيان، جـ2،ص317، **الذهبي** : سير أعلام، جـ9، ص24
43. **ابن العماد** : شذرات الذهب، جـ3، ص88، **البغدادي** : تاريخ بغداد، جـ4، ص442

44. **اليافعي المكي** : مرآة الجنان ، جـ3، ص260، **ابن العماد** : شذرات، جـ4، ص100
45. عفيفى **إبراهيم** : الحضارة الإسلامية، ص279
46. عفيفى **إبراهيم** : الحضارة الإسلامية، ص280
47. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص352
48. **الزركلي** : الأعلام، جـ1، ص288، **كحالة** : أعلام النساء، جـ3، ص1520
49. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص58،57
50. **الخربوطلي** : العرب والحضارة، ص120
51. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص189
52. **السيوطي** : تاريخ الحنفا، ص190، **ياسين العمري** : الروضة الفيحاء، ص25، **زينب فواز** : الدر المنثور، ص321
53. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص475
54. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص 465
55. **السيوطي:** تاريخ الخلفاء، ص268، **زينب فواز** : الدر المنثور، ص350
56. **عبد الله الحبشي** : دراسات في التراث اليمني، ص75
57. **عفيفي إبراهيم** : الحضارة الإسلامية، ص275
58. **أمان الدين ابن الخطيب** : الإحاطة في أخبار غرناطة، جـ1، ص316
59. **ياقوت الحموي** : معجم الأدباء، جـ4، ص119، 122، **عفيفي إبراهيم** : الحضارة ص275، **أحمد شلبي** : موسوعة الحضارة، جـ5، ص247، 248
60. وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ سأله نساؤه عن الجهاد فقال نعم الجهاد الحج، **رواه البخاري ص2875، 2876**
61. **ابن سعد** : الطبقات الكبرى، جـ8، ص414، **صبحي سليمان** : نساء حول الرسولﷺ ،ص258-261
62. **رواه البخاري، ص2882**
63. **مجدي شحاته محمد فايد**، الجهاد ،بحوث ودراسات إسلاميه ،ص64

64. **صبحي سليمان:** نساء حول الرسولﷺ ، ص254
65. **ابن الأثير:** أسد الغابة، جـ5، ص577، **كحالة** : أعلام النساء، جـ1، ص237
66. **رواه البخاري ،ص2880 ،ومسلم ص 1811**
67. **رواه مسلم، ص1809**
68. **زينب فواز** : الدر المنثور ،ص537، **صبحي سليمان** : نساء حول الرسول ،ص311
69. **الأنفال** : آيه ، **زينب فواز** : الدر المنثور، ص 11
70. **مجدي شحاته** : الجهاد، بحوث ودراسات إسلامه، ص63
71. **كحاله** : أعلام النساء، جـ3، ص155، **ياسين العمري** : الروضة الفيحاء، ص229
72. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص99
73. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص189، **ياسين العمري** : الروضة الفيحاء، ص48
74. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص248، 249
75. **زينب فواز** : الدر المنثور، ص58،57
76. **اليافعي المكي** : مرآة الجنان، ص188،187، **ياسين العمري** : الروضة الفيحاء، ص51، **الخربوطلي** : العرب والحضارة، ص122، 123
77. **اليافعي المكي** : مرآة الجنان، ص384، **زينب فواز** : الدر المنثور، ص475
78. **سيدة كاشف، حسن محمود** : الطولونيين والإخشيديين، ص24، **ممدوح عبد الرحمن** : القبائل العربية في صعيد مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص223
79. **سورة النحل الآيتان 59،58**
80. **سورة التكوير الآيتان9،8**
81. **سورة الإسراء : آيه31**
82. **سورة الأنعام : آيه151**
83. **سورة النساء : آيه 6**
84. **رواه الترمذي، ص1914**

85. **رواه أبو داود في كتاب الأدب**
86. **سورة النساء** : آيه18
87. **ياسين العمري** : الروضة الفيحاء، ص63
88. **الأصفهاني** : كتاب الأغني، جـ6، ص102
89. **ياسين العمري** : الروضة الفيحاء، ص64
90. **رواه أبو داود، كتاب النكاح – باب الأستئمار**
91. **ياسين العمري** : الروضة الفيحاء، ص63،62
92. **النساء : آيه20**
93. **النساء : آيه19**
94. **البقرة : آيه228**
95. **رواه أبو داود : كتاب النكاح – باب حق الزوجة على زوجها**
96. **سورة البقرة : آيه229**
97. **رواه أبو داود : باب الطلاق، ص2178**
98. **البقرة : آيه 229**
99. **البقرة : آيه228**
100. **البقرة : آيه 230**
101. **النساء : آيه3**
102. **النساء : آية 129**
103. **ياسين العمري** : الروضة الفيحاء، ص68
104. **الزبيدي** : تاج العروس، دار احياء التراث العربي 1989، جـ5، ص3
105. **أبو زيد شلبي** : في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص277، **الخربوطلي** : العرب والحضارة، ص111
106. **حسن محمد جودة** : نظم الحضارة، ص194
107. **أبو زيد شلبي** : الحضارة الإسلامية، ص277
108. **عبد العزيز عبد الدايم** : الرق في مصر، ص7–10

109. **المسعودي** :مروج الذهب، جـ1، ص282
110. **ابن قتيبه** : المعارف، ص112
111. **الأصفهاني** : كتاب الأغاني، جـ1، ص30، جـ4، ص124
112. **حسن إبراهيم حسن** : النظم الإسلامية، ص360
113. **ريسلر**: الحضارة العربية، ص57
114. **عبد العزيز عبد الدايم** : الرق في مصر، ص12
115. **رواه البخاري : كتاب العتق –باب كراهية التطاول على الرقيق**
116. **سورة البلد**
117. **رواه البخاري : كتاب العتق**
118. **حسن محمد جوده** : نظم الحضارة، ص198
119. **البلاذري**: فتوح البلدان، ص365
120. **الطبري** : تاريخه، جـ5، ص62
121. **الخربوطلي** : العرب والحضارة، ص119
122. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص283

الفصل السادس: المدن الإسلامية

- المدينة المنورة
- الكوفة
- البصرة
- دمشق
- الفسطاط
- القيروان
- واسط
- قرطبة
- العسكر
- بغداد
- القطائع
- القاهرة

الفصل السادس

المدن الإسلامية

المدينة ومدلولها :

المدينة[1] هى مركز استقرار واقامه، وهذا المعنى مشترك بينها وبين القرية، وهناك صفات تميز المدينة عن القرية أبرزها : نمط الحياة والمظهر العام، والكثافة السكانية[2] ومن أهم المدن الإسلامية الآتى :-

المدينة المنورة :

تبدأ نشأة المدينة الإسلامية من يثرب بعد هجرة الرسول إليها والتى حولتها إلى "مدينة" ومدينة الرسول ﷺ هى العاصمة الإسلامية الأولى التى اتخذها منذ وصوله إليها مهاجرا من مكة بدأت تتغير معالمها العمرانية تغيرا جمع شتاتها ووحد كيانها، وجعلها مركزا حضاريا متكاملا، يتناسب مع كونها عاصمة الدولة الإسلامية ومركزا سياسيا وإداريا فاكتسبت بذلك صفة المدينة[3] 0

والمدينة المنورة عبارة عن سهل فسيح تحيط به الحراث من جهاته الأربع ويتميز بخصوبة التربة وكثرة المياه وكانت المدينة قبل الهجرة مقسمة إلى محلات سكنية منفصلة تسكنها البطون والقبائل اليهودية والعربية، وكل محله تضم بالإضافة إلى منازلها ومزارعها أطاما حصونا يحتمى بها السكان عند تعرضهم للخطر، بلغ عددها تسعة وخمسين أطما، وكان لكل قبيلة أطامها التى تحتمى بها[4]

والمدينة كما سماها الرسول ﷺ طيبة فى مستوى من الأرض عذبة برية، جبلية وذلك لأن لها جبلين : أحدهما أحد، والآخر[5] غير، ولها أربعة أودية، يأتى ماؤها فى وقت الأمطار والسيول من جبال بموضع يقال له حرة بنى سليم على بعد عشرة فراسخ من المدينة، وهذه الأودية هى : وادى بطحان والعقيق الكبير، والعقيق الصغير، ووادى قنا، تتجمع مياه هذه الأودية كلها بموضع يقال له الغابة، ويخرج إلى واد يقال له وادى أضم، ثم يخرج العقيق الكبير والعقيق الصغير فى آبار منها :

بئر عروة:وتقع في طرف وادي العقيق وتنسب إلى عروة ابن الزبير تشتهر بعذوبة مائها ويذهب إليها الزوار ليشربوا منها تبركا بها[6] 0

بئر أنا: وهي بئر ليهود بني قريظة، وتقع في منطقة العوالي بالمدينة، ويستفيد منها السكان في سقيا مزارعهم[7] 0

بئر أنس : وهي ملك لأنس ابن مالك زقد زارها الرسول ﷺ وشرب منها وتشتهر بعذوبة مائها [8] 0

بئر أهاب : يقع في الحرة أرتادها الرسول ﷺ وشرب منها ويسميها سكان المدينة بئر زمزم تبركا بها [9] 0

بئر حلوة : وتقع بجوار دار آمنة بنت سعد في زقاق حلوة وقد أوقفت في القرن الرابع الهجري لسقيا الحجاج [10] 0

بئر القريصة : تقع في شرق المدينة آتاها الرسول ﷺ وشرب منها ويقال أن خاتمه وقع فيها وهي معروفة حتى اليوم بئر خاتم يقصدها الحجاج للزيارة وتبركا بها [11]

بئر حار : هذه البئر ملك لإبي طلحة الخزرجي تقع خارج سور المدينة وجعلها وقفا لسقيا الحجاج الوافدين إلى المدينة [12]

بئر فاطمة بنت الحسين: تقع في الحرة جنوب غربي المدينة المنورة ،وقامت بخفرها السيدة فاطمة بنت الحسين وأوقفته لسقيا المسلمين [13] 0

وبئر رمة وهى حفير بنى مازن، ، فيشرب أهل المدينة سائر السنة من هذه الآبار 0 (14)

وبالمدينة عيون نابعة معينة، فمنها :

عين الخيف :تقع شمال شرق المدينة من بعد الخيف الشامي المسمى عند أهل المدينة بالسيح، ولقد أنشئ لها قنوات ومجاري لسقيا المزارع التي تحيط بها وأصلحت هذة القناة التي خربت في عهد الخليفة هارون الرشيد [15]

عين الشهداء : تقع بالقرب من جبل أحد شمال المدينة، أنشأت لسقيا المزارع التي تقع شمال المدينة وأصطلح على تسميتها بعين حمزة نسبة إلى شهداء أحد أو إلى حمزة أبن

عبد المطلب ﷺ ويذكر أن الذي أمر ببنائها الخليفة معاوية أبن أبي سفيان، ويذكر أيضا أنها كانت قديمة [16]

عين الزرقاء : تقع جنوب غرب المدينة وتستمد مائها من عين الجعفرية، وتتصل بمياه آبار عديدة، أنشأ هذه العين الخليفة معاوية سنة 50هـ بعد أن رأى راحة الشام في حصولهم على المياه من الأنهار الجارية في بلاد الشام، وكان هدف الخليفة من إيصال ماء العين إلى المدينة هو استمالة سكانها إليه [17]، سميت بعين الزرقاء نسبة إلى والي المدينة مروان ابن الحكم لزرقة عينه [18]، وهناك قول آخر في سبب هذه التسمية لأنها تتصل ببئر يسمى الأزرق وهي تقع قرب عين جعرانه [19] 0

وعين الصورين، وعين تنية مروان، وعين الخانقين، وعين أبى زياد، وعين برد وعين أزواج النبىﷺ[20] ونخيلهم وزروعهم تستقى من الآبار، التى تجريها الإبل والتى تعمل فى الزرانيق، وأكثر أموال أهلها النخيل ومنه معاشهم وأقواتهم، وخراجها من أعشار النخل والصدقات[21] 0

وقد ورد ذكر يثرب فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :﴿ **وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا**﴾[22] وهى تقع إلى الشمال من مكة[23] ويحدها من الشمال جبل أحد[24] 0

وكان التكوين البشرى فى يثرب مختلف عما أصبح عليه بعدما هاجر إليها الرسول ﷺ فقد سكنها اليهود، حيث هاجروا إليها خلال القرنين الأول والثانى الميلاديين، على أثر الحروب التى شنها الرومان ضد اليهود، والتى انتهت بطردهم وزوال دولتهم فى فلسطين[25] فهاجر بنو النضير، وبنو قريظة إلى شمال الجزيرة وسكنوا يثرب، وأقاموا بها الحصون والأطام[26]، فكان هذا بداية استيطان اليهود بيثرب، ظل بنو النضير وبنو قريظة مقيمين بيثرب حتى نزح إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج الوثنية، بسبب إنهيار سد مأرب[27] 0

كانت علاقة اليهود بالأوس والخزرج حسنة أول الأمر، إذ سمح لهم اليهود فى البداية بمجاورتهم، ثم بالإقامة معهم فى يثرب ولما كانت الغلبة فى يثرب لليهود والثروة التجارية فى أيديهم، سألهم الأوس والخزرج أن يعقدوا بينهم جوارا وتحالفوا معهم على

المسالمة وحسن الجوار، فلم يزالوا على ذلك طويلا، وصار للأوس مال وعدد، فلما رأت بنى قريظة وبنو النضير حالهم خافوا أن يغلبوهم على دورهم فترصدوا لهم حتى قطعوا الحلف الذى بينهم[28] 0

ولما استبدت القبائل اليهودية فى يثرب بالأوس والخزرج، استنجدوا بالغساسنة فقدموا لنجدتهم، ونصروهم حتى أصبح اليهود فى حكم الموالى لهم[29] 0

كان الأوس والخزرج فى بداية عهدهم على وفاق، ثم وقعت بينهما حروب طويلة وكان الظفر للخزرج على الأوس 0 ويقول ابن هشام " أنه كانت بينهم حروب كثيرة منها حرب داحس والغبراء وغيرها[30] 0

وكان وصول الرسول ﷺ والمسلمين معه إلى يثرب نهاية للمعاناة والحروب وبداية لمرحلة جديدة طالما انتظرتها المدينة، بل أن أهلها كانوا يتطلعون إلى دعوة النبىﷺ بل بايعوه على الحماية والنصر، ويبدوا أن أهل يثرب من الأوس والخزرج كانوا قد سئموا الحروب والحياة غير المستقرة فلم تعرف يثرب قبل الإسلام أى نوع من الإستقرار السياسى، أو التنظيم الإدارى فكان استقرار الرسولﷺ فيها بداية للاستقرار فى شتى مناحى الحياة[31] 0

كانت الهجرة إلى المدينة تعنى انطلاقة المسلمين لتأسيس دولة الإسلام فى المدينة، حيث نزل الرسول ﷺ قبل أن يصير إلى موضع المدينة، بقباء على كلثوم ابن الهدم، ثم مات كلثوم فنزل على سعد ابن خيثمة الأنصارى، ودار سعد هذا إلى جانب مسجد قباء وهو أول مسجد أسس على التقوى وكان أول عمل قام به الرسول ﷺ عند وصوله إلى قباء في هجرته إلى المدينة المنورة وصلى فيه الرسول ﷺ إلى بيت المقدس وأقام في قباء في بني عمرو ابن عوف ثم انتقل إلى المدينة وأسس مسجده[32] 0

وجدد بناء مسجد قباء في خلافة عمر ابن الخطاب ﷺ وللمسجد أهميته الإسلامية وذكرى طيبة تهفو إليها نفس كل مؤمن ولعموم زائري المدينة، ولأن الرسول ﷺ قال : من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى ركعتين كان له أجر عمرة [33] 0

وفي عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك تم تجديد المسجد وزيد في توسعته فأرسلت الأسطوانات من دمشق، كما تجدد بناؤه في عهد أبي جعفر المنصور [34]، وفي سنة

555هـ أمر نور الدين محمود زنكي بتجديد بنائه بعد أن أحضرت له أساطين رخامية من بلاد الشام[35] 0

ومن المساجد في المدينة :

مسجد القبلتين:يقع هذا المسجد في الشمال الغربي للمدينة المنورة على حافة وادي العقيق ويقال أن الذي جدد بناؤه أخيرا هو الملك المنصور صاحب اليمن سنة 647هـ[36] 0

مسجد الفتح : ويسمى بمسجد الأحزاب ويقع في مكان الخندق وقد دعى النبي ﷺ فيه فاستجاب الله دعاؤه، قام بعمارته عمر بن عبد العزيز حين كان واليا على المدينة من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك حيث شيد أروقته [37]، وفي سنة 575هـ جدد بناؤه الأمير أبو الهيجاء حيث شيد قبابه وأعمدته الرخامية وعقودا محكمة بين أعمدته، وهناك مسجد الإجابة شمال البقيع ومسجد المائدة وكان يسمى بمسجد الجمعة[38]0

المسجد النبوي :

أسس رسول الله ﷺ مسجده في المدينة المنورة حيث مبرك الناقة، قال ابن هشام :" حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار، بركت على باب مسجدهﷺ ،وهو يومئذ مربض لغلامين يتيمين من بني النجار 000سهل وسهيل أبني عمرو"[39]، وقال في موضع آخر : " فأمر به رسول اللهﷺ أن يبنى مسجدا ونزل ﷺ على أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه "[40]، وبجواره من جهة الشرق بنى منزله وكانت أبوابه مطلة على المسجد، وأراد أن يتوسط الأنصار كلها فأحدقت به الأبصار، وكان هذا المكان مصلى أتخذه أسعد ابن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ يصلى بالناي الصلوات الخمس ويجمع بهم"[41]، وبدأ الرسول ﷺ عمارة المسجد النبوي شهر ربيع الأول من السنة الأول للهجرة وباشر العمل فيه بنفسه ليرغب المسلمين للعمل فيه ،وبنيت قبلته أولا فى اتجاه الشمال نحو بيت المقدس، وفى سنة 2هـ عدلت القبلة نحو مكة تلبية للأمر السماوى، ومع تزايد أعداد المسلمين باتت الحاجة إلى توسعة المسجد من فترة للأخرى، وكانت أول توسعة بعد غزوة خيبر سنة 7هـ [42] 0

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة والمثالية في العمل والمشاركة بنفسه في تشييد هذا المسجد وعمارته وقد شاركه الصحابة والمسلمون عمله [43] 0

وقد جعل مواد بناءه أن يبنى من اللبن واستخدم في سقفه الجريد وعمده خشب النخيل [44]، وجاء تخطيط المسجد بسيطا حيث كان عبارة عن مساحة مستطيلة مكشوفة تحددها أربعة جدران تتمثل في جدار القبلة الذي يمتد من الشرق إلى الغرب في اتجاه بيت المقدس، يقابله ويوازية جدار آخر يماثله، أما الجداران الشرقي والغربي فيمتدان من الجنوب إلى الشمال بهيئة متعامدة على طرفي جدار القبلة، وبعد أن انتقل الرسولﷺ إلى الرفيق الأعلى خلفه أبو بكر الصديق ﷺ فلم يزد على ما كان عليه أيام النبيﷺ0

وحين آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب ﷺ قام بتوسعته وذلك سنة 17هـ من جهة القبلة فقد سمع النبي ﷺ يقول : "لو زدنا في مسجدنا هذا و أشار بيده نحو القبلة"، وقد أقام أساسه من الحجارة في جوف الأرض بعمق ثلاثة أذرع أي حوالي 1.5 متر [45]، وقد أقام بنيانه من اللبن فوق الحجارة وسقفه بالجريد وعمده بخشب النخل، ولم يغير في الأبواب شيئا عما كانت عليه من قبل [46] 0

بنى بالمسجد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وكان ابتداء عمارته سنة 29هـ، ونهاية سنة 30هـ ،حيث زاد عثمان ﷺ في المسجد زيادة هائلة وجعل مادة البناء الحجارة لشكوى الناس من ضيق المسجد، فزاد فيه من جهة القبلة رواقا ومن جهة المغرب الأسطوانة الثانية ومن جهة الشام عشرة أذرع وقيل خمسين ذراعا، ومن جهة الجنوب مائة ذراعا ولم يزد في أبوابه بل زاد في نوافذه، وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة وخشب النخل والجريد وبيضه بالقصة، وبنى المقصورة باللبن، وجعل فيها كوة ينظر الناس منها إلى الأمام وكان يصلي فيها خوفا من الذي أصاب عمر وكانت صغيرة، وجعل أعمدة المسجد حجارة منقوشة فيها أعمدة الحديد وفيها الرصاص، وسقفه بالساج فجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع [47]، وفي عهد الخليفة الوليد ابن عبد الملك أمر واليه على المدينة عمر ابن عبد العزيز بأن يزيد في المسجد النبوي من جهة الشرق والمغرب وشراء الدور المجاورة بعد دفع الثمن لذويها وأدخلت على أثر هذا حجرات أزواج النبي ﷺ وثلاث لعبد الرحمن ابن عوف ،ودار عبد الله ابن مسعود ومن جهة الغرب دار طلحة بن

عبيد الله، ودار عمار بن ياسر، ودار العباس بن عبد المطلب[48]، وزاد من جهة المغرب أسطوانتين، ومن جهة الشرق الأسطوانة الخامسة من المنبر إلى جدار المشرق، وزاد من جهة الشام عشرة أساطين وبناه من الحجارة المطابقة، وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ونقش حيطانه بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه من الساج وحلاه بماء الذهب0

ويذكر أنه جعل حيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها ورؤوس الأساطين مذهبة عليها أكف منقوشة مذهبة وكذلك أعتاب الأبواب مذهبة أيضا، وأقام الوليد أربع منائر في زوايا المسجد وتولى ذلك كله عمر بن عبد العزيز أثناء ولايته على المدينة[49] 0

وفي عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور تصدع جدر المسجد سنة 140هـ فأمر بتجديدها 0

وفي عهد الخليفة المهدي سنة 161هـ ضيق المسجد بحجاج الموسم فأمر واليه على المدينة جعفر بن سليمان بن على العباس بزيادة المسجد من جهة الشام مائة ذراع والشرق والغرب والقبلة خمسين ذراع، ورفع جداره ذراعين عما كان عليه من قبل، وانتهى من زيادته سنه 165هـ [50]0

واستمر الاهتمام بعمارة المسجد النبوي من قبل الخلفاء العباسيين الذين أخذوا ينفذون الأموال إلى الأمراء على المدينة لتجديد وترميم ما يتصدع من المسجد0

ولما حج نور الدين محمود بن زنكي سنة 555هـ أمر بعمل خندق حول الحجرة الشريفة وقد صب فيه الرصاص، وفي خلافة الناصر لدين الله العباسي عمر المسجد النبوي الشريف بواسطة إرسال النقاشين والصناع من بغداد سنة 576هـ لعمارة المسجد وأرسلت القناديل التي صنعت وهيئت لأضاءته0

ومن حول المسجد الجامع اختطت منازل المهاجرين فى الأرض التى وهبها الأنصار للرسول ﷺ ،وأقطع الرسول ﷺ بدوره الصحابة الأراضى لبناء دورهم 0 واتجه إلى الجمع بين ذوى القربى فى موضع واحد[51] 0

واتخذ الرسول ﷺ من مسجده مكانا للقاء المسلمين، وجامعة يتعلمون فيها أمور دينهم وأحوال دنياهم، وفيه كان الرسولﷺ يتلقى الوحى فيعلم المسلمين ما ألقى إليه من ربه، وفيه كانت تعقد المعاهدات، وتمضى العهود، ويعلن عن الجهاد، وتقلد الرايات، وينظر فى المظالم، وتستقبل الوفود[52] 0

عاشت مدينة الرسول ﷺ عصرا من الاستقرار السياسى لم تعرفه من قبل، كما عاشت فترة من الرخاء الاقتصادى فقد أصبحت رؤوس الأموال ومصادر الدخل فى أيدى أهلها، خاصة بعد جلاء اليهود عنها، وتهيأت للدفاع عن دين الإسلام بل أخذت على عاتقها حماية هذا الدين ونشره خارج شبة الجزيرة العربية

بجانب المسجد النبوى، كانت هناك مساجد اشتملت عليها خطط المدينة، تلبى حاجات المصلين فى هذه الخطط للصلوات الخمس فقط، أما الصلوات الجامعة فكانت فى مسجد الرسول ﷺ باعتباره المسجد الجامع، وكان لكل قبيلة فى خطتها مقبرة خاصة لها حسب التقليد القبلى، وبالرغم من أن البقيع أصبحت سنة 10هـ / 631م أرض دفن جامعة، فإن كل قبيلة عرفت لها جزءا من أرضها استخدمته للدفن[53] 0

واستكمالا لمرافق المدينة العمرانية اهتم الرسول ﷺ بانشاء السوق اتخذه فى موقع بقيع الزبير، واعترض عليه كعب بن الأشراف أحد زعماء اليهود المناوئين للإسلام فنقلها الرسول ﷺ إلى موقع سوق المدينة، وقال : " هذا سوقهم فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج"[54] 0

وكان سوق المدينة فضاء واسعا لا بناء فيه، والمكان لمن سبق، وضربت فيه الخيام، ولم يبدأ بالسوق إلا فى بداية العصر الأموى وذلك بداية من عهد معاوية 0

واتخذ الرسول ﷺ المعسكرات لجنده خارج المدينة على مسافة منها، ومثال لذلك معسكر الجرف الذى بعد عن المدينة ثلاثة أميال اتجاه الشمال[55] 0

وظلت مدينة الرسول ﷺ عاصمة للخلافة الإسلامية وحاضرة للمسلمين خلال عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة 0

ومرت الأحداث العنيفة التى ميزت عصر عثمان بن عفان ﷺ وعبرت الأمة المحنة يوم كانت بلا إمام إلى أن انتخب الإمام على كرم الله وجهه إماما للمسلمين، ولما

غادرها إلى العراق فارقتها الخلافة، وزال عنها مقر الحكم إلى دمشق ومنها إلى بغداد[56] 0

3- الكوفة 17هـ / 638م[57]

السبب فى بنائها، يذكر أنه بعد فتح المسلمين للعراق كانت رسلهم ترد على عمر ﷺ، فيرى فى وجوههم، وألوانهم تغيرا، فسألهم عن سر ذلك فقالوا له : وخومة البلاد، فكتب إلى سعد بن أبى وقاص انبئنى ما الذى غير ألوان العرب ولحومهم فكتب إليه "إن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة"، فكتب إليه عمر "إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق ابلها من البلدان فابعث سلمان وحذيفة وكان رائدى الجيش دائنين فليرتادا منزلا بريا وبحريا ليس بينى وبينكم منه بحر ولا جسر[58] فبعث سعد بن أبى وقاص سلمان وحذيفة يسيران غربى الفرات حتى أتيا موضع الكوفة" وهو حصباء ورمل فأتيا عليها وفيها مميزات ثلاث هى : ارتفعت أرضه عن البقة، وتطأطأت عن السخة، وتوسطت الريف، وظعنت فى آنف البرية[59]، فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا، ودعوا الله أن يبارك لهم فى هذه الكوفة وكتب إلى سعد بالخبر، فأبلغه سعد إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فأمره أن يسير بالجنود إليها فأرسل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة فى المحرم سنة 17هـ / يناير 638م[60] 0

وكان عمر يريد أن يقيم المسلمون فى خيامهم، لأن ذلك أجد فى حروبهم، وأذكى لهم، وأهيب فى عين عدوهم، ولما استأذنه أهل الكوفة والبصرة فى بنيان القصب لم يحب أن يخالفهم، وأذن لهم فابتنى أهلها بالقصب، ثم أن الحريق وقع فى الكوفة وبالبصرة[61] فاستأذنوا عمر فى البناء باللبن، فقال : " أفعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات (حجرات)، ولا تطاولوا فى البنيان " وجعل على تنزيل أهل الكوفة والإشراف على بناءها أبو الهياج ابن مالك الأسدى[62] 0

أرسل سعد إلى أبى الهياج فأخبره بكتاب عمر فى الطريق : من " أنه أمر بالمناهج – الشارع الرئيسى – أربعين ذراعا، وما يليها الشوارع الثانوية ثلاثين ذراعا، وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبعة أذرع ،وليس دون ذلك شئ، وفى القطائع ستين ذراعا[63] 0

وكان أول شئ خط بالكوفة مسجدها فاختطوه، وجاء تخطيط المسجد في عهد الوالي سعد ابن أبي وقاص من مساحة مربع تنقسم إلى صحن وظلة القبلة، ثم قام فى وسطه رام شديد النزع فرمى عن يمينه وشماله، ومن بين يديه ومن خلفة، ثم أمر ببناء الخطط وراء مواقع السهام، وبنى فى مقدمة المسجد ظله ذرعها مائتان على أساطين رخام كانت للأكاسرة، وبنوا بجوار المسجد دار الإمارة بينها وبين المسجد طريق منقب مائتى ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال، وبنى ذلك له رورية الفارسى من أجر بنيان الأكاسرة بالحيرة[64] 0

وبالنسبة لتقسيم الخطة بين أفراد القبيلة، فإن اليعقوبى يذكر ذلك بقوله : "إن كل قبيلة كانت تقسم الخطة المخصصة لها " وكان الأمر متروكا لحرية تصرف اختيار القبيلة، وكان لكل قبيلة فى خطتها مسجد ومقبرة خاصة بها 0

ومن هذه المنطقة "وسط المدينة" امتدت الشوارع "المنهاج" خمسة فى اتجاه الشمال، وأربعة فى اتجاه الجنوب، وثلاثة فى اتجاه الشرق، وثلاثة فى اتجاه الغرب، وأطلق عليها "مناهج أهل العزم" وكانت الشوارع الثانوية تسير موازية للشوارع الرئيسية، وأحيانا متقابلة معها، وأطلق عليها "منهاج الدهناء"[65]، ثم يلى ذلك الشوارع الفرعية التى كانت أقل اتساعا، وتربط التكوينات المعمارية بالشوارع الثانوية والرئيسية[66] 0

وبالنسبة لتقسيم الخطة 000

كان سوق المدينة فى منطقة الوسط، وكان عبارة عن ساحة مضاء كما هو الحال وسوق المدينة المنورة، حيث كان الخليفة عمر بن الخطابﷺ حريصا على أن تظل السوق بالهيئة التى أقرها الرسولﷺ فى المدينة[67]، وأشار اليعقوبى أن السوق فى الكوفة كان فضاء لا توجد به مبان أو سقف سوى تلك الظلل التى عملت لتظل البائعين فى أماكنهم التى اختاروها، واستمرت السوق على هذه الهيئة فى عهد هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) عندما قام عامله على الكوفة خالد القسرى بإنشاء الأسواق على هيئة معمارية جديدة، تشتمل على جوانب سفلية ومساكن علوية لمبيت التجار[68] 0

وقد اتخذ على بن أبى طالب ﷺ الكوفة قصرا لخلافته، وذلك لأن بها شيعته وأنصاره، ولخصوبة أرضها، وكثرة خيراتها، ووقوعها فى مكان متوسط بين أقاليم الدولة

الإسلامية، ولأنها من وجهة نظره أصلح من غيرها فى حرب معاوية بالشام[69]، وما زال لها شأن عند الشيعة إلى وقتنا الحالى، وفى ولاية عبد الله بن زياد، بنى المسجد وأنفق عليه نفقات طائلة، حتى أصبح فريدا بين مساجد زمانه[70] 0

ثم اتسعت الكوفة وامتد عمرانها حتى بلغت فى أوائل القرن الرابع الهجرى ستة عشر ميلا وثلثى ميل، وبنى فيها خمسون ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربع وعشرون ألف دار لسائر العرب، وسته آلاف دار لليمن[71] 0

والتخطيط الذى وضع لبناء الكوفة، يدل دلالة واضحة عن نظام هندسى راقى، فضلا عن كونه يتلاءم مع طبيعة العرب، فلم يحجب هواء البادية عن أهلها الذين نشأوا فى بادية الجزيرة العربية، لكثرة الشوارع واتساعها، فعاد إليهم نشاطهم واستردوا حيويتهم وقوتهم[72] 0

3- البصرة 17هـ / 638م [73]

البصرة أقدم المدن الإسلامية، وهى تقع عند ملتقى دجلة والفرات فى الموضع المعروف بشط العرب، وموقعها قريب من الماء والمراعى فى طرف البر إلى الريف فيه قصباء – ما يشبة البوص – ودونه منافع ماء، وهى إحدى أمهات مدن العراق الشهيرة، وهى مدخل العراق الجنوبى وتقع فى ملتقى البحر والسهل والخصب والصحراء إذ هى مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين[74] 0

وعن تاريخ بناؤها هناك اختلاف بين المؤرخين فى تحديد ذلك حيث ذكر أنها بنيت قبل الكوفة فى سنة 14هـ، ويذكر البعض أنها بنيت بعد الكوفة سنة 17هـ، ويمكن الجمع بين الآراء فى أن العرب نزلوها سنة 14هـ إلا أنها لم تخطط إلا فى سنة 17هـ تلك السنة التى خططت فيها الكوفة، ويؤكد ذلك قول الطبرى : " أن أهل الكوفة والبصرة استأذنوا الخليفة عمر ﷺ فى بنيان القصب فلم يحب أن يخالفهم فأذن لهم فابتنى أهلها بالقصب، فلما وقع حريق بالكوفة والبصرة استأذنوا الخليفة عمر ﷺ فى البناء باللبن فقال " افعلوا ولا يزيد أحدكم على ثلاث حجرات ولا تطاولوا فى البنيان، وكتب إلى عقبة بن غزوان وأهل البصرة بمثل ذلك، وجعل على تنزيل أهل البصرة والإشراف على بناءها عاصم بن الدلف أبو الجرداء 0

وكان السبب فى نزول المسلمين بها سويد بن قطبه الذهلى كان يغير على العجم فى ناحية الخريبة من البصرة قبل أن ينزلها، ولما بلغ عمر رضي الله عنه خبره وما يصنع بالبصرة، رأى أن يوليها رجلا من قبله، وأن ينزلها المسلمين، ليحولوا بين أهل فارس ومن إليهم، وإمداد اخوانهم من أهل المدائن ونواحيها، فولاها عتبه بن غزوان، وقال له : أن الحيرة قد فتحت فأت أنت ناحية البصرة، واشغل من هناك من أهل فارس والأهواز وميسان عن امداد إخوانهم فسار إليهم عتبة فى أكثر من ثلاثمائة رجل انضم إليه سويد بن قطبة وغيره من الأعراب وأهل البوادى، ونزلها فى ربيع الأول أو الآخر سنة أربعة عشر[75] 0

كتب بن غزوان إلى الخليفة عمر يستأذنه فى تمصير البصرة وقال له : "إنه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا اشتوا ويكسون – يستترون – فيه إذا انصرفوا من غزوهم[76]، فكتب إليه الخليفة عمر : إن ارتد لهم منزلا قريبا من المراعى والماء، واكتب إليا بصفته، فكتب إليه "إنى قد وجدت أرضا كثيرة الفضة – الحجارة – فى طرف البرالى الريف، ودونها منافع فيها ماء وفيها قصباء "[77] 0

ولما وصلت الرسالة إلى عمر قال : "هذه أرض بصرة، قريبة من المشارب والمراعى المحتطب"[78] وكتب إليه أن أنزلها، فنزلها وبنى مسجدها من قصب باعتباره نواة المدينة، وبجواره عن قرب دار الإمارة، ثم أقطعت القبائل خططها حول المسجد، وخططت الشوارع فجعلوا عرض شارعها الأعظم ستين ذراعا، وجعلوا عرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعا، وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع، وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمربط خيلهم وقبور موتاهم وتلاصقوا، ولم يفعلوا ذلك إلا عن رأى اتفقوا عليه، أو نص لا يجوز خلافة، وتركت حرية تقسيم الخطط للقبائل التى اختطت وبنيت منازلها[79]، وبنى الناس منازلهم من القصب فكانوا إذا غزوا نزعوا ذلك القصب، ثم حزموه ووضعوه حتى يعودوا من الغزو، فيعيدون بناءها كما كان وهكذا[80] 0

ولما مات عتبة بن غزوان ولى عمر عليها أبا موسى الأشعرى سنة 17هـ/638م وظل حتى سنة 19هـ/640م[81] وفى عهده بدأت تزداد أهمية البصرة وزاد عدد المهاجرين إليها، وأدى ذلك إلى تطورها فاختط الناس، وبنوا المنازل باللبن، بعد أن أذن لهم عمر فى ذلك لأن القصب كان يحترق "كما ذكرنا"، وبنى أبو موسى الأشعرى المسجد الجامع بها

باللبن والطين وكذلك دار الإمارة، وسقفها بالعشب[82] ،ويعد مسجد البصرة من الساجد الأولى التي شيدت خارج شبه الجزيرة العربية في العصر الراشدي، وكان من مساحة مربعة خططت على هيئة صحن وظلة للقبلة على غرار المسجد النبوي، وأمر الناس بالبناء فى الخطط التى فتحت لهم، واتجه إلى تزويد المدينة بالماء الصالح للشرب ولا سيما أن المياه التى كانت تصل إليها كانت مالحة، فبدأ مشروع حفر نهر الأبلة[83] ،الذى تم فى عهد عبد الله بن عامر (25-36هـ/646-657م)، وهو وغيره من مجموعة الأنهار التى زودت المدينة بالماء اللازم، ووصلتها تجاريا بالأقاليم المجاورة فدفع ذلك إلى نموها وازدهارها[84] 0

وساهم عبد الله بن عامر أثناء ولايته للبصرة على تطويرها حيث شجع العمران بالمدينة، ومنح الإقطاعات للأشخاص لزيادة الإنتاج، واتخذ الأسواق بالمدينة، فقام بشراء عدد من الدور وبنى فى موضعها سوقا ولا سيما المربد لم تعد قادرة على سد الحاجات الجديدة بالمدينة[85] 0

ولما استعمل معاوية بن أبى سفيان زياد بن أبيه واليا على البصرة سنة 55هـ/674م مرت البصرة بمرحلة تالية من التطور، حيث بدأت المنازل وغيرها تبنى بالأجر والحصى فأعاد بناء الجامع ودار الإمارة بهذه المواد وسقفه بالساج، وبنى منارة المسجد بالحجارة فصار من أحسن الأبنية[86] كما أعاد زياد بن أبيه تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها السكنية، متبعا نفس نظام الكوفة، فقسمها إلى خمسة أخماس، كل خمس مجموعة من العشائر التى تنتمى إلى قبيلة واحدة ويرأسه رئيس من تلك القبيلة، وسهل ذلك فى إدارة المدينة، وسهل استنفار الجند وهذا هو الهدف الأسمى من هذا التقسيم[87]0

كما شجع زياد بن أبيه على تأسيس الأسواق حيث بنى "مدينة الرزق" وهى عبارة عن سوق واسعة لها أربعة أبواب وتحتوى على أنشطة اقتصادية، كما أنه اهتم بإنشاء الوحدات العمرانية المتصلة بإتساع المدينة وزيادتها، كالمحلات والمربعات والحمامات[88] 0

وصاحب اتساع مدينة البصرة زيادة فى عدد سكانها ويدل على ذلك أن عدد مقاتليها خلال عهد زياد بن أبيه بلغ ثمانين ألفا، وعيالهم مائة ألف وعشرين ألف عيل[89] 0

ونظرا لموقعها المتوسط بين الشام وفارس، أسرع إليها العمران واتخذها الأمويون مقرا لإمارة العراق فاتسعت عمارتها حتى بلغت مساحتها فى إمارة خالد بن عبد الملك القسرى(106-120هـ) فرسخين[90] ،والفرسخ يساوى 5544متر[91] 0

وكانت البصرة خلال العصر العباسى ملتقى التجارة، وتجارتها تمتد شرقا إلى الهند والصين، وغربا إلى أقصى بلاد المغرب، وجنوبا إلى الحبشة، واشتهر أهلها بالأسفار التجارية إلى كل الجهات، ويؤكد ابن الفقيه الهمذانى، على شهرة تجار البصرة وكسبهم فى الاتجار مع البلاد المختلفة، بقوله : "أبعد الناس نجعه – سعى وراء الكلأ – فى الكسب بصرى وحميرى"[92] 0

ومما زاد أهمية البصرة التجارية خلال العصر العباسى أنها ورثت نشاط الأبلة التجارى، حيث انتقل إليها عدد كبير من التجار، فزاد عمرانها وتوسعت حدودها حتى أصبحت الآبلة وعبادان أشبه بضواحى البصرة، ويؤكد المقدسي ذلك بقوله : "أما البصرة ضمن مدنها الآبلة"[93] 0

ومن الجدير بالذكر أن الأهمية التجارية والاقتصادية للبصرة قد لفتت أنظار الخلفاء العباسيين، لكونها تدر موارد غير قليلة على خزينة الدولة، سواء عن طريق مزاولتها النشطة للتجارة أو من تردد عدد كبير من التجار الغرباء أصحاب الثروات عليها أو الإقامة فيها مما حفز بعض الخلفاء على إدخال بعض الإصلاحات فيها واستحداث الخدمات العامة، منها انتقاء خبرة الولاة لإدارتها، ومداومة الإشراف عليها، وإيصال المياة العذبة من نهر دجلة إليها[94]، قال البلازدى : وكان الولاة والإشراف بالبصرة يستعذبون الماء من دجلة ويحضرون الصهاريج[95] 0

وكانت مياه البصرة مرسى مئات السفن التجارية التى كانت تحمل أصناف التجارات منها وإليها، وقد أشاد المقدسى بتجارتها قائلا :لم تسمع بخز البصرة وبزها وطرائفها وبأزرها، وهى معدن اللؤلؤ والجواهر وفرضة البحر ومطرح البر[96] ولذا تكاثرت ثرواتها وبنى أهلها القصور والحدائق، وأنشأوا البرك والميادين[97] 0

وهكذا تحولت البصرة من مجرد معسكر حربى إلى مدينة ذات معايير مدنية واضحة، تمثلت فى مناحى الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية 0

4- دمشق :

تقع دمشق في أرض مستوية على خط طول 30شرقي غرينتش وعلى درجة عرض 33شمالا إلى الشرق من المنحدرات الشرقية لجبال لبنان الشرقية، وتتكون من ثلاثة أقسام طبيعية هي المنطقة السهلية والمنطقة الجبلية المحيطة بالمدينة، ويشرف على دمشق من جهة الغرب جبل الشيخ ويعرف بجبل الثلج بينما تتصل من الشرق والجنوب ببادية الشام ولذا تتمتع بموقع جغرافي فريد، ويصفها اليعقوبي بقوله : " ومدينة دمشق مدينة جليلة قديمة، وهي مدينه الشأن في الجاهلية والإسلام، وليس لها نظير في جميع أجناد الشأن في كثرة أنهارها وعمارة نهرها الأعظم يقال له بردا 000وكانت منازل ملوك غسان، وبها آثار لآل حفنة والأغلب على مدينة دمشق أهل اليمن، وبها قوم من قيس، ومنازل بني أمية وقصورهم أكثر منازلها وبها خضراء معاوية، وهي دار الأمارة ومسجدها الذي ليس في الإسلام أحسن منه بالرخام أو الذهب000"، ودمشق من المدن القديمة فى بلاد الشام[98] وهى مدينة الشام فى الجاهلية والإسلام، وليس لها نظير فى جميع مدن الشام فى كثرة أنهارها وعمارتها، ونهرها الأعظم يقال له "بردا"[99] وهى قلعة من قلاع العلم والحضارة يشهد بذلك تاريخها القديم وقد توالى على دمشق كثير من الحكام فاهتموا بها، وجعلوا منها قبلة للعلماء، حكمها الآراميون واليونانيون والرومان والبيزنطيون، ودخلها المسلمون فاتحين فى عصر الفاروق عمر سنة أربع عشرة حيث افتتحها أبو عبيدة بن الجراح من باب لها يقال له باب الجابية صلحا، بعد حصار سنة، ودخلها خالد بن الوليد من باب يقال له الشرقى بغير صلح، فأجاز أبو عبيده الصلح فى جميعها وكتبوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فأجاز ما عمل به أبو عبيده[100]، لتبدأ مرحلة جديدة فى تاريخها، ولتسهم فى بناء صرح الحضارة الإسلامية 0

ودمشق بحكم موقعها الجغرافى ملتقى الحضارات، فهى منذ القدم البوتقة التى انصهرت فيها حضارات الشرق القديم، من العراق ومن بلاد الحيثيين ومن مصر، وظل دورها كمركز من مراكز الحضارة علامة بارزة فى تاريخها 0

وكانت دمشق خلال العصر الأموى حاضرة الدولة الإسلامية، حيث اتخذها الخلفاء الأمويون مقرا لهم بنى بها معاوية دار الإمارة وكان بناء المسجد الأموى نقطة تحول فى تاريخ المدينة، إذ أصبحت واحدة من أهم المدن الإسلامية0

المسجد الأموي :

يعد المسجد الأموى أهم الأثار الإسلامية بها 0 ويقول ابن جبير أن المسجد الأموى من أشهر جوامع الإسلام حسنا، واتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين، وشهرته المتعارفة فى ذلك تغنى عن استغراق الوصف فيه 000أنتدب لبناءه الوليد بن عبد الملك رحمه الله ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره بإشخاص أثنى عشر ألفا من الصناع من بلاده000فأمتثل أمره 000فشرع في بناءه وبلغت الغايات في التأنق فيه، وأنزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء، وخلطت بها أنواع الأصبغة الغريبة ،قد مثلت أشجارا، وفرعت أغصانا منظومة بالفصوص، ببدائع من الصنعة الأنيقة المعجزة وصف كل واصف000وذكر أنه وضع في بناءه مائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار ومائتا ألف دينار، فكان مبلغ الجميع أحدا عشر ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار"[101] 0

وقد جاء المسجد يشغل مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب طولها 156م بعرض 97م، وفي سنة 475هـ /1182م غطيت الثلاث قباب بجمالون يتوسطه قبة حجرية من قبل السلطان ملكشاه السلجوقي ويصل أرتفاعه عند البلاطة الوسطى 23م بينما أرجاء المسجد 15م0

أما الصحن فقد جاء من مساحة مستطيلة يبلغ طولها 125م تقريبا ويزيد عرضها عن 60م تحيط به ظله من جوانبه الثلاثة الشمالية الغربية، والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية وتتكون كل ظلة من بلاطة واحدة0

ويروى أن المسجد أصلا هو ما اختطة أبو عبيده بن الجراح أحد قادة الفتح، وكان قد دخل المدينة بعد فتحها صلحا سنة 13هـ/634م واستولى على النصف الشرقى للكنيسة المسيحية بها وصيره مسجدا، وهو جامع دمشق المعروف[102] وظل النصف الغربى بأيدى المسيحيين وفقا لشروط الصلح 0

وفى رواية أخرى أن المسجد أقيم مكان معبد وثنى قديم للإله جوبتر :حوله الإمبراطور ثيودور سنة 379م إلى كنيسة عرفت باسم كنيسة القديس يوحنا، فبنى أبو عبيده بن الجراح المسجد الأول فى دمشق، فلما جاء الوليد بن عبد الملك أرسى مسجده مكان المعبد والجامع والكنيسة معا[103] 0

ويرى علماء الأثار أن المسجد الأموى فى دمشق بنى كله دفعة واحدة ولم يدخل فى بنائه الكنيسة أو المعبد، كما لم يكن بناؤه استكمالا لبناء سابق، ذلك لأن الوليد بناه دفعة واحدة – وظل بناءه لمدة ثمانية أعوام، وانفق عليه خراج الدولة الإسلامية سبع سنين[104] 0

والمسجد الاموى من المساجد الجامعة العظيمة فى الإسلام، وقد كان موضع عناية واهتمام الخلفاء والملوك والسلاطين والحكام فزادوا فيه، واحتل مكانة بارزة فى تاريخ الحضارة الإسلامية، فهو الذى جعل المدينة تتوق إليها الأنظار، ويؤمها العلماء ورجال الدين، ويفد إليها طلاب العلم من كل مكان، وظلت مدينة دمشق حاضرة الشام عاصمة للخلافة الإسلامية حتى انتهاء الدولة الأموية[105]

قصر الخضراء والصفراء :

نزل الأمويون مدينة دمشق في العصر الراشدي وبنوا فيها قصورهم ومنازلهم ومنها خضراء معاوية التي أقامها معاوية ابن أبي سفيان أثناء ولايته على الشام في خلافة عثمان بن عفان ﷺ ثم أصبحت دار للأمارة، وبقيت قصر الخلافة الأموية بعد إعلان الدولة الأموية في عام 41هـ / 661م ويعد هذا القصر من روائع العمارة بدمشق ويقع إلى الجنوب من سور الجامع عرف بقصر الخضراء لأن القبة والجدران طليت باللون الأخضر، مر القصر بمرحلتين من العمارة وظل مقرا للأمويين حتى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك(96-99هـ/715-717م) حيث اتخذ مقرا آخر بدل من قصر الخضراء فشيد قصرا بدرب محرز في موضع سقاية جيرون وجعل له قبة صفراء "

5- الفسطاط 21هـ /641م:

دخل عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية بعد فتحها، ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها فهم أن يسكنها وقال :"مساكن قد كفيناها"[106] 0

فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطابﷺ يستأذنه فى ذلك، فسأل الخليفة رسول عمرو : هل يحول بينى وبين المسلمين ماء، قال نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل، فكتب الخليفة عمرﷺ إلى عمرو : "أنى لأحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بينى

وبينهم فى شتاء ولا صيف[107]، على ذلك تحول عمرو عن الإسكندرية إلى الفسطاط، واختار موضع الفسطاط على الشاطئ الشرقى للنيل بجوار حصن بابليون 0

ويحدد المقريزى موقع مدينة الفسطاط حين اختطها العرب فيذكر : "أنه كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم، ولم يكن فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف بقصر الشمع، وبالقلعة وكان بجوار هذا الحصن من بحرية، وهى الجهة الشمالية أشجار وكروم، فضاء موضعها الجامع العتيق وكان فيما بين الحصن والجبل عدة كنائس للنصارى 000 "[108] 0

هذا ويدل موقع الفسطاط على نظرة صائبة من قبل العرب إذ يمتاز موقع هذه المدينة بتوسطه بين مصر السفلى، والعليا، وله عدة مزايا تجارية وسياسية وحربية، فقد اثبتت الحفريات أنها قامت على كتلة عظيمة من الصخر، تشمل هضابا ووهادا وكان وجودها على تلك الربوة يمنع فيضان الماء عليها، وكانت هذه الربوة مغطاة فى وقت ما باحجار كبيرة جدا، فكسرت وسويت[109] 0

وكان جانب المدينة الشرقى جبليا، يتكون من جبال حجرية غير عالية كالتلال، وكانت تبدو حين ينظر إليها من بعيد كأنها جبل[110] وقد اعتاد العرب عامة على اختيار عواصمهم بعيدة عن السواحل[111] 0

وبهذا تحققت للفسطاط الحماية الطبيعية، وكان وجودها على رأس الدلتا قد جعلها فى مأمن من هجمات العدو فيحميها من الشرق جبل المقطم ضد العدو وضد فيضان النيل، كما كان لها جانب يمكن أن يضطرد اتساعها منه وهو الشمال، وبنيت العسكر والقطائع فى هذه الناحية[112] 0

وقد تعددت آراء المؤرخين حول لفظ فسطاط الذى أطلق على العصمة الجديدة، من اشهر هذه الآراء أنها سميت نسبة إلى فسطاط عمرو أى خيمته، الذى تركه فى ذلك المكان عندما أراد التوجه إلى الإسكندرية بعد فتح حصن بابليون، إذ وجد يماما قد فرخ فقال عمرو : "لقد تحرم منا بحرم" وأقر فسطاطه كما هو وأوصى به صاحب الفقر، ولما عاد المسلمين من الإسكندرية قالوا أين ننزل ؟ قال : الفسطاط، أى لفسطاطه الذى كان خلفه[113] 0

ويذكر الجواليقى أن لفظ فسطاط فارسى معرب[114]، والأصوب أن هذا اللفظ مشتق من اللفظ اليونانى "فساطن" المشتق من اللفظ اللاتينى **(Fossatum)** الذى يطلقه الرومانيون على معسكراتهم الحربية، وكانت كلمة فسطاط شائعة فى أرجاء الامبراطورية البيزنطية حيث كانوا يطلقونها على معسكراتهم الحربية وتؤيد أوراق البردى ذلك القول، فاسم فسطاط كان موجودا قبل تأسيس الفسطاط، وقد احتفظ العرب بتلك التسمية بعد ما احتلوا المعسكر الحربى[115] 0

كانت الفسطاط أول أمرها مدينة متواضعة مشيدة باللبن لا يعلو بنيانها على الطابق الواحد[116]، وكان هذا يتفق مع حياة البساطة التى كان عليها المسلمون فى ذلك الوقت، كما جرت العادة لدى العرب بدأ عمرو بإنشاء المسجد الجامع، وخط فى المنطقة المحيطة به سوقا ومن حول ذلك السوق اختطت الخطط للقبائل وجعلت خطة "أهل الرأى" قريبة من المسجد[117]، واختط عمرو داره بجوار المسجد، وحول داره والمسجد خطط القبائل العربية وغيرهم من أقوام الفرس والروم الذين سبق لهم الدخول فى الإسلام[118] 0

ويشير وصف هذه الخطط إلى أن بعضها اختص بقبيلة واحدة، وأن القبائل الكبيرة العدد كان لها أكثر من خطة، والقبائل محدودة العدد ضمت مع بعضها فى خطة واحدة[119] 0

وكانت خطط القبائل العربية تمتد من النيل غربا حتى عين الصيرة شرقا، ومن جبل يشكر شمالا حتى الشره وجبل الرصد (اسطبل عنتر جنوبا)[120] وبلغت خططها سبعا وأربعين خطة عند إنشائها [121] وأطلقت على كل خطة اسم القبيلة التى استقرت فيها، وتركت حرية تقسيم كل خطة لأفراد القبيلة، وكان بكل خطة مسجد أو أكثر، وتضمنت الخطط ساحات فضاء أو رحاب استغلت فى أغراض مختلفة[122] 0

ولم تكن خطط الفسطاط لجميع قوات عمرو، وذلك لأن عمرو بن العاص كان قد استبقى نصف قواته للإقامه بالفسطاط، فى حين أرسل فريقا من قواته للمرابطة بالإسكندرية وسائر الثغور المصرية[123] 0

وعلى الرغم من أن الفسطاط بدأت متواضعة إلا أن العرب سرعان ما تخطوا البساطة وتوسعوا فى البناء إذ شيد عبد الله بن سعد بن سرح والى مصر (25-35هـ) من قبل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ قصرا كبيرا عرف باسم "قصر الجن"[124] 0

كما بنى مروان بن الحكم لنفسه بعد أن ولى الخلافة دارا عظيمة عند قدومه إلى مصر سنة 65هـ / 684م، كذلك شيد بها عبد العزيز بن مروان دارا ضخمة أطلق عليها دار الذهب، وجعل لها قبة كانت إذا طلعت الشمس عليها لا يستطيع الناظر التأمل فيها خوفا على بصره، ويقال إن الدار كانت من الضخامة لدرجة أنها سميت بالمدينة لعظم سعتها[125] 0

وبنى بالفسطاط أيضا الحمامات والأسواق، والميادين كما أسس لها المصانع المختلفة، فبنى عبد العزيز بن مروان قيساريات العسل والحبال والبز، وبنى هشام بن عبد الملك قيساريته التى تعرف بقيسارية هشام[126]، وهكذا شقت الفسطاط طريقها لأن تكون مدينة ذات حضارة لأن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التى تدعو إليها الترف والدعة وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها[127] 0

وعلى الرغم ما تعرضت له الفسطاط أولى عواصم مصر الإسلامية من تدمير خلال الاضطرابات التى تعرضت لها بعد ذلك، فان المدينة أخذت تنمو حتى أصبحت دهشة الرحالة القادمين من كل مكان فقد وصفها الاصطخرى المتوفى سنة 340هـ / 990م أن دور الفسطاط تتكون من أربع طبقات وخمس كالمنائر، يدخل إليها الضياء من الوسط وأنه يسكن الدار الواحدة مائتى نفس[128] 0

أما ناصر خسرو الذى زار مصر خلال القرن الخامس الهجرى فقد ذكر أن الفسطاط تبدو بعيدة كالجبل لارتفاع منازلها التى تتراوح بين سبع طبقات وأربع عشرة طبقة، كما أشار إلى أن شوارعها تضاء نهارا بالقناديل لأن ضوء الشمس كان لا يصل إلى أرضها[129] 0

ووصف القضاعى الفسطاط خلال القرن الخامس الهجرى بأن لها ستة وثلاثون ألف مسجد، وثمانية ألف شارع ومائة وسبعون حماما[130] 0

ومن الملاحظ أن الفسطاط ظلت تحتل مكان الصدارة والأهمية وظلت تزدحم بالسكان، وكان ساحلها عامر بالمراكب كما كان بها داران للصناعة – صناعة السفن – وهما صناعة الروضة، وصناعة الفسطاط[131] 0

تعرضت الفسطاط أكثر من مرة للتخريب ففى سنة 132هـ / 749م أمر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أميه بإحراقها أثناء فراره أمام جيوش العباسيين بعد انسحابه منها[132] 0

كذلك تعرضت المدينة للسلب والنهب عندما قام محمد بن سليمان قائد الجيش العباسى سنة 292هـ/905م بمحاربة الطولونيين[133]، وتعرضت المدينة للنهب على يد الجنود الفاطميين زمن الخليفة الحاكم بأمر الله، والخليفة الظاهر، وكان أخطر ما تعرضت إليه الفسطاط من تخريب خلال أيام الشدة العظمى زمن الخليفة المستنصر بالله سنة 457-464هـ / 1065-1071م[134] 0

كما منيت الفسطاط بخراب عظيم أتلف معظم مرافقها وذلك أثناء الصراع الذى نشب بين شاور وضرغام وزيرى الخليفة الفاطمى العاضد لدين الله سنة 564هـ / 1168م، وذلك بعد أن أمر شاور بإخلائها من سكانها، وبعث إليها بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار، وفرق ذلك لمنع الجيش الصليبى بقيادة عمورى ملك بيت المقدس من الاستيلاء على مصر، واستمرت النيران مشتعلة فيها حوالى أربعة وخمسين يوما[135] 0

ومنذ هذه الحادثة أفل نجم الفسطاط رغم أن صلاح الدين الأيوبى حاول أن يجمع بين القاهرة وما بقى من الفسطاط بسور واحد[136]، حيث تحولت الفسطاط إلى الأطلال المعروفة الآن "بكيمان" وحسبنا دليلا على ما أصابها من خراب وتدهور ذلك الوصف الذى تركه لنا الرحالة المغربى على بن سعيد الذى زار مصر سنة 644هـ / 1246م، إذ يقول : "ولما أقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة وتأملت أسوارا مثلمة سوداء، وأفاقا مغبرة، ودخلت من بابها وهو دون غلق يفضى إلى خراب مغمور بمبان مشتته الوضع، غير مستقيمة الشوارع، قد بنيت من الطوب الأدكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال ما يقيض نفس النظيف وبعض طرف الظريف 000[137]، ومع مطلع القرن التاسع الهجرى كان ميناء الفسطاط قد تلاشى، كما تدهورت

الفسطاط وفقدت أهميتها الاقتصادية بشكل تدريجى حتى هجرها الناس فى نهاية القرن التاسع الهجرى[138] 0

6- القيروان50هـ / 670م :

يذكر أن عقبة بن نافع الفهرى خرج إلى المغرب بعد معاوية بن حديج سنة ستة وأربعين ومعه بسر بن أبى أرطأة، وشريك بن سمى المرادى ومعه ناس آخرون واصل فتوحة واستيلائه على الحصون حتى وصل القيروان الذى كان معاوية بن حديج قد بناه قبله فلم يعجبه، فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان، وكان واديا كثير الشجر كثير القطف تأوى إليه الوحوش والسباع والهوام، نادى بأعلى صوته : يأهل ارتحلوا رحمكم الله فإنا نازلون، نادى بذلك ثلاثة أيام[139] 0

وكان عقبة مستجاب الدعوة، ثم نادى : أيتها الحيات والسباع انا أصحاب رسول الله ﷺ أرحلوا عنا، فإنا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه فنظر الناس ذلك اليوم إلى الدواب تحمل أولادها وتنتقل، فرآه قبيل كثير من البربر فأسلموا، وقطع الأشجار، وأمر ببناء المدينة فبنيت وبنى المسجد الجامع، وبنى الناس مساجدهم ومساكنهم وكان دورها ثلاثة آلاف باع والباع يساوى 1.84مترا 0

وكان عقبة أثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب، واتسعت خطة المسلمين، وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها وكان ذلك سنة 50هـ / 670م[140] 0

ويذكر ابن عذارى المراكشى أن أصحاب عقبة أشاروا عليه أن يتخذ عاصمته فى أفريقية قريبة من البحر حتى يتسنى لهم الجهاد والرباط، إلا أن عقبة رد عليهم قائلا "أنى أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها صاحب البحر إلا وقد عام به"[141] 0

وكان عقبة موفقا فى اختيار موقع المدينة، حيث أن بعدها عن البحر يجعلها فى مأمن من غارات الأساطيل البيزنطية، وأن موقعها الداخلى بالقرب من الأراضى السبخة جعلها تشرف على المراعى التى سهل على ابل وخيول وحاشية المسلمين ارتيادها[142]0

بنى عقبة بن نافع مدينة القيروان مكان حصن قديم للدولة، وكانت القيروان رابع مدينة إسلامية يؤسسها المسلمون فى الأمصار، وقد بدأ بناءها سنة 50هـ/670م انتهى سنة 55هـ/675م 0

مسجد القيروان:

اهتم عقبة بن نافع بالعاصمة الجديدة، وكان المسجد هو أول ما اختط فيها، وقد وصف المؤرخون اهتمام عقبة بالمسجد الجامع بالقيروان، حتى أنهم قالوا أن عقبة بن نافع بنى مسجدا له، وقد زاد في هذا المسجد حسان ابن النعمان، قال ابن عبد الحكم: " ثم أنصرف حسان فنزل موضع قيروان أفريقية اليوم وبنى مسجد جامعتها000"[143]، ثم زاد فيه بشر ابن صفوان في عام 105هـ / 723م وتمثل عمارته آخر الزيادات في العصر الأموي[144]، وقد ازدهرت المدينة حتى أصبحت عاصمة المغرب كله، ووصفها ابن حوقل بقوله : " أنها أعظم مدن المغرب وسجل اعجابه بعمارة مبانيها وحسن أسواقها ورواج تجارتها ويسار أهلها "[145] 0

والقيروان إحدى المدن الإسلامية التى مثلت مركزا حضاريا هاما فى الدولة الإسلامية، حيث أسهمت بنصيب موفور فى نشر الإسلام فى أفريقيا، ومنها انتقل إلى أوربا، وكانت القيروان خلال العصر الأموى قاعدة حضارية واستراتيجية هامة[146] حتى أن الأمويين خشوا نفوذ أهلها وكذلك خشوا نفوذ عقبة بن نافع بها مما جعل مسلمة بن مخلد الأنصارى والى مصر من قبل معاوية – وكان قد استعمله أيضا على أفريقيا – يقوم بعزل عقبة، واستعمل على أفريقيا مولى له يقال له "أبو المهاجر" الذى قدم أفريقية وأساء عزل عقبة، واستخف به، وسار عقبة إلى الشام وعاتب معاوية على ما فعله أبو المهاجر دينار، فاعتذر له معاوية ووعده باعادته إلى عمله إلا أن معاوية توفى، وولى بعده ابنه يزيد، فاستعمل عقبة بن نافع على أفريقيا سنة 62هـ/681م[147] 0

ولما أعيد عقبة إلى ولايته فى أفريقيا بعد أن أكرمه يزيد قيل أيضا أن مسلمة بن مخلد اعتذر عما صدر من أبى المهاجر دينار، وانتقم من أبى المهاجر وقبض عليه، وأوثقه فى الحديد وصادر أمواله[148] 0

هذا وقد عانت القيروان الإهمال أثناء ولاية أبو المهاجر دينار فقد تم إخلاءها من العسكر، وانتقلت الإدارة والحكومة إلى المدينة الجديدة التى اختطها أبو المهاجر على بعد ميلين من القيروان، وأمر الناس بالتحول عن القيروان، بل أمعن فى الإساءة إلى مدينة القيروان وأمر الناس بإحراقها[149] 0

ثم عاد للقيروان مكانتها بعودة عقبة فقام بتجديد مبانيها وترميم ما احتاج إلى ترميم، وأمر الناس بالعودة إلى الحياة فيها فرجعت تمارس أنشطتها الفكرية والاجتماعية، وتجدد الرباط وأحيا الجهاد[150] 0

ويذكر اليعقوبى أن مدينة القيروان كان عليها سور من لبن وطين، فهدمه زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، ويذكر أن شربهم من ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المؤاجل، فمنها شرب السقاه، ولهم واد يسمى وادى السراويل فى الناحية القبلية من المدينة، يأتى فيه ماء مالح لأنه فى سباخ الناس يستعملونه فيما يحتاجون إليه[151] 0

ولما قتل عقبة على يد البربر ومعه أبى المهاجر دينار انسحبت الجيوش الإسلامية من القيروان إلى برقة إلا أن سلطان الإسلام استمر وعادت القيروان مرة أخرى إلى المسلمين على يد زهير بن قيس لتواصل القيام بدورها الحضارى والفكرى الذى ارتبط باسمها منذ نشأتها فى القرن الأول الهجرى[152] 0

7- مدينة واسط 83-86هـ / 702-705م

يذكر أنها سميت بذلك لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منها خمسين فرسخا ويذكر أنه كان قبل عمارة واسط هناك موضع يسمى واسط قصب، فلما عمر الحجاج مدينته سماها واسط باسمها، وقد شرع الحجاج في عمارة واسط سنة 84هـ وكانت عمارتها في عامين ففرغ منها سنه 86هـ في العام الذي مات فيه عبد الملك بن مروان [153]، وتقع مدينة واسط اليوم إلى الجنوب الشرقي من بلدة الحي في محافظة واسط على بعد 15كم، وتدعى بين سكان المنطقة بالمنارة نسبة إلى بقايا إحدى المنارتين اللتين تحيطان بمدخل فخم من الناحية المعمارية والزخرفية، ومن المرجح كما يذكر د.عيسى سلمان أنه مدخل المدرسة الشرابية أو الأقبالية التي شيدها شرف الدين أقبال

الشرابي ببغداد في عام 628هـ/1230م، وهي المدرسة التي أشرف على عمارتها شمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد وكيل الخليفة المستنصر بالله [154] 0

وكان الحجاج بن يوسف قد رغب في بناء مدينة جديدة، تسهل عليه إدارة العراق بعد أن أحس أنه من الصعب عليه الاستمرار في حكم العراق، فأرسل إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يستأذن في عمارتها، فأذن له الخليفة بذلك، قال الطبري في أحداث سنة 83هـ /702م وفي هذه السنة بنى الحجاج واسطا[155]

وقال ابن تغرى بردى فيما يتعلق بالاسم عند ذكره السنة الثالثة عشرة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهي سنة 78هـ " وفيها فرغ الحجاج بن يوسف، وانما سميت واسط لأنها بين الكوفة والبصرة، منها إلى الكوفة خمسون فرسخا وإلى البصرة كذلك"[156] 0

وقد ذكر د0عيسى سلمان [157] أن هجر وخراب هذه المدينة الهامة يرجع إلى عامل رئيسي يتمثل في تغيير مجرى نهر دجلة، وقد تم أختيار موقع واسط بعناية بالغة فهي عبارة عن بقعة مرتفعة عن مستوى سطح النهر، هواؤها عذب، وطعامها سائغ على دجلة، وهي تتوسط العراق أو المدن الهامة فيه مثل البصرة، والكوفة والمدائن لذلك عرفت بواسط [158]

هذا وقد اختلفت الآراء من قبل المؤرخين والجغرافيين حول تاريخ الابتداء في إنشاء مدينة واسط حيث ذكر أن الابتداء كان في عام 78هـ/697م، وذكر أن الابتداء كان في عام 83هـ/702م، وأن الفراغ كان في عام 86هـ/705م، ويرجح د0عيسى سلمان أن التاريخ الثاني هو الصحيح، وهو التاريخ الذي تقدم ذكره عند ذكر نص الطبري، ثم أن ابن الأثير ذكر في أحداث سنة83 هـ/702م ما نصه" وفي هذه السنة بني الحجاج واسطا"[159]

وعلى الرغم من أن تخطيط واسط يعد استمرارا لتخطيط البصرة والكوفة إلا أن تخطيط واسط يمثل مرحلة أكثر تطورا نتيجة تغير الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية للدولة العربية الإسلامية، لذا فإن هذا التطور يرتبط ارتباطا وثيقا بطبيعة هذه الفترة من تاريخ المجتمع العربي الإسلامي[160]0

أمر الحجاج بن يوسف بتشديد دار الإمارة أو القصر والمسجد الجامع في قلب المدينة وترك حولها فاصلا يفصلها عن الأسواق والدور والخطط، وأمر أن يشغل القصر

مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها 400ذراع، وأن يكون هذا القصر ملاصقا للمسجد الجامع الذي جاء أيضا من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها 200ذراع، كما أمر أن يكون القصر بمثابة مركز المدينة أي يتوسطها تماما بحيث تؤدي إليه أو تتقاطع عنده الشوارع الرئيسية الأربعة التي تفصل بين خطط الناس في المدينة، وجعل خطط الناس بين هذه الشوارع الرئيسية (161) 0

وقد أفرد الحجاج الخطط لأصحاب المهن كل على حسب مهنته، وأفرد خطط أهل الشام وأهل البصرة والكوفة، وجعل الأسواق تفصل بين الخطط وقلب المدينة، أما فيما يتعلق باستخدامات المدينة الحربية، فقد ذكر أن الحجاج حصن المدينة بسوريين وخندق، وذكر أن أحاطها بسور وخندقين، وأمر أيضا أن تقام الأبواب الحديدية في مداخل المدينة، وأن تغلق ليلا لكي لا يسمح لغير أهلها المبيت فيها، ويضيف د0عيسى سلمان أن بناء المدينة كلف الحجاج خراج العراق لمدة خمس سنوات(162)0

ونلمس التطور الذي طرأ على تخطيط وعمارة مدينة واسط مقارنة بتخطيط وعمارة البصرة والكوفة في زيادة سعة دار الأمارة أو القصر على سعة المسجد الجامع، وجعلها تمثل مركز المدينة بعد أن كان المسجد الجامع يمثل هذا المركز في مدينتي البصرة والكوفة، وقد صارت دار الأمارة تعرف بقصر الحجاج، وعرفت بقبتها الخضراء التي كانت ترى من مسافات بعيدة0

ويرجح د0عيسى سلمان أن الحجاج بن يوسف قد تأثر بشكل مباشر في تحديد سعة القصر بما كان في دار الأمارة بالكوفة في العصر الأموي، حيث وسعت الدار وصار طول ضلع سورها الخارجي 176مترا، بينما كان طول ضلع المسجد 103مترا، ويعكس هذا التوسع ازدياد عدد أفراد الجهاز الإداري، وتنوع المهام حبث جعلت دار السك ضمن قصر الحجاج(163)0

كما يمكن أن نلمس التطور في خطط المدينة، حيث جاءت غير قبائلية، بل مهنية وإقليمية تختلف عن خطط البصرة والكوفة ،ويمتد هذا التطور إلى التخطيط أيضا فقد قسمت واسط إلى أربعة أرباع تفصلها شوارع مستقيمة تنتهي في مركز المدينة، أما في مدينتي البصرة والكوفة فقد كانت الشوارع الرئيسية بعدد خطط القبائل تقريبا، كذلك من

مظاهر التطور أيضا تحصين المدينة بسورين وخندق أو بخندقين وسور، وهي الاستحكامات الحربية التي خلت منها البصرة والكوفة لأنهما كانتا مراكز انطلاق بالدرجة الأولى، أما واسط فصارت مركزا إداريا، حيث استقرت مبادئ الدين الجديد في البلاد، كذلك اختيار الموقع، حيث لم يراع فيه قضية المانع الطبيعي بين المدينة الجديدة، وحاضرة العالم العربي الإسلامي[164]0

المسجد الجامع بواسط:

يشغل مساحة مربعة أبعادها 104.5x103.5 م وشيد البناء بالطابوق والجص وسمك الجدار 205م تقريبا وكانت سقوفه ترتكز على أعمدة أسطوانية من حجر رملي وتتميز الأعمدة بزخارفها النباتية والهندسية المحفورة عليها وكان تخطيط المسجد في عهد الحجاج بن يوسف من صحن مستطيل وأربعة أروقة أكبرها وأعمقها رواق القبلة[165]، وكان الدخول إليه يتم من أحد عشر بابا جدد هذا الجامع سنة 400هـ/1010م بدون إحداث زيادة بغرض تصحيح قبلته حيث كانت منحرفة بمقدار 34درجة عن الخط القبلى الصحيح، ثم هدم المسجد مرة أخرى في عام 550هـ/1155م وأعيدت عمارته على نفس المساحة وبنفس التخطيط[166]

القصر:

اهتم الحجاج بن يوسف الثقفي اهتماما خاصا بدار الأمارة التي كانت تعرف بقصر الحجاج فجعلها تمثل قلب المدينة بحيث تؤدي إليها أو تتقاطع عندها الشوارع الرئيسية الأربعة التي تفصل بين خطط الناس في المدينة، وجاءت هذه الدار في مساحتها ضعف مساحة المسجد الجامع، وذكر أنه أسند تخطيط وعمارة القصر إلى أثنين من المهندسين هما القاسم بن أنبار وأبو شعيب ابن الحجاج وكان طول ضلع الدار حوالي 200م وأنها مربعة الشكل وكانت مشيدة بالطابوق والجص مثل المسجد الجامع [167]

أشتهر قصر الحجاج بقبته العالية الخضراء وكانت تشاهد من مسافات بعيدة وتشتمل الدار على حديقة واسعة وبركة ماء، وكان يتوصل إليها من خلال أربعة أبواب يؤدي كل منها إلى طريق عرضه ثمانون ذراعا وهي الطرق الرئيسية التي تخترق خطط المدينة، فيكون القصر قلب المدينة [168]

وأنفق الحجاج على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف ألف درهم0

8- قرطبة :[169]

تعتبر مدينة قرطبة من أقدم المدن فى شبة الجزيرة الأيبيرية، وكانت تعرف باسم كوربا (Carduba) وقد حظيت بقسط وافر من الشهرة فى العصور القديمة، فيذكر القرى أن بناءها كان قبل ميلاد المسيح بثمان وثلاثين سنة[170] ونالت قرطبة عناية فائقة من حكام المسلمين بالأندلس 0

اتخذ الفاتحون المسلمون للأندلس من قرطبة دارا للإمارة منذ سنة 97هـ/712م، واهتم بها ولاة الأندلس كما اهتم بها الخلفاء الأمويون فى الشام، فعلى سبيل المثال أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ببناء جسر قرطبة الشهير على نهر الأعظم بالمدينة ذلك الجسر لم يعرف فى الدنيا مثله[171] 0

وكانت ولاية عبد الرحمن الداخل للأندلس نقطة تحول فى تاريخ قرطبة، فقد أولاها عناية واهتماما كبيرا حتى أصبحت قرطبة مركزا من أهم مراكز الإشعاع الحضارى فى أوربا، وتمتعت فى ظل بنى أمية بمكانه مرموقة فى الحياة الفكرية[172] 0

وقرطبة مدينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة ورحاب فسيحة ولها بابان يشرعان فى سور المدينة إلى الطريق الآخذ على الوادى من الرصافة – مساكن أعالى ربضها – وابنيتها متشابكة مستديرة على البلد من شرقه وشماله وغربه، والأسواق والبيوع والخانات والحمامات ومساكن العامة بربضها بجانبها ومسجد جامعها جليل عظيم والحبس منه قريب، وقرطبة بائنة بذاتها عن مساكن أرباضها – أحياءها – وهى مستديرة حصينة وسورها من حجر، ولقرطبة سبعة أبواب حديد، وهى فخمة واسعة[173]0

وقد ذكر أن مساحتها التى تدار حولها السور تبلغ ألف وستمائة ذراع، واتصلت العمارة بها أيام بنى أمية ثمانية فراسخ طولا وفرسخين عرضا، وذلك من الأميال أربعة وعشرون فى الطول وستة أميال فى العرض، وهذه المساحة عبارة عن ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادى الكبير[174] 0

ووصف العلماء قرطبة فقالوا : هى مدينة أزلية من بنيان الأوائل، طيبة الماء والهواء، أحدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل جانب، وهى المحرث العظيم الذى ليس له فى بلاد الأندلس نظر ولا أعظم من بركة[175] 0

ويذكر عن أرباض – أحياء – قرطبة أنها كانت عديدة وهى عبارة عن محلات سكنية متكاملة، بنيت لها أسوار خاصة بها، كانت تربطها بأسوار المدينة الأصل، فتحت لها الأبواب التى تيسر الاتصال بين المدينة وأرباضها المختلفة، واشتمل كل ربض على التكوينات المعمارية التى تستلزمها حياة سكنية[176] 0

ومثال لهذه الأرباض هى : ربض شقنده – ربض حوانيت الريحان، ربض مسجد الكهف، ربض مسجد الروضة، ربض باب اليهود – ربض الرصافة، ربض البرج، ربض الزهراء، ربض المدينة العتيقة[177] 0

ومن قصورها المشهورة : الكامل والمجدد والحائر والروضة والزاهر والمعشوق والمبارك، والرستيق وقصر المسرور والتاج والبديع[178] 0

أما قصر الخلافة فقد وصف بأنه "أول تداوله ملوك الأمم من عهد موسى النبى عليه السلام، وفيه من المبانى الأولية والآثار العجيبة لليونانيين ثم للروم والقوط والأمم السالفة ما يعجز عنه الوصف، ثم ابتدع الخلفاء من بنى مروان فى قصرها البدائع الحسان، وأثروا فيها الآثار العجيبة والرياض الأنيقة، وأجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المساحات البعيدة، تمونوا المؤن الجسيمة حتى أوصلوها إلى القصر الكريم وأجروها فى كل ساحة من ساحاته وناحية من نواحيه فى قنوات الرصاص تؤديها إلى المصانع – الخزانات – صور مختلفة الأشكال من الذهب الإبريز والفضة الخالصة والنحاس المموه إلى البحيرات الهائلة والبرك البديعة والصهاريج العذبة فى أحواض الرخام الرومية المنقوشة العجيبة[179] 0

عاشت قرطبة منارة للعلم والفكر الإسلامى أسهم العديد من علماؤها فى كثير من مجالات العلم والفكر، ومن خلالهم انتقلت العلوم إلى أوربا، وظلت تقوم بهذا الدور الحضارى العظيم إلى أن إنهارت الخلافة وقامت على أنقاضها ممالك الطوائف، وكانت نكسة عنيفة لوحدة الأندلس، واندثرت قرطبة باسترداد المسيحيين لبلاد الأندلس، وحين

دخلوا حاضرة الخلافة الإسلامية وحولوا مسجدها الجامع الكبير إلى كنيسة ما يزال تحمل اسمه فتعرف بكنيسة الجامع[180] 0

9- العسكر (133هـ/750م):

بعد هزيمة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وقتله فى بوصير أصبحت الخلافة خالصة لبنى العباس، عندئذ أمر صالح بن على الذى قاد الجيش العباسى فى هذا الصدام بالبناء، فبنوا العسكر فى المكان المعروف بالحمراء القصوى، الواقعة شمال شرقى الفسطاط والتى كان يسكنها الروم الذين قدموا مع عمرو بن العاص 0

وكانت خطة بنى الأزرق وبنى روبيل وبنى يشكر وبنى جزيلة، ثم اندثرت هذه الخطط حتى صارت صحراء جرداء [181]، وكان حد هذه المدينة من الجنوب عند كوم الجارح ومن الشمال قناطر السباع أمام المشهد الزينبى، ومن الغرب قناطر السد[182] 0

وقد أنشئت العسكر اما لرغبة العباسيين فى أن يتخذوا لأنفسهم مقرا لم يسبق إليه غيرهم، واما لأن مروان بن محمد كان قد أحرق جانبا كبيرا من الفسطاط[183]،وأسست هذه المدينة أصلا لإيواء العسكر العباسى فسميت بالعسكر[184]

شيد الصالح بن على بالعسكر دار للإمارة، ظل ينزلها الولاة العباسيون وكان بعضهم يسكن الفسطاط إلى جانب العسكر[185] 0

وبعد تأسيس العسكر بقليل ورد كتاب أبى جعفر المنصور على يزيد بن حاتم والى مصر سنة 146هـ / 763م يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط[186] كذلك شيد بها الفضل بن صالح بن على مسجدا جامعا سنة 169هـ / 785م، وتم تجديد المسجد الجامع بالعسكر فى عهد والى مصر عبد الله بن طاهر ولم يكتب له البقاء طويلا حيث إندثر وعرف بجامع العسكر[187] 0

والعسكر ثانى عواصم مصر الإسلامية، وأصبحت مقرا لشرطة خاصة غير شرطة الفسطاط، عرفت بالشرطة العليا باعتبارها تقع شمالا، فى حين كان يطلق على شرطة الفسطاط اسم الشرطة السفلى لأنها كانت تقع جنوبا بل أن صاحب الشرطة السفلى فى الفسطاط كان أعظم شأنا وأكثر اختصاصا من نظيرة فى العسكر باعتباره حاكم القسم الرئيسى الأصيل فى الحاضرة[188] 0

ولما قدم أحمد بن طولون إلى مصر سكن العسكر مدة ثم تحول عنها إلى مدينة القطائع، وخلال عهده بنى بها مارستانه بالقرب من بركة قارون[189] 0

وأنفق على بنائه ستين ألف دينار، وأخذ الجزء الأكبر منه من الكنز الذى عثر عليه فى تنور فرعون، وأوقف عليه عدة أماكن لضمان استمراره، وشرط ألا يعالج فيه جندى مملوك، كما شرط أنه إذا جئ بالعليل تنزع ثيابه، ويودع ما معه من المال عند أمين البيمارستان وتقدم له ثياب خاصة من البيمارستان، ويخصص له الدواء مجانا حتى يتم شفاءه[190] 0

وكان أحمد بن طولون حريصا على تفقد البيمارستان وزيارته يوم الجمعة من كل أسبوع، حيث يطوف على خزائن الأدوية ويتفقد أعمال الأطباء ويشرف على سائر المرضى من المجانين حتى غافلة فى يوم أحدهم ورماه برمانه عريشية كبيرة كادت تقضى عليه، فلم يعاود النظر فى البيمارستان بعد ذلك[191] 0

وفى عهد خمارويه تحولت المدينة إلى ديوان للخراج، ولما زالت دولة بنى طولون وخربت القطائع عاد ولاة مصر ينزلون بدار الإمارة بالعسكر إلى أن قدم القائد جوهر الصقلى من المغرب وبنى القاهرة المعزية سنة 358هـ / 969م، فتحول مركز الحكم إليها[192] 0

وكان من أهم الدور التى بنيت بالعسكر بجانب دار الإمارة:

دار كافور الأخشيدى : يذكر المقريزى أنه بناها بالعسكر على بركة قارون، وقد أنفق عليها مائة ألف دينار، وسكنها سنة 346هـ / 957م ثم انتقل منها بعد أيام لوباء وقع فى غلمانه من بخار البركة[193] 0

قبة الهواء : وهى دار شيدها حاتم بن هرثمة والى مصر (194-195هـ/809-810م) من قبل الخليفة العباسى الأمين – على جبل المقطم، وقد استمرت قائمة حتى عصر الطولونيين، وقد شيدها من الحجارة وغيرها من مواد البناء[194] 0

10- بغداد145 هـ /762م:

بغداد[195] هى دار السلام، وأزهى مدن الزمان بناها الخليفة أبو جعفر المنصور لتكون مقر حكمه وعاصمة ملكة، ومعقل جنده ومأمن أهله وخاصته، وذلك لأن العباسيين

حالفوا خراسان فى أول الأمر، لكنهم لم يجعلوا مقرهم فيه، فابتعدوا عن القطر الذى قوى شأنهم وعضد أمرهم، ثم أنهم لم يستقروا فى الكوفة، لأنهم لا يأمنون أهل الكوفة حيث كانوا قد أفسدوا الجند العباسيين[196] 0

وكان السفاح قد بنى مدينة قرب الأتبار وسماها الهاشمية، فلما كان زمن أبى جعفر المنصور ووقعت واقعة الراوندية فيها كره المنصور سكناها لذلك وأيضا لمجاورة أهل الكوفة[197] 0

لم ترق الهاشمية لهم أيضا فأخذ أبو جعفر المنصور يبحث عن مكان يبنى فيه مدينة جديدة تكون مقر حكمه وعاصمة ملكه، وسار حتى أتى الموصل، ثم أرسل جماعة من الحكماء، وذوى اللب والعقل، وأمرهم بارتياد موضع، فاختاروا له موضع يصلح أن يكون عاصمة للدولة العباسية فذهب إلى هناك واعتبر المكان ليلا ونهار ما ستطابه وبنى به مدينته[198] 0

وتروى المصادر أهمية المكان الذى وقع عليه الاختيار لبناء بغداد، حيث نبهه بعض العقلاء النصارى على فضيلة مكانها فقال : "يا أمير المؤمنين تكون المدينة على الصراه بين دجلة مع الفرات فإن حاربك أحد كانت دجلة والفرات خنادق لمدينتك، ثم أن الميرة تأتيك فى دجلة من ديار بكر تارة، ومن البحر والهند والصين والبصرة تارة أخرى، وفى الفرات من الرقة والشام وتجيك الميرة أيضا من خراسان وبلاد العجم فى شط تامرا، وأنت يا أمير المؤمنين بين أنهار لا يصل عدوك إليك إلا على جسرا أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر أو خربت القنطرة لم يصل إليك عدوك، وأنت متوسط للبصرة والكوفة وواسط والموصل والسود، وأنت قريب من البر والبحر والجبل[199] 0

هذا من حيث موقع المدينة أما من حيث مخططها ففيه يتجلى ذكاء كبير، حيث جاء تخطيط بغداد مما استحدث فى تخطيط المدن الإسلامية، فقد جعلها أبو جعفر المنصور مدوره، وأقام بمركزها قصر الخلافة، وإلى جانبه الجامع الذى سمى بجامع المنصور[200] 0

وضع المنصور بيده أول لبنه وقال : "بسم الله والحمد لله 0 الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين" ثم قال ابنوا واستغرق بناء المدينة عاما كاملا، فابتدأ بها فى سنة

خمس وأربعين ومائة، وتمها فى سنة ست وأربعين ومائة، وجعل لها أربعة أبواب هى باب خراسان، وباب الشام، وباب الكوفة، وباب البصرة[201]

جعل المنصور بين كل باب من أبوابها والباب الآخر ميل، وبجانب كل باب أبنية كبيرة لإقامة الفرق العسكرية، والأبواب الأربعة تقضى جميعا إلى الساحة الواقعة فى المركز[202] عند قصر الخلافة، حيث كان الخليفة يستطيع أن يراقب هذه الشوارع جميعا من قصره وأن يعرف ما يجرى فيها، وقد بنى المنصور فيها الخضراء فوق ايوان، وكان ارتفاعها ثمانين ذراعا، وهى تاج بغداد ومأثره من مآثر بنى العباس، ويذكر ابن طبطبا أن تكاليف بناء المدينة بلغت أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثين درهما[203] 0

اهتم المنصور عند تخطيط بغداد بالمرافق الهامة وخاصة الأسواق حيث عمل على توفيرها فى كل ربض من أرباض المدينة، وذكر اليعقوبى أنه حدد لكل أصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الأذرع ولمن معه من أصحابه وما قدره الحوانيت والأسواق فى كل ربض، وأمرهم أن يوسعوا فى الحوانيت، ليكون فى كل ربض سوق جامعة، تجمع التجارات[204] 0

وحدد لهم المنصور أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعا بالسوداء، والدروب ست عشره ذراعا، وأن يبتنوا فى جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفى بها من فى كل ناحية ومحله[205] 0

وعمرت المدينة وازدحمت بالناس ومن ثم اقطع الخليفة قواده وعماله القطائع خارج أسوار بغداد، حيث رأى المنصور أن ينقل التجار خارجها محافظة على أمنها ونظافتها وتوفير الهدوء فيها، وأنشأ " الكرخ" ليضم التجار جميعا، وكان تخطيطه مثالا جيدا يعكس المستوى الذى وصل إليه تخطيط الأسواق حيث حدد لكل أهل تجارة مكانها، وفصل بين أهل التجارات والحرف فخصص لكل حرفة أيضا منطقة خاصة بها[206] ونتيجة لازدحام بغداد أمر المنصور ببناء الرصافة وجعلها ثكنات للجيش[207] 0

وكانت بغداد جنة الدنيا، ومدينة السلام، وقبة السلام، ودار الخلافة، ومجمع الرافدين، وعزة البلاد/ومعدن الظرائف واللطائف والمحاسن والطيبات، ولها أرباب الغايات فى كل فمن، وآحاد الدهر فى كل نوع[208] 0

ويذكر اليعقوبى أنها ليست كالشام الوبيئة الهواء الضيقة المنازل، الحزنة الأرض، المتصلة الطواعين الجافة الأهل، ولا كمصر المتغيرة الهواء، الكثيرة الوباء التى أنما هى بين بحر رطب عفن، وبين جبل اليابس، ولا كأفريقيا البعيدة عن جزيرة الإسلام، وعن بيت الله الحرام، الجافية الأهل الكثيرة العدد، ولا كأرمينية النائية، الباردة، الصردة الحزنة، ولا مثل كور الجبل الحزنة، الخشنة المثلجة، ولا كأرض خراسان الطاعنة فى مشرق الشمس، ولا كالحجاز النكدة المعاش، الضيقة المكسب، التى قوت أهلها من غيرها 0 ولهذا كانت بغداد أفضل البلدان، ولذا نزلها الناس وسكنوها[209] 0

هذا وقد اهتم خلفاء بنى العباس ببغداد اهتمام بالغا، وازدهرت العاصمة العباسية وكانت من أعظم حوادر العالم، كما كانت منارة للعلم والمعرفة، ومركزا للفكر والثقافة امتدت إشعاعاته الحضارية لتضئ الدنيا، ولا سيما النهضة العلمية والفكرية التى شهدتها المدينة خلال عصر المأمون، فقد استطاع علماء بغداد وأساتذتها نقل الكثير من العلوم الإنسانية القديمة[210] 0

11- القطائع256هـ /869م :

أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع سنة 256هـ / 869م فى المنطقة الواقعة بين جبل يشكر حد الفسطاط الشمالى، وبين سطح المقطم، وكان هذا الموقع يعرف بقبة الهواء[211]، وذلك بعد أن استمر بدار الإمارة التى بالعسكر فترة حتى كثرت عساكره وعبيده، وضاقت بهم المدينة، فحرت قبور اليهود والنصارى التى فى سطح جبل يشكر، وبنى مدينة شرقى مدينة الفسطاط[212]، وسماها "القطائع" لتكون مركزا لحكمة وقصرا لجنده وحاشية الذين اقتسموها، وسميت كل قطعية باسم من سكنها، سواء من تجمعهم رابطة الجنسية، أو رابطة العمل فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم، وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم، وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم، ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم[213]0

كما جعل ابن طولون قطائع خاصة للحرف والتجارات، مثل سوق الطباخين وسوق الصيادين، وسوق الصيارفة والخبازين، ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوقا حسنا وأمر غلمانه أن يختطوا به[214] 0

وكان تأسيس ابن طولون لهذه المدينة مرتبطا بضرورة ابعاد جيش غير المتجانس عن الأحياء العربية المصرية، وتجنب ما يمكن حدوثه من الشغب بسبب اختلاط جنده بالتجار وغيرهم من عامة الشعب، على نحو ما حدث لجند الخليفة المعتصم بالله فى بغداد، وكان سببا فى إنشاء مدينة سامراء[215] 0

وكانت مساحة القطائع ميلا مربعا وشيد بها ابن طولون مسجده المعروف على جبل يشكر ويذكر أن الإنتهاء من المسجد كان فى سنة 265هـ /879م كما يتضح من بقايا اللوحة التأسيسة التى بداخلة وهى لوحة مثبتة على إحدى دعامات المسجد ومنقوشة بالخط الكوفى جاء فيها " أمر الأمير أبو العباس أحمد ابن طولون ببناء هذا المسجد المبارك الميمون من خالص ما أفاء عليه وطيبة لجماعة المسلمين ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة فى شهر رمضان من سنة خمس وستين ومائتين (مايو 879م)[216] 0

ويعد جامع ابن طولون من أكبر جوامع مصر الإسلامية مساحة إذ يغطى مع الزيادات التى تحيط به من الشمال والجنوب والغرب ما يقرب من ستة أفدنة ونصف تأخذ شكلا مربعا حوالى 138 × 118م على حين ترتفع الجدران من منسوب أرضية الأروقة الداخلية إلى قمة شرفاته العليا إلى ما يقرب من ثلاثة عشر مترا[217] 0

زود المسجد بإثنين وأربعين بابا، وزعت توزيعا متناسبا على طول اكتداد وجهات المسجد وعلى جدران الزيادات التى تحف به من ثلاث جهات، ولعل السبب فى كثرة هذه الأبواب يرجع إلى الرغبة فى تسهيل عملية الدخول والخروج من المسجد نظرا لاتساع رقعته[218]، أو لكثرة المساكن والأسواق التى كانت مشيدة حول ساحته الخارجية[219] 0

وتتميز منارته التى شيدت من الحجر خارج المسجد بأنها الوحيدة فى مصر ذات السلم الخارجى وهى تتألف من قاعدة مربعة التخطيط تعلوها منطقة اسطوانية وفوقها مثمن علوى يحمل مثمن آخر أصغر منه ويتوجه قبة صغيرة مضلعة تعرف فى المصطلح المعمارى المحلى باسم المبخرة يبلغ ارتفاع قامتها عن أرضية عن أربعين مترا[220]، ويصعد إليها عن طريق سلم خارجى يرتقى فى عكس اتجاه عقارب الساعة كما يربطها بسطح المسجد الجامع قنطرة حجرية ترتكز على عقدين على شكل حدوة الفرس[221] 0

كانت القطائع أول مدينة بمعنى الكلمة أنشئت بوادى النيل فى العصر الإسلامى ولم يقض إنشاء القطائع على العسكر أو الفسطاط فلم تكن كل من القطائع والعسكر إلا ضاحيتين للفسطاط أو امتداد لها[222] 0

وقد عمرت القطائع عمارة حسنة كما يقول البلوى وتفرقت فيها السكك والأزقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران وسميت أسواقها كما ذكرنا، فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن[223] 0

وكانت أهم الدور التى بنيت فى القطائع فى الدولة الطولونية الآتى :

- **قصر أحمد بن طولون** : بنى أحمد بن طولون قصره ووسعه وحسنه وألحق به ميدانا فسيحا يضرب فيه بالصوالجة[224] فسمى القصر كله بالميدان، وكان كل من أراد الخروج من صغير أو كبير ،ذا سئل عن ذهابه يقول إلى الميدان، وقد عمل ابن طولون للميدان تسعة أبواب لكل باب اسم خاص به مثل :

- باب الميدان : ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش 0
- باب الصوالجة0
- باب الخاصة : لا يدخل منه إلا خاصته 0
- باب الجبل : كان يلى جبل المقطم 0
- باب الحرم : لا يدخل منه إلا خادم خاص أو حرمه 0
- باب الدرمون : نسبة إلى أحد الحجاب 0
- باب دعناج : نسبة إلى حاجب كان يسمى دعناج 0
- باب الساج : عرف بذلك لأنه كان مصنوعا من خشب الساج 0
- باب الصلاة : فى الشارع الأعظم ويعرف أيضا بباب السباع لأنه صور عليه سبعان من جبس، كما كان يعلوه مجلس يشرف منه ابن طولون فى ليلة العيد على القطائع ليرى أفراد جيشه وتأهبهم وتصرفهم فى حوائجهم، وكان يشرف منه على النيل أيضا[225] 0

ولم تكن هذه الأبواب تفتح كلها إلا فى أيام الأعياد أو يوم عرض الجيش أو يوم الصدقة[226] أما باقى الأيام فإن هذه الأبواب كانت تفتح فى وقت محدد وتغلق فى وقت

محدد أيضا، وقد زاد خمارويه فى هذا القصر الذى بناه أبوه ووسع فيه إلى أبعد الحدود، وأضاف إليه قصرا جديدا خصصه لزوجات أبيه وأفرد لكل واحدة منهن جناحا خاصا[227] 0

الدكة : بناها خمارويه وهى عبارة عن قبة تضاهى قبة الهواء، وجعل لها الستور التى تقى الحر والبرد، فتسدل إذا شاء وترفع إذا أحب، وفرش أرضها بالفرش وعمل لكل فصل فرشا يليق به، وكان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى قصره من البساتين والصحراء والنيل والجبل والمدينة[228] 0

بيت الذهب : بنى فى زمن خمارويه وكان عبارة عن مجلسا داخل داره سمى بيت الذهب لأن جدرانه طليت بالذهب واللازورد، وجعل فيه قامة ونصف نقوشا بارزة من الخشب تمثل حظاياه والمغنيات نقشت ثيابهن بأصناف الجوهر، وفى أذانهن الأجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة فكان هذا البيت من أعجب مبانى الدنيا[229] 0

بركة الزئبق : أقام خمارويه أمام القصر بركة طولها خمسون ذراعا فى خمسين ذراعا، ملأت بالزئبق للاسترخاء، ليخلص مما أصابه من الأرق وجعل عليها سرير من آدم يحشى بالهواء لينام عليه شد بخيوط من حرير إلى عمد من فضة، كان يرى لها فى الليالى المقمرة منظرا عجيب إذا تآلف نور القمر بنور الزئبق[230] 0

وقد خربت القطائع على يد محمد بن سليمان الكاتب خلال عهد الخليفة المكتفى بالله (289-295هـ) حنقا على بنى طولون وذلك سنة 292هـ/904م وأبقى الجامع[231] 0

12- القاهرة 359هـ /970م :

ظلت مدينة الفسطاط عاصمة لمصر، وكانت مدينة الإقليم منذ الفتح الإسلامى لمصر، وكانت منزل الأمراء وكثر الناس بها وزادت عمارتها، ثم لما انقضت الدولة الإخشيدية فى مصر سنة (323-358هـ/935-969م) واختلت أحوال مصر بسبب الوباء والفناء، وسار الجيش الفاطمى بقيادة جوهر الصقلى إلى مصر واستولى على الفسطاط من بقايا الإخشيديين، واختط مدينة القاهرة[232] 0

وعدد المقريزى موضع القاهرة فيذكر : أنها كانت رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس عند مسيرتهم من الفسطاط إلى عين شمس وهو موقع إلى الشمال من الفسطاط ويحدها من الشرق جبل المقطم ومن الغرب خليج أمير المؤمنين[233] 0

قرر جوهر تأسيس القاهرة لتكون مدينة ملكية حصينة للخليفة وأتباعة، كما اختط القصر الفاطمى الذى أعده ليستقبل فيه مولاه المعز لدين الله، وكان قصر الخليفة وسطها محصنا بأبواب محددة[234] وبنى جوهر سورا خارجيا من اللبن على هيئة مربع طول كل ضلع من أضلاعه 1200 متر[235] 0

وأراد جوهر أن يحصن المدينة وأن يعوق فى الوقت نفسه عامة الشعب فى كل من الفسطاط والعسكر والقطائع الوصول إلى القاهرة، وقد كان محظورا على أى فرد اجتياز أسوار القاهرة إلا إذا كان من جند الحامية الفاطمية أو من كبار موظفى الدولة، وكان الدخول إليها لا يتم إلا بعد الحصول على تصريح خاص[236] وعن طريق الأبواب الثمانية جنبا إلى جنب[237]، وأبواب القاهرة هى اثنان من السور الشمالى هما باب الفتوح وفى شرقه باب النصر 0

باب زويلة فى السور الجنوبى، وفى الغرب منه باب الفرج 0

بابا الضلع الشرقى هما باب البرقية، وباب القراطين[238] 0

وفى الضلع الغربى كان يوجد بابان هما باب القنطرة وباب السعادة[239] 0

وكان لموقع القاهرة مميزات عديدة يأتى فى مقدمتها أن نهر النيل يحيط بضاحيتها الفسطاط من الغرب، وأتاح ذلك لسكانها فرصة إقامة العديد من القصور على شاطئ النيل[240]، كما كانت محصنة بحصون طبيعية كجبل المقطم فى الجنوب الشرقى، ونهر النيل فى الغرب، وحصون غير طبيعية تتمثل فى الأسوار التى أقيمت حول المدينة[241] 0

وبصفة عامة فقد دل موقع القاهرة على نظرة صائبة رغم اعتراض المعز لدين الله على اختيار موضعها[242]، فكان بعدها النسبى عن النهر يحميها من خطر الفيضان، ويؤكد ذلك ابن سعيد بقوله : "إن بعد القاهرة عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها 0[243]"

وقد اختط الطريق العام يخترق وسط المدينة من باب زويلة جنوبا ويتصل بمدينة الفسطاط مارا فيما بين القصرين[244] حتى باب الفتوح، وكان يوصل إلى الفضاء الواقع فى الشمال، وكان الجامع الأزهر الشريف إلى الجنوب الشرقى من قصر الخليفة وقد شرع جوهر فى بنائه سنة 359هـ /970م ليكون المسجد الرسمى للقاهرة وذلك بعد أن وضع

أساس المدينة التى حوت الحوانيت والأسواق وبلغ عددها ما لا يقل عن عشرين ألف دكان وكان بها ربط وحمامات وأبنية أخرى[245] 0

وقد عرفت هذه المدينة فى أول الأمر باسم المنصورية تيمنا باسم المنصورية التى أنشأها المنصور بالله ثالث الخلفاء الفاطميين خارج مدينة القيروان بشمال أفريقيا[246]، ولم تعرف بالقاهرة إلا بعد أربع سنوات بعد أن حضر الخليفة المعز إلى مصر ورأى من قراءاته الخاصة للطالع أن هذه التسمية فأل حسن إذ رأى أن اسم القاهرة مشتق من القهر والظفر[247]، ويذكر أن سور القاهرة الذى بناه جوهر لم يعمر أكثر من ثمانين سنة، إذ كان قد تهدم فى عصر المستنصر بالله[248]، فستبدل به بدر الجمالى وزير المستنصر سورا آخر، وذلك بعد أن وسع رقعة القاهرة بمقدار 150 متر إلى شمال السور القديم[249]، وحوالى ثلاثين مترا إلى الشرق ومثلها إلى الجنوب[250]، وقد تم تشييد هذا السور فيما بين سنتى 480-485هـ[251]، وبنى هذا السور من الحجر، وبقى منه ثلاثة أبواب هامة هى : باب النصر، وباب الفتوح، وباب زويلة، وأقدمها باب النصر ويعرف بباب المعز[252] 0

وبعد انتهاء الدولة الفاطمية واستيلاء صلاح الدين على مقاليد الحكم فى مصر سنة 567هـ / 1171م تغيرت صفة القاهرة، فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهورية[253] 0

ومن أهم مبانى القاهرة :

القصر الكبير :

يسمى بالقصر الشرقى لأنه يقع بالقرب من سور القاهرة الشرقى وهو القصر الذى أعده جوهر لنزول الخليفة المعز، فكان يشمل تسعة أبواب [254] وكان يشغل مساحة تقرب من 70 فدانا من جملة مساحة القاهرة التى كانت تبلغ 340 فدانا وكان يتألف من خطط وأحياء تخترقها الطرقات والمسالك التى تفضى إلى أجزائه المختلفة فوق الأرض أو داخل السراديب المارة تحت الأرض، وكانت تضيئه الرحبات الكبيرة غير المسقوفة، أو الأفنية الداخلية الصغيرة[255] 0

القصر الصغير :

كان بالقاهرة عدا القصر الكبير قصر آخر إلى الغرب منه عرف بالقصر الغربى الصغير، شيده الخليفة العزيز بالله ويشغل مكانه اليوم مستشفى قلاوون للرمد، وكل المساكن التى تجاوره إلى شارع الخليج، لذا عرف أيضا بقصر البحر، وكان يشرف على البستان الكافورى ويتحول إليه الخليفة من البركة التى كان يقال لها بطن البقرة أو من البستان المعروف بالفداوية، وغيره من البساتين التى تتصل بأرض اللوق وجنان الزهرى[256]، ووصف المسبحى هذا القصر بأنه "لم يبن مثله فى شرق ولا فى غرب" 0

وكان يتصل بالقصر الكبير الشرقى بواسطة سرداب تحت الأرض كان ينزل منه الخليفة ممتطيا ظهر بغلته، تحيط به فتيات القصر، وكان بين القصر الشرقى الكبير والقصر الغربى الصغير ميدان فسيح كانت تقام فيه حفلات عرض الجيش، حيث يقف فيه عشرة آلاف من العساكر بين فارس وراجل، اشتهر فيما بعد باسم بين القصرين، كما كان هناك ميدان آخر بجوار القصر الغربى يجاور البستان الكافورى المطل على الخليج[257] 0

الجامع الأزهر :

أقام جوهر الصقلى الأزهر إلى الجنوب الشرقى داخل القاهرة وعلى مقربة من القصر الشرقى الكبير فيما بين حى الديلم فى الشمال وحى الترك فى الجنوب، ليكون المسجد الرسمى لمدينة القاهرة، وقد بدأ فى بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة 359هـ / 14 ابريل 970م، وانتهى العمل منه وأقيمت أول جمعة فيه فى السابع من رمضان سنة 361هـ / 22 يونيو 972م، وسمى بالأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء، بنت الرسولﷺ كما سمى بذلك أيضا نسبة إلى اللون الأبيض المزهر الذى تليت به جدرانه، وكتب على دائر القبلة على يمين المحراب ما نصه : "بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الإمام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأكرمين على يد عبده جوهر الكاتب الصقلى وذلك فى سنة ستين وثلثمائة"[258] 0

وكان هذا المسجد وقت إنشائه يشغل مساحة مستطيل تبلغ مقاييسها الخارجية 85 متر طولا و 70 متر عرضا ويتألف من صحن أوسط مكشوف ومستطيل الشكل طوله 59

متر وعرضه 43 متر، وكان الجامع مزود وقت بنائه بثلاث مداخل فى جدرانه الشمالية والجنوبية والغربية[259] 0

حظى الجامع الأزهر بعناية الفواطم وغيرهم حيث عنى بإصلاحه الخليفة العزيز بالله، وعنى بأمر الحاكم بأمر الله الذى جدد مأذنه سنة 400هـ /1001م، كذلك جدد الخليفة المستنصر بالله المسجد أثناء خلافته (427-487هـ)، وجدد الخليفة الآمر بأحكام الله محراب الجامع سنة 519هـ / 1125م[260] 0

وجدد الخليفة الحافظ لدين الله الجامع الأزهر 524-544هـ حيث أضاف إليه بعض الإضافات فى الأروقة والصحن[261] 0

وبسقوط الدولة الفاطمية سنة 567هـ / 1171م أفل نجم الجامع الأزهر حيث بطلت فيه صلاة الجمعة بأمر صلاح الدين الأيوبى واستمر على ذلك حتى عهد الظاهر بيبرس الذى أذن للأمير أيدمر سنة 665هـ / 1266م بإعمار الجامع الأزهر فأعاد ترميمه وأقيمت صلاة الجمعة فى نفس السنة بعد أن عطلت لمدة قرن من الزمان[262] 0

وفى عهد الناصر محمد ابن قلاوون جدد الجامع الأزهر على أثر الزلزال الذى أصابه سنة 702هـ / 1302م، وفى سنة 425هـ / 1340م أضاف إليه الأمير علاء الدين أقبغا استادار السلطان الناصر محمد بن قلاوون مدرسة عرفت باسم المدرسة الأقبغاوية، وجدد عمارة الجامع أيضا سنة 761هـ / 1359م على يد الطواشى سعد الدين بشير الجمدار الناصرى حيث أنشأ على باب الجامع القبلى سبيلا وكتابا[263] 0

وفى عهد السلطان برقوق جدد الجامع الأزهر سنة 792هـ / 1390م وفى سنة 873هـ / 1469م قام السلطان الأشرف قايتباى بهدم الباب الغربى للجامع وأقيمت فوقه المنارة[264] 0

كذلك بعناية السلطان قانصوة الغورى، الذى قام فى سنة 915هـ/1510م ببناء منارة ضخمة ذات رأس مزدوج ما تزال باقية إلى يومنا هذا إلى جوار منارة السلطان قايتباى[265] 0

مصادر ومراجع الفصل السادس

1. **المدينة** : مشتقة من الفعل (مدن) أي أقام، والمدينة الحصن يبنى في أصطحه معظم الشيئ، الأرض، الجمع مدائن، ومدن، **ابن منظور** : لسان، جـ17، ص288، **ابن سيدة المخصص**، جـ6، ص117
2. **ابن حوقل** : المسالك والممالك، ص 15، **المقدسي** : أحسن التقاسيم، ص194، **ياقوت الحموي** : معجم البلدان جـ1، ص150
3. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص51،50
4. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية ،ص 52
5. **اليعقوبي** : البلدان، ص 76
6. **ابن هشام** : السيرة، جـ3، ص128
7. **ابن شبه** : تاريخ المدينة، ص202، عبد القدوس الأنصارى : آبار المدينة ص241
8. **السمهودى** : وفاء الوفا ج3 ص953
9. **ابن شبه** : تاريخ المدينة، ص103
10. **السمهودى** : وفاء الوفا ج3 ص962
11. **الأنصارى** : تاريخ المدينة، ص113
12. **السمهودى** : وفاء الوفا ج3 ص986
13. **ابن الأثير** : الكامل، ج2 ص418
14. **اليعقوبي** : البلدان، ص76
15. **ابن هشام** : السيره، ج3 ص128
16. **المقريزى** : الذهب المسبوك ص30
17. **أحمد الشريف** : دور الحجاز فى الحياة السياسية، ص65-70
18. **السمهودى** : وفاء الوفا ج3 ص1006
19. **سليمان عبد الغنى مالكى** : بلاد الحجاز، ص155
20. **اليعقوبي** : البلدان، ص77

21. **ياقوت الحموي** : معجم البلدان، جـ4، ص 434، **محمد عبد الستار** : المدينة، ص52
22. **الأحزاب: آيه 13**
23. المسافة من المدينة إلى مكة قدرها ياقوت بنحو عشر مراحل، والمرحلة مسيرة يوم، وبالطريق المعبد حاليا حوالي 425ك .م، **ياقوت** : معجم البلدان، جـ7، ص432
24. **ياقوت** : معجم البلدان، جـ7، ص427
25. **بدر عبد الرحمن** : حكومة الرسول في المدينة، ص32
26. **أحمد إبراهيم الشريف** : الدولة الإسلامية الأولى، ص58
27. **ابن هشام** : السيرة، جـ1، ص13
28. **جمال سرور** : قيام الدولة العربية، ص50
29. **بدر عبد الرحمن** : حكومة الرسول في المدينة، ص32
30. **ابن هشام** : السيرة النبوية، جـ1، ص188
31. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص258
32. **ابن شبة** : تاريخ المدينة المنورة، ص202
33. **سليمان عبد الغنى المالكى** : بلاد الحجاز، ص175، 176
34. **سليمان عبد الغني مالكي** : بلاد الحجاز، ص175
35. **السمهودى** : وفاء الوفا، ج2 ص354
36. **السخاوى** التحفة اللطيفة ج1 ص88
37. **إبراهيم رفعت** : مرآة الحرمين ج1 ص420
38. **سليمان عبد الغنى المالكى** : بلاد الحجاز، ص176
39. **جعفر بن السيد إسماعيل المدني** : نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين، مكتبة بن سلم، المدينة المنورة، مكتبة الرفاعي بالقاهرة، ص38
40. **إبراهيم رفعت** : مرآة الحرمين
41. **جعفر بن السيد المدني** : نزهة الناظرين، ص38
42. **ابن سيد الناس** : عيون الأثر، جـ1، ص 195، 230

43. **إبراهيم رفعت** : مرآة الحرمين ج1 ص370
44. **سليمان مالكي** : بلاد الحجاز، ص169
45. **جعفر ابن السيد المدنى** : نزهة الناظرين فى مسجد الأولين ص36
46. **السخاوى** : التحفة اللطيفة، ج1 ص35
47. **السمهودي** : وفاء الوفا، جـ2 ،ص 354
48. **جعفر بن السيد المدني** : نزهة الناظرين، ص36
49. **السخاوي** : التحفة اللطيفة، ص88
50.
51. **محمد عبد الستار عثمان** : المدينة الإسلامية، ص54
52. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص 260، 261
53. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص 56، 57
54. **محمد عبد الستار عثمان** : المدينة الإسلامية، ص 58
55. **ابن سيد الناس** : عيون الأثر، جـ2، ص 258
56. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص261
57. **الكوفة** : تقع قرب الحيرة، وسميت بالكوفة لأستدارتها، أخذ من قول العرب رأيت كوفانا، وكوفانا للرميلة المستديرة، وقيل سميت الكوفة لأجتماع الناس بها من قولهم تكوف الرمل، وقيل الكوفة كل رملة تخالطها حصباء، أنظر **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ،جـ4، ص490، الفيروز أبادي : القاموس المحيط، لسان العرب **لأبن منظور0**
58. **الطبري : تاريخه، جـ3، ص145**
59. **ابن يوسف** : كتاب الخراج ،ص17
60. **الطبري : تاريخه جـ3 ،ص147**
61. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص237
62. **الطبري** : تاريخه ،جـ3، ص148
63. **اليعقوبي** : البلدان، ص96،95
64. **ياقوت** : معجم البلدان، جـ7 ،ص297

65. **محمد عبد الستار عثمان** : المدينة الإسلامية، ص68
66. **الطبري** : تاريخه ،جـ3، ص149، **محمد الخضري** : محاضرات في تاريخ الأمم، ص269
67. **الطبري** : تاريخه، جـ3، ص151
68. **الطبري** : تاريخه، جـ3، ص151
69. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص238
70. **ياقوت** : معجم البلدان جـ7 ، ص299
71. **ياقوت** : معجم البلدان، جـ7، ص 297
72. **محمد الخضري** : محاضرات في تاريخ الأمم، ص 269، **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص239
73. **البصرة** : تعني الأرض الغليظة، أو حجارة فيها بياض، **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ،جـ2 ،ص192
74. **الطبري** : تاريخه، جـ3، ص148، **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص237
75. **الطبري** : تاريخه، جـ3، ص90، **ياقوت** : معجم البلدان، جـ2، ص194
76. **البلاذري** : فتوح البلدان، ص354
77. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص234
78. **ياقوت** : معجم البلدان، جـ2، ص194
79. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص65
80. **البلاذري** : فتوح البلدان، ص345
81. **البلاذري** : فتوح البلدان، ص345
82. **ياقوت** : معجم البلدان، جـ2، ص194
83. **الأبلة** : بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها، أسم لبلد على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، التي مصرت عل أيام عمر بن الخطاب، وكانت الأبلة حينئذ مدينة فيها مسالح من قبل كسري، **ياقوت الحموي** : معجم البلدان، جـ1، ص77،76

84. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص66
85. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص66
86. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص235
87. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص67
88. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص67
89. **البلاذري** : فتوح البلدان، ص358
90. **ياقوت** : معجم البلدان، جـ1، ص199
91. **علي جمعة محمد** : المكاييل والموازين، ص54
92. **الهمداني** : مختصر كتاب البلدان، ص51
93. **المقدسي** : أحسن التقاسيم، ص 114
94. **ابن الفقيهة** : مختصر كتاب البلدان، ص189
95. **البلاذري** : فتوح البلدان، جـ2، ص454
96. **المقدسي** : أحسن التقاسيم، ص128
97. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص 236
98. **الطبري** : تاريخه، جـ3، ص446
99. **اليعقوبي** : البلدان، ص87
100. **اليعقوبي** : البلدان، ص87
101. **محمد حسين** : تاريخ مدينة دمشق ص54، 55
102. **محمد بن أحمد كنعان** : تاريخ الخلافة الراشدة، خلاصة تاريخ ابن كثير، ص123
103. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص236
104. **أحمد شلبي** :موسوعة الحضارة، جـ5، ص110
105. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص264
106. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص91
107. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص91
108. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص286

109. **علي بهجت، والبير جرائيل** : كتاب حفريات الفسطاط، ص39
110. **ناصر خسرو** : سفر نامة ص58
111. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص91، **ابن سعيد** : المغرب، جـ1، ص39، **السيوطي** : حسن، جـ1، ص130
112. **عبد الرحمن زكي** : الفسطاط وضاحيتها، ص 5
113. **القلقشندي** : صبح، جـ3، ص326
114. **الجواليقي** : المعرب من الكلام الأعجمي، ص 249
115. **سيدة كاشف** : مصر في فجر ٱسلام، ص217
116. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص104، **فريد شافعي** : العمارة العربية، جـ1، ص353
117. **محمد عبد الستار** : المدينة، ص69
118. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص286
119. **محمد عبد الستار** : المدينة الإسلامية، ص 69
120. **عبد الرحمن زكي** : خطط الفسطاط، ص57-59
121. **محمد عبد الستار** : المدينة، ص69
122. **ابن دقماق** : الأنتصار، جـ4، ص 19، 36، **اليعقوبي** : البلدان، ص91
123. **السيوطي** : حسن، جـ1، ص58
124. **ابن عبد الحكم** : فتوح، ص110
125. **محمد حمدي المناوي** : مصر في ظل الإسلام، ص108
126. **ابن عبد الحكم** : فتوح، ص136
127. **ابن خلدون** : المقدمة، ص342
128. **الاصطخري** : مسالك الممالك، ص6
129. **المقدسي** : أحسن التقاسيم، ص199
130. **ناصر خسرو** : سفر نامة، ص85
131. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر، ص67

132. **الكندي** : الولاة والقضاة، ص95
133. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص335
134. **محمد حمدي المناوي** : مصر في ظل الإسلامص112
135. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص335
136. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص335، 336
137. **ابن سعيد** : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص27
138. **قاسم عبده** : عصر سلاطين المماليك، ص194
139. **قاسم عبده** : عصر سلاطين المماليك، ص194
140. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص 196
141. **ابن الأثير** : الكامل، جـ3، ص 231
142. **ابن عذاري** : البيان والمغرب، جـ1، ص 19
143. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص278
144. **ابن حوقل** : صورة الأرض، ص 86
145. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص280
146. **ابن الأثير** : الكامل، جـ3، ص321
147. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر، ص197
148. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص281
149. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص 281
150. **اليعقوبي** : كتاب البلدان، ص 105،104
151. **ابن عبد الحكم** : فتوح مصر والمغرب، ص199، فتحية النبراوي : تاريخ النظم، ص182
152. **قرطبة** : لفظ يوناني، بمعنى القلوب المشككة
153. **د0 عيسى سلمان وآخرون** : ج1، ص68 – انظر المدرسة الإقبالية : النعيمى (عبد القادر بن محمد) ت 927هـ/ 1520م : الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى، الثقافة الدينية، القاهرة، 1988، ج1، ص158–160، د0 عبد الله

كامل موسى عبده : العباسيون وآثارهم المعمارية فى العراق ومصر وأفريقيا، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2002م، ص83 0

154. الطبرى : تاريخ الطبرى، مج3، ص149

155. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص68

156. د0 عيسى سلمان وآخرون : العمارات، ج1، ص68 –71

157. شريف يوسف : تاريخ فن العمارة العراقية فى مختلف العصور، دار الرشيد، الجمهورية العراقية، 1982م، ص248

158. ابن الأثير : الكامل، ج3، ص514، د0 عيسى سليمان وآخرون : العمارات، ج1، ص72

159. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص73

160. د0 عيسى سلمان وآخرون : العمارات، ج1، ص73

161. د0 عيسى سلمان وآخرون : العمارات، ج1، ص73

162. د0 عيسى سلمان وآخرون : العمارات، ج1، ص73 –74

163. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص74

164. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص73

165. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص73

166. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص73

167. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص73

168. د0 عيسى سلمان : العمارات، ج1، ص73

169. **المقري** : نفح الطيب، جـ1، ص26

170. **المقري** : نفح الطيب، جـ1، ص145

171. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص 283

172. **ابن حوقل** : صورة الأرض، ص 112، 113

173. **المقري** : نفح الطيب، جـ2، ص6

174. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص 15

175. **محمد عبد الستار عثمان** : المدينة الإسلامية، ص 147
176. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص 185
177. **المقري** : نفح الطيب، جـ2، ص10
178. **المقري** : نفح الطيب، جـ2، ص12
179. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص288، **عادل بشتاوي** : الأندلسيون المواركة، ص268
180. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص 300
181. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر، ص57
182. **زكي محمد حسن** : الفن الإسلامي، جـ1، ص56
183. **صفي علي محمد** : مدن مصر الصناعية، ص100
184. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص304
185. **الكندي** : الولاة والقضاة، ص115
186. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص304
187. Sohernhiem : Encyclopedia of islam History of The Town of fustat, vol.,I.P.817
188. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص304
189. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر، ص113
190. **القلقشندي** : صبح، جـ3، ص337، **المقريزي** : الخطط، جـ2 ص504
191. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص305
192. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص305
193. **هويدا رمضان** : المجتمع في مصر الإسلامية، جـ2، ص249
194. **بغداد** : لفظ فارسي معناه بستان رجل وهو مكون من (باغ بمعنى بستان، داد بمعنى رجل، ولها أسماء كثيرة منها بغداد بالذال، ودار السلام، وبغداد، ويقال الزوراء، ومدينة المنصور، ابن طباطبا : الفخري، ص163، **ياقوت الحموي** : معجم البلدان ،جـ2 ،ص23
195. **ابن طباطبا**: الفخري، ص161

196. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص244
197. **ابن طباطبا** : الفخري ،ص161
198. **ابن طباطبا** : الفخري ،ص162
199. **يوسف العش** : تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص40
200. **المسعودي** : مروج الذهب، جـ2، ص232
201. **أبو زيد شلبي** : تاريخ الحضارة، ص245
202. **أبن طباطبا** : الفخري، ص163
203. **اليعقوبي** : البلدان، ص15
204. **اليعقوبي** : البلدان، ص15
205. **اليعقوبي** : البلدان، ص18، محمد عبد الستار : المدينة الإسلامية، ص256
206. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص265
207. **المسعودي** : مروج الذهب، جـ2، ص232
208. **اليعقوبي** : البلدان، ص109
209. **فتحية النبراوي** : تاريخ النظم، ص265
210. **البلوي** : سيرة ابن طولون، ص53، **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص315
211. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص313، **ابن دقماق** : الأنتصار، جـ4، ص141
212. **هويدا رمضان** : المجتمع في مصر الإسلامية، جـ1، ص249
213. **البلوي** : سيرة ابن طولون، ص54
214. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر، ص 95
215. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص313، **ابن دقماق** : الأنتصار، جـ3، ص141
216. **أحمد فكري** : مساجد القاهرة ومدارسها، ص109
217. **أحمد فكري** : مساجد القاهرة، ص111
218. **أبو المحاسن** : النجوم، جـ3، ص11
219. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر، ص127
220. **فريدة شافعي** : مأذنة مسجد ابن طولون، ص168،167

221. **زكي محمد حسن** : الفن الإسلامي، جـ1، ص56
222. **البلوي** : سيرة ابن طولون، ص53
223. **زكي محمد حسن** : الفن الإسلامي، ص38
224. **البلوي** : سيرة ابن طولون، ص54 ن **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص315
225. **البلوي** : سيرة ابن طولون، ص54
226. **أبو المحاسن** : النجوم، جـ3، ص61
227. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص317، **أبو المحاسن** : النجوم، جـ3، ص55
228. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص316
229. **ابن دقماق**: الأنتصار، جـ4، ص131، **ابن أياس** : بدائع الزهور، جـ1، ص 170
230. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص323
231. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص350
232. **المقريزي** : الخطط، جـ 1، ص359
233. **عبد الرحمن زكي** : أسوار القاهرة، ص469
234. **ابن دقماق** :الانتصار، جـ5، ص36
235. **عبد الرحمن فهمي** : أسوار القاهرة، ص469
236. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص277
237. **القلقشندي** : صبح، جـ3، ص253
238. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص382
239. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص117
240. **أبو شامه** : الروضتين، جـ1، ق2، ص687
241. **القلقشندي** : صبح جـ3، ص355، **المقريزي** : اتعاظ الحنفا، جـ1، ص112
242. **ابن سعيد** : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص25
243. **المقريزي** : الخطط، جـ2، ص 383
244. **ناصر خسرو** : سفرنامة، ص48
245. **ابن دقماق** :الانتصار، جـ5، ص35
246. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص377

247. **ناصر خسرو** : سفر نامة، ص89، **عبد الرحمن فهمي** : أسوار القاهرة، ص469
248. **أحمد فكري** : مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة، 1965، جـ1، ص24
249. **عبد الرحمن فهمي** : أسوار القاهرة ى، ص469
250. **ابن الصيرفي** : الأشارة إلى من تال الوزارة، ص97
251. **عبد الرحمن فهمي** : أسوار القاهرة، ص474
252. **المقريزي** : الخطط، جـ1، ص364
253. **عبد الرحمن فهمي** : أسوار القاهرة، ص469
254. **عبد الرحم زكي** : أسوار القاهرة وأبوابها، ص32
255. **شحاته عيسى إبراهيم**، القاهرة، ص76
256. **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص219، **شحاته إبراهيم** : القاهرة، ص276
257. **المقريزي** : الخطط، جـ2، ص273
258. **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد، جـ1، ص49، **أحمد عبد الرزاق** : تاريخ وآثار مصر، ص220
259. **المقريزي** : الخطط، جـ2، ص275
260. **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد، جـ1، ص51
261. **المقريزي** : السلوك، جـ1، ص556
262. **المقريزي** : الخطط، جـ2، ص276، **حسن عبد الوهاب** : تاريخ المساجد، جـ1، ص54، **سعاد ماهر** : مساجد مصر، جـ1، ص201
263. **السخاوي** : الضوء اللامع، جـ6، ص209
264. **ابن إياس** : بدائع الزهور، جـ3، ص62

الفصل السابع

أثر الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوربية

الفصل السابع

أثر الحضارة الإسلامية فى الحضارة الأوربية

الحضارة الإسلامية كان لها أثر بالغ فى الحضارة الأوربية، ففي الوقت الذي كانت فيه أوربا لا تزال تضطرب فى ظلام العصور الوسطى، كان المسلمون قد بسطوا نفوذهم على معظم بقاع العالم المتحضر القديم، من حدود الصين إلى جبال البرانس، وورثوا مع فتوحاتهم فلسفة اليونان من كتبها، حتى أن عددا من كتب اليونان القديمة لا يوجد الآن إلا باللغة العربية أو مترجم عن العربية، كما تأثروا وأفادوا من ثقافة الفرس التى أثرت فى الأدب العربي، وبالثقافة الهندية عن طريق علوم الرياضة، والطب وخاصة علم النجوم، وقد أفسح العرب والمسلمين صدورهم لهذه الثقافات والحضارات المختلفة واقبلوا، وتولوها بالرعاية والعناية والبحث والدرس والتصحيح والتهذيب، وأضافوا إليها الكثير من أفكارهم وابتكاراتهم حتى بلغت غاية نضجها واكتمالها، وتميزت عما عادلها من الحضارات السابقة[1] 0

والحضارة العربية الإسلامية لا ينقصها ولا يقلل من شأنها أنها نقلت وأفادت من الحضارات التى سبقتها، فذلك شئ طبيعي، حيث أن كل أمه ملزمة بأن تنقل عمن سبقها تجاربهم، وكل أمه تختلف عن غيرها فى أنها تحدث أولا تحدث الجديد المبتكر، وإذا نظرنا إلى الجديد المبتكر فى الحضارة الإسلامية لوجدنا الكثير [2] 0

ولولا الإفادة من الحضارات السابقة والتجديد والابتكار لكان لزاما أن تبدأ كل أمة بما بدأت به الأمم الأخرى السابقة عليها ولا غلق باب التقدم والتطور الحضاري، ولوجدنا أنفسنا اليوم في مستوى أقرب إلى ما كان عليه الإنسان الأول في العصر الحجري ولكن يكفى العرب والمسلمون فخرا أنهم لم يقنعوا بما تعلموا من غيرهم وإنما يحثوا واجتهدوا وابتكروا، وأضافوا عناصر جديدة دفعت عجلة التطور الحضارة إلى الأمام[3]، وأنشأ العرب بسرعة حضارة جديدة كثيرة الاختلافات عن الحضارات التى ظهرت فيها وتمكنوا من حمل أمم كثيرة على انتحال دينهم ولغتهم وحضاراتهم الجديدة 0

وقد عبرت هذه الحضارة إلى أوربا من خلال معابر ثلاثة هي 0

1- عن طريق اتصال العرب والمسلمين ومجاورتهم لعلماء أوربا أبان حكم الأمويين فى الأندلس، حيث كانت الحضارة العربية والإسلامية فى أوج عظمتها مما كان يتمتع به علماء المسلمين من حرية الفكر وأقاموا هناك جامعات زاهرة قصدها طلاب العلم من أوربا، فى مراكز متعددة[4] مثل قرطبة، واشبيلية، وغرناطة، وطليطلة، ونشر هؤلاء الطلاب فى بلادهم ما تعلموه من العرب، حيث كان غالبة سكان الأندلس، وهم من المسيحيين قد تشبعوا بالحضارة العربية بحيث أنهم هجروا لغتهم ليتكلموا العربية، واضطر الأسافعه من رجال الدين إلى أن يترجموا الإنجيل إلى العربية، كذلك قام اليهود وهم أقليه كبيرة استعربت منذ زمن مبكر فأخذوا لغة العرب وملابسهم، واندرجوا فى غمارهم، بدور هام فى نقل الحضارة الإسلامية عن طريق الترجمة[5]، ولما استرد الملوك الأسبان الأندلس استولوا على الكنوز العلمية التى خلفها علماء العرب والمسلمين وأخذوا بمظاهره[6]

2- عن طريق صقلية، حيث كان العرب قد فتحوا صقلية على يد دولة الأغالبة خلال العصر العباسي الأول وذلك فى النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وظل العرب بها زهاء 130 سنة، فأصبحت المركز الثاني لنشر الثقافة العربية والإسلامية فى أوربا، حيث أصبحت بالرمو ومسينى، وسرقوسه، وبوره من أهم مراكز الحضارة الإسلامية اليانعة فى إيطاليا[7] 0

كان الملوك المسيحيون بصقلية يشجعون علماء العرب على الإنتاج العلمي، مثل روجر الثاني الذي شجع الإدريسى الجغرافي الشهير على العلم وأهدى الإدريسله كتاب نزهة المشتاق، وأيضا الملك ويليام الذى رحب بالعلماء المسلمين وكان يقرأ ويكتب العربية[8] 0

أدرك روجر وخلفاؤه أفضلية العرب فانتحلوا نظمهم وشمولهم برعايتهم وكان الملك فردريك الثاني من الذين شجعوا الترجمة لعلوم الإسلام إلى اللاتينية واليونانية أو حتى الإيطالية الدارجة التى كانت قد بدأت فى الظهور، وكان فى بلاطه كثير من الفلاسفة العرب من الشام وبغداد، وتوثقت صلاته وصداقته بالسلاطين الأيوبية فى مصر " الملك الكامل وتبادل معهم الهدايا "[9] 0

ولما كان الملوك النورمانديون وخلفائهم على العرش الصقلي يحكمون إلى جانب صقلية جنوب إيطاليا أيضا فانهم كانوا بمثابة الجسر الذى نقلت عليه مختلف عناصر الثقافة العربية الإسلامية إلى شبه الجزيرة الإيطالية ووسط أوربا ولم يكد ينتصف القرن العاشر الميلادي حتى كانت آثار الحضارة العربية واضحة للعيان شمال جبال الألب[10] 0

مكث العرب في جنوب إيطاليا ثلاثمائة سنة تقريبا، فاستعرب أهل المناطق وأصبحوا يتكلمون العربية ويدينون بعادات العرب ما عدا العقيدة، فقد احتفظ بها بعضهم ودفعوا الجزية، وكان من نتائج هذا أن تسمى الكثيرون بأسماء عربية، وأصبحت الأماكن والشوارع والقصور وأدوات الزينة والحرب ومتاع البيوت وغيرها لها أسماء عربية ومظاهر عربية[11] 0

3- طريق ثالث من خلاله انتقلت الحضارة العربية والإسلامية لأوربا هو الحروب الصليبية، والحج إلى بيت المقدس واختلاط الأوربيين بالعرب، حيث كان لبقاء الصليبيين مدة طويلة فى الشرق الإسلامي منذ القرن الخامس الهجري حتى القرن السابع الهجري أثره على اتصال تام بجميع مظاهر الحضارة الإسلامية المزدهرة التى أدهشتهم وعلى الرغم من أن الحروب كانت مستمرة بينهما وبين المسلمين، فإن البعض منهم نقل الكثير من علوم العرب والمسلمين ومعارفهم وفنونهم وصناعتهم، كما حصلوا على كثير من الكتب العربية، فساعد ذلك على ظهور روح البحث ودراسة علوم الأقدمين وآدابهم 0

4- طريق التجارة فعن طريق التبادل التجاري بين الشرق والغرب عن طريق مصر، حيث أن المدن الإيطالية مثل جنوه والبندقية وبيزا ونابلى، نشطت تجارتها مع مصر وهى المدن التى ظهرت فيها النهضة الأوربية الحديثة[12] 0

مظاهر أثر الحضارة العربية الإسلامية على حضارة أوربا0

من خلال دراستنا للحياة الثقافية وجدنا أن العرب حققوا تفوقا كبيرا فى ميادين العلوم على اختلافها، وتبين فضلهم وأثرهم فى هذه الميادين، ومدى ما قدموه للعلم وللحضارة من معارف وابتكارات لم يسبقهم إليها أحد 0

كما اتضح لنا كيف وصلت الحضارة عن طريق أسبانيا وصقلية وإيطاليا، ونتيجة للعلاقات التجارية، وأيضا دخول الفرنجة بلاد الشام ومصر وبقى لنا أن نعرف ما كان للحضارة العربية والإسلامية من أثر واضح فى الحضارة الأوربية ونوضح ذلك فى إيجاز 0

- أنه خلال الفترة الذهبية فى تاريخ الإسلام أنشئت المدارس فى مختلف البلاد الإسلامية شرقا وغربا، وكثرت المكتبات وامتلأت بالمؤلفات العربية الإسلامية، وكذلك المؤلفات اليونانية والفارسية والهندية المترجمة وقد جزيت هذه المدارس والمكتبات الباحثين عن المعرفة من العالم المسيحي والإسلامي على السواء، فقد أصبحت طليطلة بعد أن استولى عليها ألفونسو السادس سنة 1085م مركزا لانتشار الثقافة العربية إلى باقي نواحي أسبانيا وأوربا، ويرجع الفضل فى إدخال النصوص العربية فى دوائر الدراسة الغربية إلى " دايموندو " أسقف طليطلة وكبير مستشاري ملوك قشتاله، وكان لعمله هذا أكبر الأثر فى مصير أوربا[13] 0

تولى الأسقف رعاية جماعة من المترجمين حيث أنشأ ديوانا لترجمة التراث وفى عهد ألفونسو الحليم (1252–1284م) كانت طليطلة مركز النور والعلم وانتقلت إلى أوربا خلال هذه الحركة مؤلفات الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالى والخوارزمي صاحب الجداول الرياضية، وكان أشهر المترجمين من العربية "جيرار الكريمونى" حيث يذكر أنه ترجم أكثر من سبعة وثمانين كتابا فى مختلف العلوم[14] 0

وعندما ذاعت هذه الترجمات للكتب العربية هرع الكثير من الأوربيين المتعطشين إلى مناهل العلوم الإغريقية والعربية قاصدين مدرسة طليطلة حيث يترجم لهم أحد المستقرين ما جاء فى الكتب العربية إلى الأسبانية الدارجة أو اللاتينية الركيكة[15] 0

ظلت ترجمات كتب العرب ولا سيما الكتب العلمية مصدرا وحيدا تقريبا للتدريس فى جامعات أوربا خمس قرون، وظل تأثير العرب فى بعض العلوم التى تدرس فى أوربا حتى وقت قريب ففي مجال الطب نجد مثلا أن كتاب " الحاوي " للرازى المؤلف من عشرين مجلدا، يجمع كل المعلومات الطبية التى كانت معروفة فى زمانه، وظل المرجع الوحيد المعترف به فى جامعات أوربا حتى القرن السابع عشر الميلادي[16] 0

وفى علم البصريات حقق المسلمون أعظم تقدم علمي، ورسالة الكندي في العلم هي التي اعتمد عليها روجر بتكون فى دراسته لهذا الموضوع، واستفاد روجر وفيتلبون من بصريات الحسن بن الهيثم، كما أخذ ليوناردوا اليزى عن العرب علم الجبر، وأخذ أرنالدو فيلانوفا الطب والكيمياء، كما نهل أعلام الطب الأوربي من كتب العرب وخاصة الزهراوى، كما استوحى " كلير " كشفة لأفلاك الكواكب الدائرية من كتاب العالم المسلم " البطروحى"[17] 0

وفى الرياضة يرجع الفضل للعرب في الطرق الحسابية المستعملة في الحياة اليومية في عصرنا الحاضر، وهم الذين جعلوا من الجبر علما حقيقيا، وتقدموا به تقدما كبيرا، حتى اعتبروا أنهم هم الذين وصفوه، كما أسسوا علم الهندسة التحليلية وحساب المثلثات الذي لم يكن معروفا عند اليونانيين، وفى علم طبقات الأرض يعتبر ما كتبه الرئيس ابن سينا في كيفية تكوين الجبال والأحجار والمواد المعدنية وما إلى ذلك من أهم المراجع التي اعتمدت عليها أوربا في أبان نهضتها المدنية[18] 0

- تركت الحضارة العربية والإسلامية فى اللغات الأوربية ألفاظا تدل على مقدار ما أفادته الحضارة المدنية من تراث تنطق بصيغتها العربية والإسلامية مثل أن معظم أسماء النجوم فى اللغات الأوربية لا تزال تنطق بصيغتها العربية، ومنها العقرب والجدي والطائر والذئب والقرفد، ولا تزال المصطلحات الفلكية والرياضية حافظة لصيغتها العربية فى اللغات الأوربية ومنها السمت والنظير والجيب والجبرؤ والكيمياء والصفر، وغيرها من الألفاظ العربية الأخرى[19] 0

والغرب مدين للعرب أيضا بإدخال الكثير من الإصلاحات والآلات الموسيقية، وقد تفوق المسلمون كثيرا فى الفن، والنقش واشغال الذهب والفضة والآنية، وعنهم أخذت أوربا[20] 0

كما تأثرت الفنون المعمارية الأوربية بعناصر الفن الإسلامي، حيث اقتبست أوربا الفن المعروف بالأرابيسك Arabesque، وهو فن معماري عربي يميل إلى التكوينات الهندسية، بل نجد مباني كثيرة في أوربا في العصور الوسطى، مثل الجامعات القديمة في إنجلترا متأثرة بالفن العربي[21] 0

وفى التجارة كان المسلمون رواد العالم الحديث، فقد انشئوا النقابات وعرفوا نظام طريق الشرق، مثل الكافور، والزعفران، والمر، والمسك والقطن، والأرز، والخرشوف، والحنة، والليمون، وقصب السكر، والموز، والقهوة، وطواحين الهواء، والسواقي[22] 0

ومن أبرز المفكرين الذين تحدثوا عن أثر الحضارة الإسلامية في حضارة أوربا (جوستاف لوبون) الذي وضع كتابا قيما بعنوان (حضارة العرب) انصف فيه المسلمين وسلط الأضواء على الأسس العربية للحضارة الأوربية الحديثة ومن أراءه في هذا الصدد قوله : كان تأثير العرب على الغرب عظيما وإليهم يرجع الفضل في حضارة أوربا، ولم يكن نفوذهم في الغرب أقل مما كان في الشرق، ولا يتأتى للمرء معرفة التأثير العظيم الذي أثره العرب في الغرب إلا إذ تصور حالة أوربا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة الإسلامية، وإذا رجعنا إلى القرنين التاسع والعشر الميلادي، في الفترة التي كانت فيها الحضارة العربية في أسبانيا زاهرة باهرة، نرى أن المراكز العلمية الوحيدة في الغرب عبارة عن مجموعة أبراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بأنهم أميون 0

ويرى لوبون أيضا أن الحضارة العربية لم تدخل إلى أوربا نتيجة الحروب الصليبية كما هو الرأي الشائع، بل دخلت بواسطة الأندلس وصقلية وإيطاليا 0

ويقارن لوبون بين أسبانيا العربية وسائر أرجاء أوربا فيقول تمتعت أسبانيا بحضارة سامية بفضل العرب بينما كانت باقية أوربا فى ظلام، ولو سار الغرب تحت راية المسلمين لتسلمت منزلته[23] 0

واعترف المؤرخ " رينو " فى كتابة " تاريخ غزوات العرب " بفضل العرب على حضارات أوربا فقال : أن النهضة الحقيقية فى أوربا لم تبدأ إلا منذ القرن الثاني عشر الميلادي، حيث أفاق الفرنسيون والإنجليز والألمان من رقدتهم، ونفضوا عنهم غبار الخمول، ووجدوا ضرورة الاشتراك فى الحضارة العربية، فأخذ المسيحيون فى فرنسا وما جاورها يؤمون أسبانيا لترجمة الكتب العربية وأصبح العرب الأمثلة العليا للشجاعة والشهامة وعزة النفس ومكارم الأخلاق 0

وقال (سارتيو) فى كتابة (الحضارة) : أن ما أتت به الحضارة العربية فى باب العلم ولا سيما العلوم وتطبيقها أعظم بكثير مما أتت له فى هذا السبيل الدولة البيزنطية، إذ أن الحضارة البيزنطية لم تأت بفكر جديد[24] 0

وأشار المفكران " لافيس " و " لامبو " فى كتابهما : التاريخ العام بالحضارة العربية وأثارها، فقال : إذ وجب أن يذكر لكل واحد قسطه من العمل، لا يسع المنصف أن يذكر قسط العرب منه كان أعظم من قسط غيرهم، فلم يكونوا واسطة نقلت إلى الشعوب المتأخرة فى أفريقيا وأسيا وأوربا اللاتينية معارف الشرق الأقصى وصناعاته واختراعاته، بل احسنوا استخدام المواد المبعثرة التى كانوا يلتقطونها من كل مكان، ومن مجموع هذه المواد المختلفة التى جلبت فتمازجت نماذج متجانسا أبدعوا حضارة حية مطبوعة بطابع مقترحاتهم وعقولهم، وهى ذات وحدة خاصة وصفات قائمة[25] 0

وكانت مملكة بافاريا من أبرز الدول الأوربية اعتمادا على النظم العربية حيث اقتبس ملك بارفاريا خبرات المسلمين فى الأندلس ونظمهم، وقامت فى مدينة (بال) الألمانية أول محكمة قانونية على الطراز العربي الإسلامي وقلدها في ذلك سائر مدن أوربا 0

وفى مقاطعات فرنسا بدأ تأسيس دواوين الحكومات على الطريقة الإسلامية، ثم انتقلت النظم العربية الإدارية إلى بقية البلدان الأوربية، وقلد الأوربيون العرب فى إنشاء المجالس الشورية[26] 0

وأخيرا الاستكشافات الكبرى، التى قامت فى العصر الحديث نجد أنها مبنية على ما قام به العرب 0 فكريستوفر كولمب اطلع على خرائط العرب التى شاعت فى أوربا فضلا عن شيوع استدارة الأرض عند الجغرافيين العرب، التى هيأت هذه الاستكشافات[27] 0

الصور والأشكال

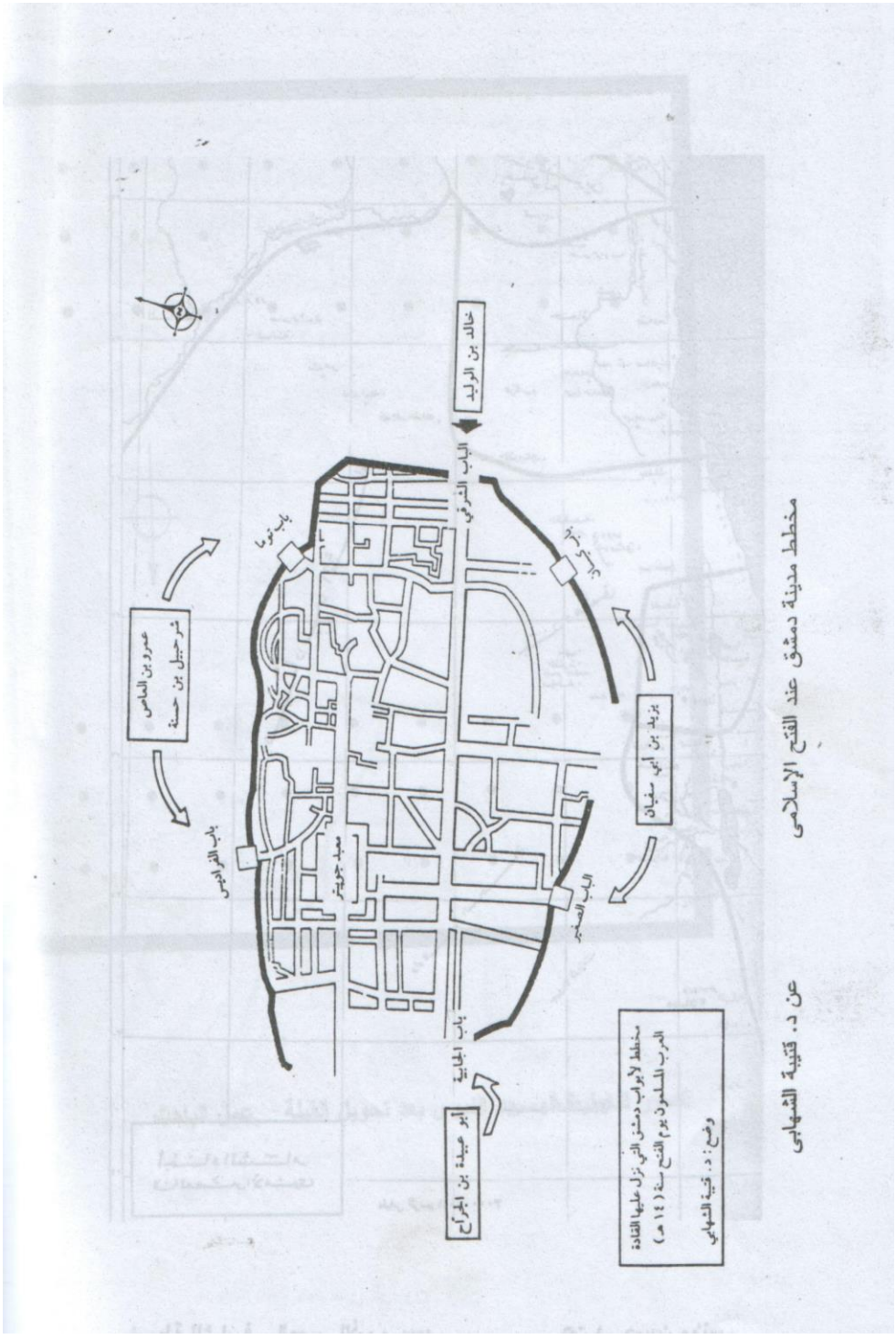

مخطط مدينة دمشق عند الفتح الإسلامي عن د. قتيبة الشهابي

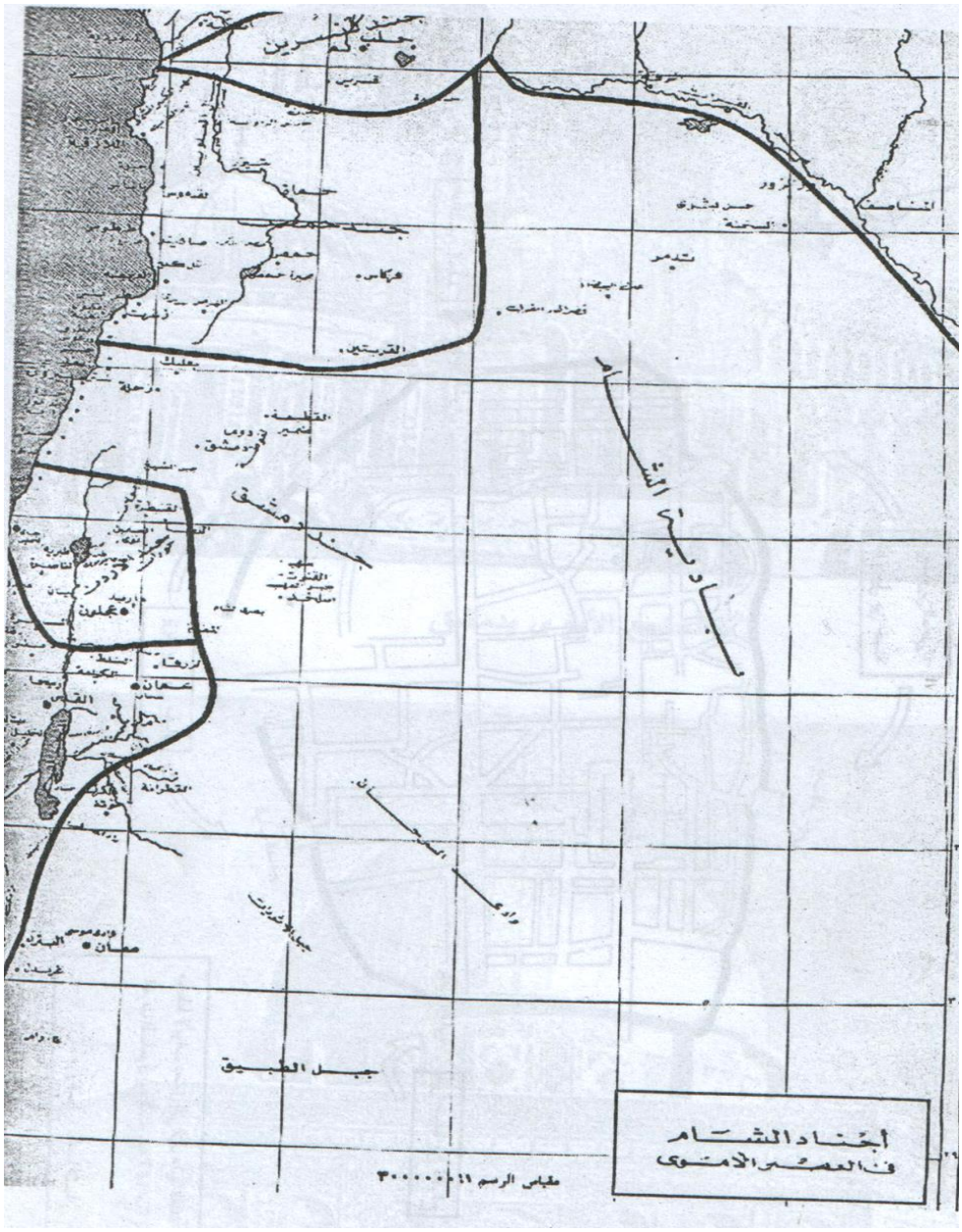

خريطة للشام في العصر الأموي - عن د/ حسين مؤنس

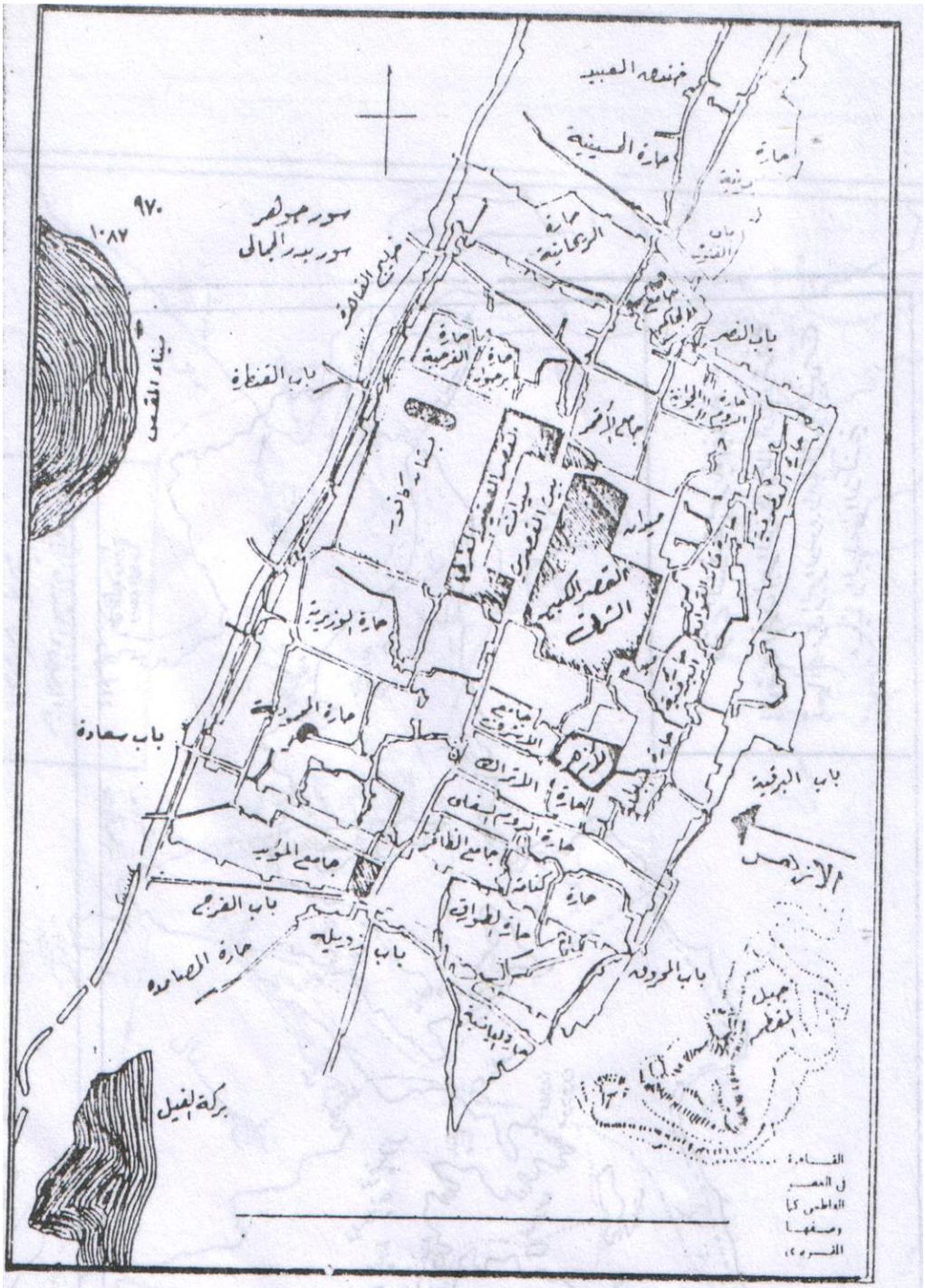

شكل ( ) خريطة لمدينة القاهرة فى العصر الفاطمى، عن الأزهر فى عيده الألفى.

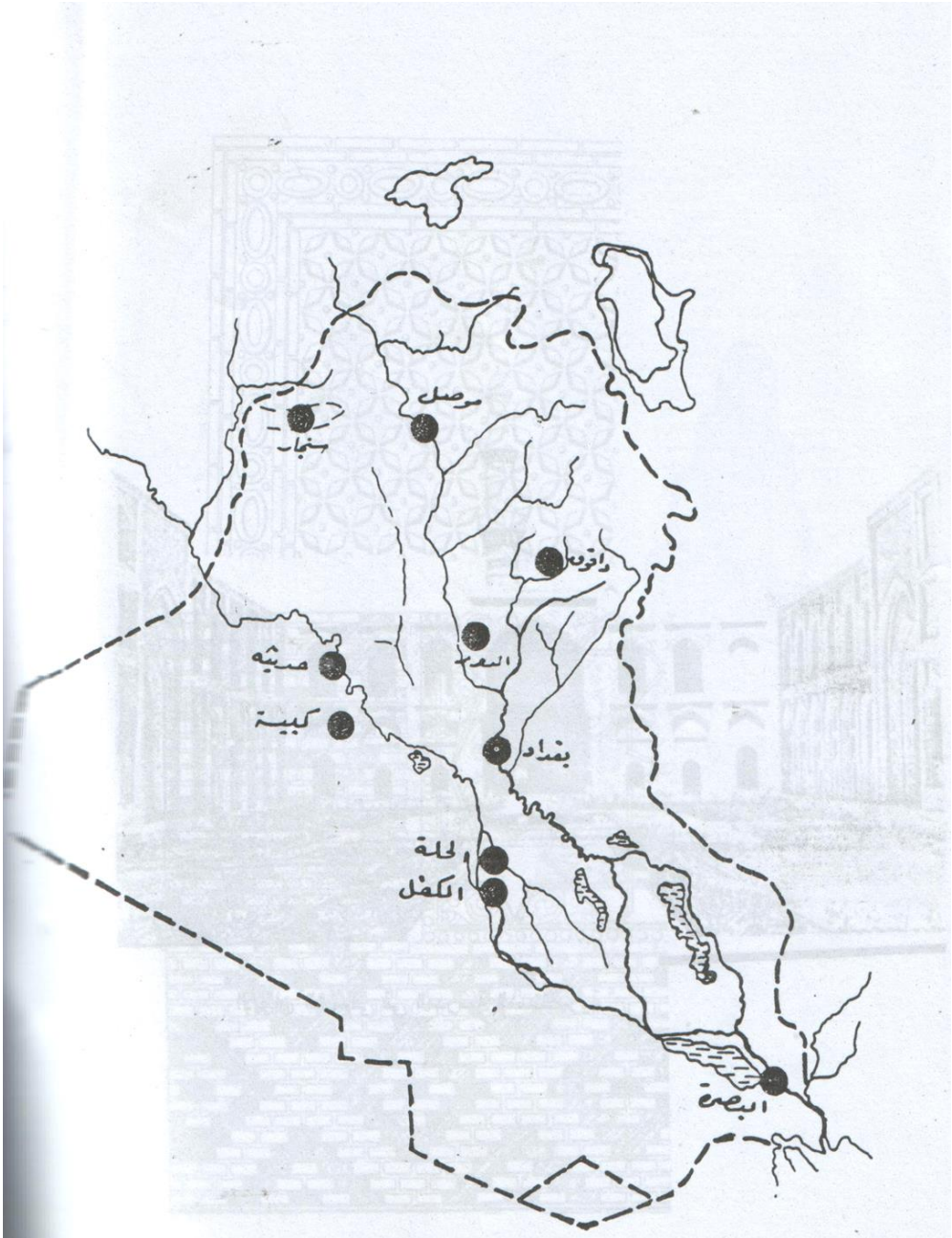

خريطة توضح الأماكن التى تحوى القباب الضريحية عن عطا الحديثى، هناء عبد الخالق.

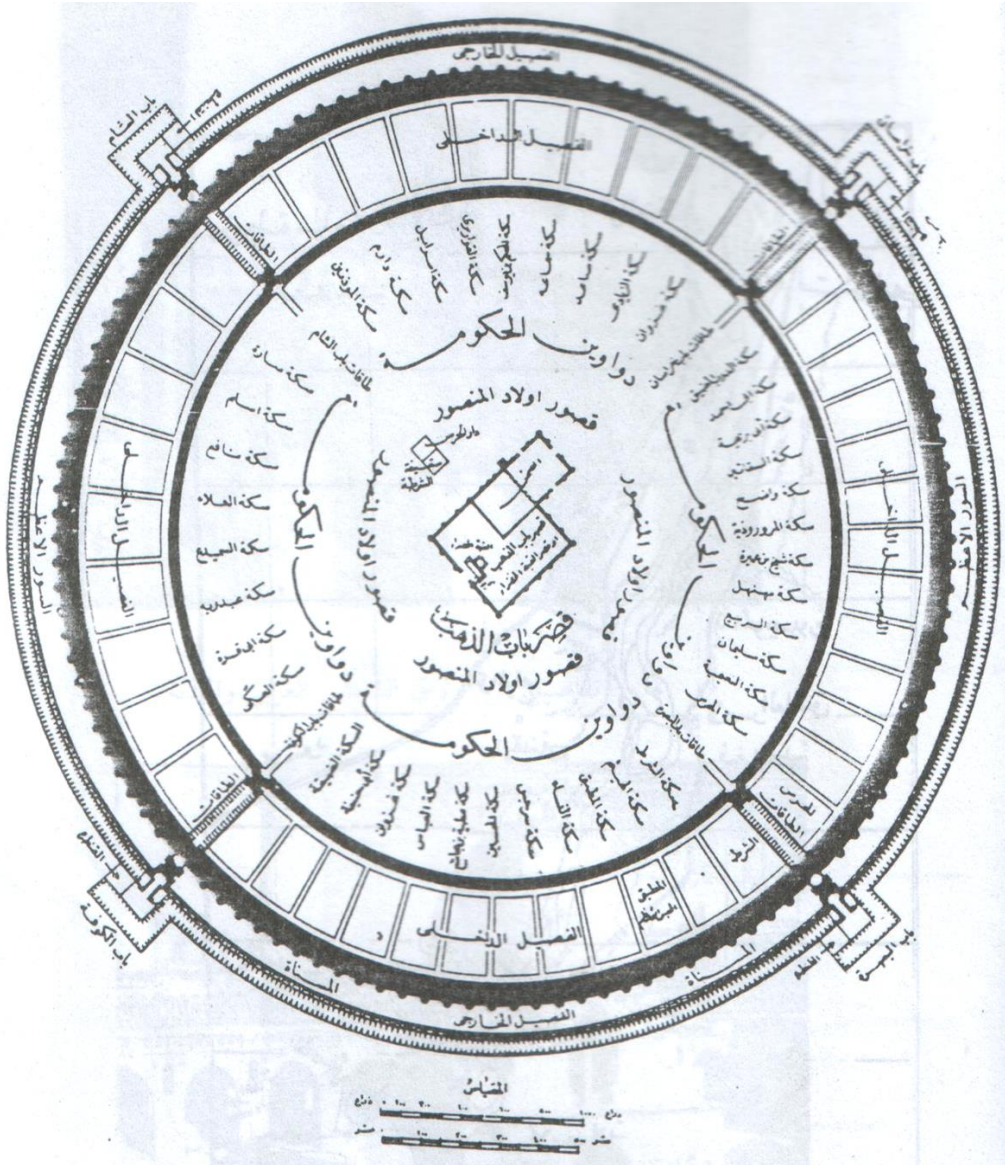
السور الخارجي
السور الداخلي
باب الشام
باب خراسان
باب البصرة
باب الكوفة
الخندق
قصر باب الذهب
قصور اولاد المنصور
دواوين الحكومة
المقياس

مدينة بغداد

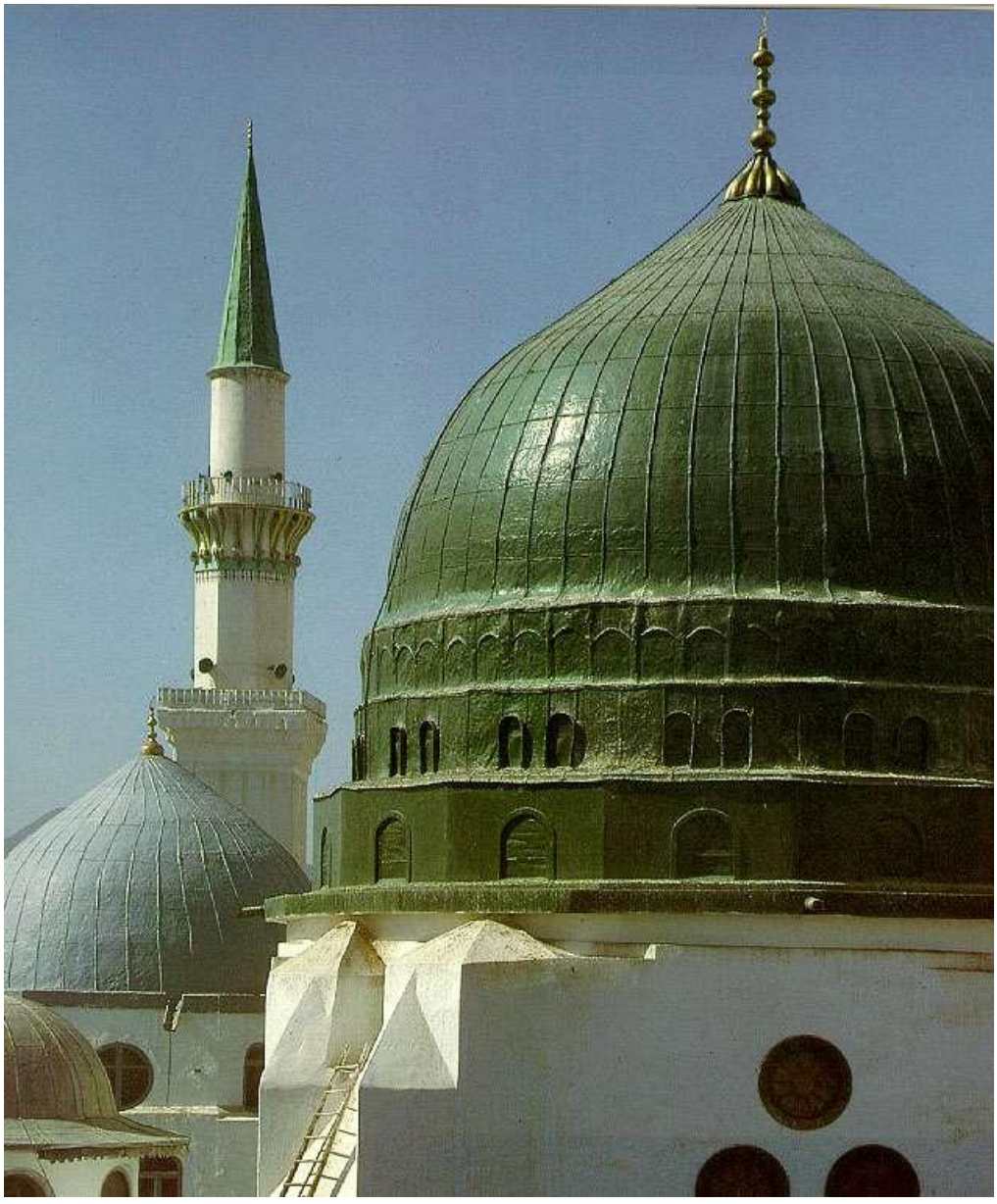

المسجد النبوى

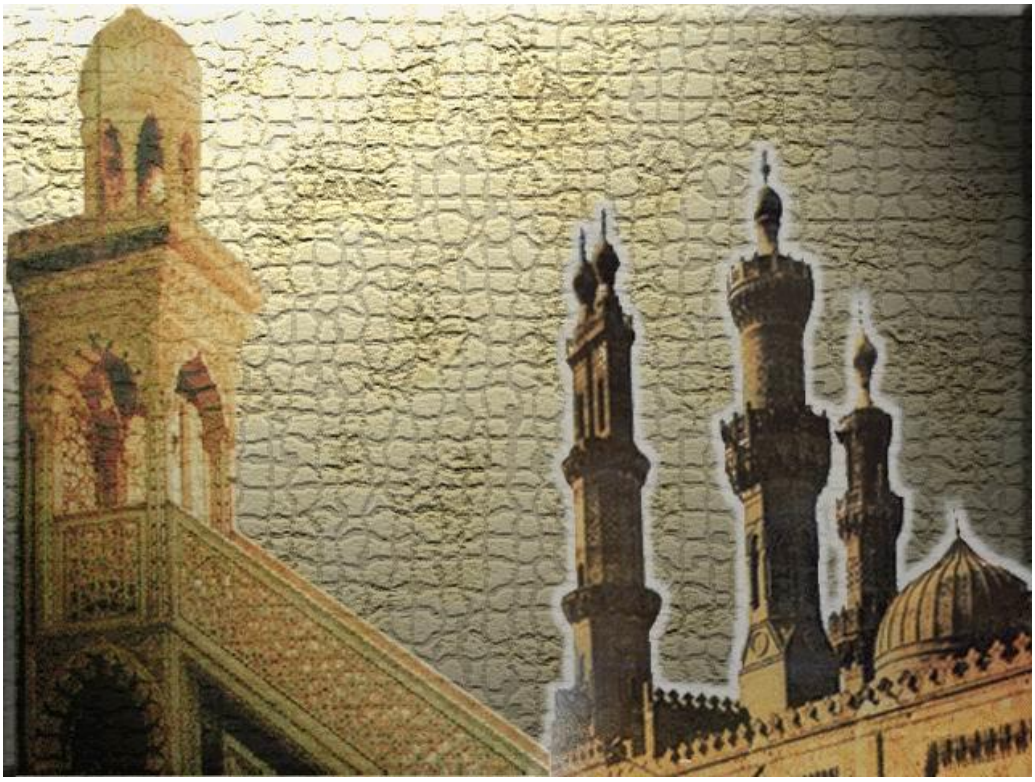

مسجد الأزهر

المسجد الأقصى

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

2- السنة النبوية 0

أولا : المصادر :

ابن أبى أصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم) ت667هـ/1268م.

- عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، دار الثقافة ، القاهرة 1399هـ / 1979م 0

ابن الأثير (على بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبقى الجزرى) ت 555هـ / 1160م 0

- أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان 0
- الكامل فى التاريخ 12 جزء ، بيروت ، 1398هـ / 1978م 0

ابن الأخوة (محمد بن أحمد بن أبى زيد بن الأخوة المصرى القرشى) ت729هـ

- معالم القربة فى أحكام الحسبة ، القاهرة 1937م 0

ابن اياس (أبو البركات محمد بن أحمد) ت 930هـ / 1523م 0

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الطبعة الثانية ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1402هـ / 1982م 0

ابن ايبك (أبو بكر بن عبد الله الدوادارى) ت 764هـ / 1362م 0

- كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء السادس : الدرة المضيلة فى أخبار الدولة الفاطمية " تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة 1961م 0

ابن بسام (عبد الرحمن بن نصر) ت 589هـ / 1193م 0

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، نشر حسام الدين السمرائى بغداد 1968م 0

ابن بعرة (منصور بن بعرة (الذهبى الكاملى) 0

- كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق عبد الرحمن فهمى ، القاهرة 1385هـ / 1966م 0

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتى الطنجى) ت770هـ/1337م 0

- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " رحلة ابن بطوطة " بيروت، دار الكتاب المصرى اللبانى 0

ابن البيطار (ضياء الدين أبو محمد عبد الله) ت 646هـ / 1248م 0

- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، القاهرة 1391هـ / 1971م 0

ابن تيمية (تقى الدين أحمد بن تيمية) ت 728هـ / 1327م 0

- الحسبة فى الإسلام ، تعليق أحمد الحنبلى ، القاهرة 1400هـ / 1980م 0

ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد البلنسى) ت 614هـ / 1217م 0

- تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، المعروف بـ " رحلة بن جبير " دار الكتاب المصرى واللبنانى ، بيروت 0

ابن الجزرى (شمس الدين ابى الخير محمد بن محمد الجزرى) ت 833هـ 0

- غاية النهاية فى طبقات القراء ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1402هـ / 1982م0

ابن الجوزى (أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى) ت 597هـ 0

- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى دائرة المعارف العثمانية بعاصمة حيدر أباد 1358هـ / 1939م 0

ابن الجيعان (شرف الدين يحيى بن علم الدين شاكر) ت 885هـ / 1480م0

- التحفة السنية باسماء البلاد المصرية ، المطبعة الأهلية ، القاهرة 1898م 0

ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن على العسقلانى) ت 852هـ / 1448م 0

- رفع الاصر عن قضاة مصر ، القسم الأول تحقيق حامد عبد المجيد ، مراجعة ابراهيم الابيارى ، القاهرة 1957م 0
- الاصابة فى تمييز الصحابة ، الجزاءان الخامس والسادس ، دار الكتب العلمية بيروت 0

ابن حزم (أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى) ت 456هـ / 1063م 0

- جمهرة انساب العرب ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة 1971م 0

ابن حوقل (أبو القاسم محمد البغدادى الموصلى) ت 380هـ / 990م 0

- صورة الأرض ، دار الحياة ، بيروت 1979م 0

ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله بن محمد) ت 300هـ / 912م 0

- المسالك والممالك ، ومعه نبذه من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 0

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جاب (بن خلدون المغربى) ت 808هـ / 1405م 0

- مقدمة بن خلدون ، طبعه مأخوذة عن طبعة لجنة البيان العربى ، تحقيق عبد الواحد وافى ، دار الشعب ، القاهرة 0
- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المعروف بـ " تاريخ ابن خلدون " مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت 1399هـ / 1979م 0

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر) ت 681هـ

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق محيى عبد الحميد ، القاهرة 1384هـ / 1964م 0

ابن دريد (أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد) ت 321هـ / 933م 0

- الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هلرون ، دار الخانجى ، القاهرة 0

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلاقى) ت 809هـ / 1406م 0

- الإنتصار لواسطة عقد الأمصار ، فى تاريخ مصر وجغرافيتها ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 0

ابن رستة (أبو على أحمد بن عمر بن اسحق) ت 295هـ / 907م 0

- الأعلاق النفيسة ، ليدن ، مطبعة بريل 18910

ابن سعد (أبو عبد الله بن سعد بن منيع البصرى الزهرى) ت 230هـ / 844م 0

- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، 2 مج 0

ابن سعيد (على بن موسى المغربى) ت 673هـ / 1275م 0

- النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، الجزء الخاص بالقاهرة ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة 1970م 0

ابن سيد الناس (فتح الدين أبو الفتح محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس) ت 734هـ / 1333م 0

- عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير ، دار المعرفة بيروت ، لبنان 0

ابن سيدة (أبى الحسن بن اسماعيل النحوى اللغوى الأندلسى) ت 458هـ 0

- المخصص ، تحقيق لجنة احياء التراث العربى ، دار الأفاق الحديثة ، بيروت 0

ابن شرف النووى (الامام الحافظ محيى الدين زكريا يحيى ين شرف النووى) ت 671هـ / 1272م 0

- رياض الصالحين، تعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة0

ابن الصيرفى (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان) ت 542هـ 0

- القانون فى ديوان الرسائل والاشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد

ابن طباطبا (محمد بن على بن طباطبا ، المعروف بابن الطقطقى) ت 709هـ

- الفخرى فى الأداب السلطانية والدول الإسلامية ، شركة الكتب العربية ، القاهرة 1317هـ / 1899م 0

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم) ت 275هـ 0

- فتوح مصر وأخبارها ، طبعة ليدن ، 1920م 0

ابن عبد ربة (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى) ت 349هـ/ 940م 0

- العقد الفريد ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة 1312هـ / 1678م 0

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى) ت 1089هـ / 1678م 0

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، دار المسيرة ، الطبعة الثانية ، بيروت 1979م 0

ابن فارس(أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا) ت 395هـ

- معجم مقاييس اللغة : تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ط1 ، سنة 1969م ، ط2 1970م ، مطبعة عيسى الحلبي وأولاده بمصر

ابن القفطى (الوزير جمال الدين بن الحسن على بن يوسف) ت 646هـ 0

- انباء الرواه عن أنباء النحاه ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة 1406هـ 0

ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة بن أسد التميمى) ت 555هـ / 1160م 0

- ذيل تاريخ دمشق ، حققه أمد روز ، بيروت 190م 0

ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الحنبلى الدمشقى) ت 751هـ 0

- الفروسية ، ترجمة وتعليق عزت العطار الحسينى ، دار الكتب العلمية ، بيروت

ابن كثير (الحافظ بن كثير القرشى) ت 774هـ / 1372م 0

- البداية والنهاية ، دار المعارف ، القاهرة 1394هـ / 1974م 0

ابن ماجه (الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني) ت 275هـ

- سنن ابن ماجه ، الطبعة الأولى ،دار المعرفة بيروت لبنان 1996م

ابن مماتى (القاضى شرف الدين أبو المكارم بن أبى سعيد) ت 606هـ 0

- قوانين الدواوين ، تعليق وتحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، 19420

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصرى) ت 630هـ 0

- لسان العرب ، تحقيق عبد الله على الكبير ، محمد حسب الله ، هاشم الشاذلى ، القاهرة 0

ابن النجار

- الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ، تحقيق الدكتور محمد زينهم ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1415هـ/1995م

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ت 213هـ / 828م 0

- السيرة النبوية ، تعليق طه عبد الرؤوف ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، القاهرة 0

ابن الوردى (زين الدين عمر بن الوردى)

- تتمه المختصر فى أخبار البشر ، المعروف بتاريخ بن الوردى ، تحقيق أحمد رفعت البدراوى ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى 1389هـ / 1970م 0

أبو شامة (شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن ابن إبراهيم المقدسى الشافعى) ت 665هـ 0

- كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، الجزء الأول ، طبعة وادى النيل ، القاهرة 1278هـ / 1861م 0

أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل أبى الفداء) ت 774هـ / 1372م 0

- المختصر فى أخبار البشر ، المعروف بتاريخ أبى الفداء ، دار المعرفة ، بيروت 0

أبو الفرج الوراق (محمد بن أبى يعقوب اسحق)

- الفهرست ، تحقيق رضا – تجدد 0

أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) ت 874هـ / 1469م 0

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1930م

الإدريسى (أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس الحموى) من علماء القرن السادس الهجرى 0

- صفة بلاد المغرب والسودان ومصر ، ليدن 1866م 0
- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مطبعة بريل ، ليدن 1891م 0

الاصطخرى (ابن اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى) توفى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى 0

- المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة 1381هـ / 1961م 0

البخاري (أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل ابن إبراهيم ابن المغيرة ابن بردربه البخاري الجحفي)

- صحيح البخاري : المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، أسطنبول ،تركيا

الترمذي(أبو عيسى محمد ابن عيسى ابن سورة)

- السنن:تحقيق محمد فؤاد عبد الباري ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان

البغدادى (عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادى) ت 629هـ / 1231م 0

- الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، طبعة المجلة الجديدة ، تحقيق غسان سبانو ، القاهرة 0

البلازدى (أحمد بن يحيى بن جابر) ت 279هـ / 989م 0

- فتوح البلدان ، تعليق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 0

الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس) ت 331هـ / 942م 0

- الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم عبد الحفيظ شلبى ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1357هـ 1938م 0

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى)

- الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، ط2 ، بيروت 1948م

الدينورى (أبى حنيفة أحمد بن داود) ت 882هـ / 1895م 0

- الامامة والسياسة " تاريخ الخلفاء " تحقيق طه الزينى ، دار المعرفة ، بيروت 0

الذهبى (الحافظ شمس الدين الذهبى) ت 748هـ / 1347م 0

- تاريخ دول الإسلام ، تحقيق فهيم شلتوت ، محمد مصطفى إبراهيم ، القاهرة 1974م 0

الرازى (أبو بكر محمد بن زكريا) ت 320هـ / 932م 0

- منافع الأغذية ودفع مضارها ، القاهرة 1305هـ / 1887م 0

الزركلى (خير الدين)

- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين دار العلم للملايين ، بيروت 1979م 0

السبكى (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن على بن عبد الله الكافى) ت 771هـ

- طبقات الشافعية الكبرى ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1324هـ / 1955م 0

السمعانى (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى) ت 562هـ

- الأنساب ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودى ، الطبعة الأولى ، دار لبنان ، بيروت 1408هـ، / 1988م 0

السمهودي

- وفاء الوفا : تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط2 ،1393هـ/1971م

السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين) ت 911هـ / 1605م 0

- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، مراجعة أحمد بدوى الإدارة العامة القاهرة 0
- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه ، القاهرة 1326هـ / 1908م 0
- طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1983م 0

الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر) ت 589هـ / 1193م 0

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العرينى ، القاهرة 1946م 0

الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت 764هـ / 1363م 0

- الوافى بالوفيات ، باعتناء سى بدرنغ ، دمشق ، المطبعة الهاشمية 1953م 0

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى) ت 310هـ / 922م 0

- تاريخ الأمم والملوك ، المعروف بتاريخ الطبرى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف ، القاهرة 0

العمرى (شهاب الدين أبى العباس أحمد بن العمرى) ت 742هـ / 1341م

- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد زكى ، دار الكتب ، القاهرة 1924م 0

القزوينى (أبى زكريا بن محمد بن محمود)

- أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت 0

القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على القلقشندى) ت 821هـ / 1418م

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، القاهرة 1963م 0

الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى) ت 350هـ / 961م

- ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، دار صادر ، بيروت 0

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى) ت 450هـ / 1058م 0

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية بيروت 1403هـ / 1982م 0

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى) ت 346هـ / 956م 0

- التنبيه والاشراف ، دار صعب ، بيروت 0
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1402هـ / 1982م 0

المقدسى (شمس الدين أبو عبيد الله محمد الشافعى البشارى) ت 387هـ / 997م 0

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن 1909م 0

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر الشافعى) ت 845هـ / 1441م 0

- اتعاظ الحنفاء بذكر أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، الجزء الأول تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة 1967م، الجزء الثانى تحقيق محمد حلمى أحمد، القاهرة 1971م0
- شذور العقود فى ذكر النقود القديمة والإسلامية ، المكتبة المرتضوية ومطبعتها النجف ، العراق 1356هـ 0
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية مأخوذ عن طبعة بولاق 1207هـ / 1792م 0

النابلسى (عثمان بن إبراهيم النابلسى) القرن السادس الهجرى ، الثانى عشر الميلادى 0

- لمع القوانين المضية فى دواوين الديار المصرية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 0

النعيمى (عبد القادر بن محمد النعيمى الدمشقى) ت 927هـ / 1520م 0

- الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسنى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 0

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت 732هـ / 1331م 0

- نهاية الإرب فى معرفة فنون الأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نسخة مصورة ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة 0

ناصر خسرو على (ت 481هـ / 1008م) 0

- سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1993م0

الواقدى (أبى عبد الله محمد بن عمر) ت 207هـ / 815م 0

- فتوح البلدان ، الطبعة الثانية ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة 1934م 0

اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح) ت 283هـ / 897م 0

- تاريخ اليعقوبى ، جزءان ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) 0
- البلدان : ليدن 1967م 0

ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى) ت 626هـ / 1228م 0

- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت 0
- معجم الأدباء ، دار مأمون للطباعة والنشر ، الطبعة الأخيرة ، القاهرة 0

ثانيا : المراجع :

إبراهيم أحمد العدوى (الدكتور)

- الأساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوسط ، مكتبة نهضة ، القاهرة 0

أحمد إبراهيم الشريف (الدكتور)

- دراسات فى الحضارة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، القاهرة 1981م

أحمد أحمد بدوى (الدكتور)

- الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية ، بمصر والشام ، القاهرة 1972م 0

أحمد أمين

- ضحى الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 0
- ظهر الإسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية لجنة التأليف والترجمة والنشر 0 القاهرة 1365هـ / 1946م 0
- قاموس العادات والتقاليد المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة 1993م 0

أحمد عبد الرازق أحمد (الدكتور)

- تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة 1993م 0

أحمد عبد السلام ناصف (الدكتور)

- الشرطة فى مصر الإسلامية ، ط1 ، الزهراء للاعلام العربى 1987م 0

أحمد عيسى (الدكتور)

- تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ، ط2 ، دار الرائد العربى ، بيروت 1981م 0

ادم متز

- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، الجزء الأول والثانى ترجمة عبد الهادى أبو ريده ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1958م 0

أرشيبالد لويس

- السيادة الإسلامية فى البحر المتوسط ، ترجمة أنيس مريحة ، واخ ، دار الأندلس ، بيروت 1960م0

السيد عبد العزيز سالم (الدكتور)

- التاريخ والمؤرخون العرب ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 1981م 0
- تاريخ الدولة العربية ، الجزء الثانى مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 0
- تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1982م 0

الشيخ أحمد السكندرى والشيخ مصطفى العنانى

- الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ، دار المعارف ، القاهرة ، 1978م 0

انستاس مارى الكرملى 0

- النقود العربية الإسلامية وعلم النميات ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 1987م

بدر عبد الرحمن محمد (الدكتور) 0

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى العراق والمشرق الإسلامى ، الطبعة الأولى مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة 1989م 0
- الدولة العباسية ، دراسة فى سياستها الداخلية فى القرنين الثانى والثالث الهجرى مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 0

جورجى زيدان 0

- تاريخ التمدن الإسلامى ، الجزء الثالث ، دار مكتبة الحياة بيروت 0
- تاريخ أداب اللغة العربية الجزء الثانى، تعليق شوقى ضيف، دار الهلال، القاهرة 0

حسن إبراهيم حسن (الدكتور) 0

- الدولة الفاطمية فى مصر والمغرب ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1985م 0
- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والاجتماعى والثقافى ، دار النهضة المصرية ، القاهرة 1974م 0

حسن أحمد محمود (الدكتور)

- حضارة مصر الإسلامية فى العصر الطولونى ، دار الفكر العربى ، القاهرة 0

حسن الباشا (الدكتور)

- الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوظائف والأثار ، الدار الفنية ، للنشر والتوزيع القاهرة ، 1989م 0

حسن محمد جودة

نظم الحضارة الإسلامية دار النشر الدولي ، الرياض الطبعة الأولى، 1423هـ /2002م

خضر أحمد عطا الله (الدكتور)

- الحياة الفكرية فى مصر فى العصر الفاطمى ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة 0

خطاب عطية على (الدكتور)

- التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، القاهرة ، 1947م 0

راشد البراوى (الدكتور)

- حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1948م 0

سعاد ماهر (الدكتورة)

- البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة 0
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة
- محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية فى العصر الإسلامى ، الكتاب الرابع ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة 1966م 0
- الحصير فى الفن الإسلامى ، مطبعة كرستاتسوماس ، القاهرة 0
- النسيج الإسلامى ، مطابع دار الشعب ، القاهرة 1977م 0

سهام مصطفى أبو زيد (الدكتورة)

- الحسبة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية ، سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1988م 0
- مصر فى عصر الإخشيديين ، سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1989م 0
- أهل الذمة فى مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1993م 0
- أحمد بن طولون ، أعلام العرب الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 0
- مصر فى العصرين الطولوتى والإخشيدى ، الألف كتاب ، القاهرة 1960م 0

سييديو

- خلاصة تاريخ العرب ، الطبعة الثانية ، دار الآثار ، بيروت 1400هـ

شحاتة عيسى إبراهيم

- القاهرة تاريخها ونشأتها ، امتدادها ، تطورها دار الهلال القاهرة 0

شوقى ضيف (الدكتور)

- تاريخ الأدب العربى ، الطبعة السادسة ، مصر والشام ، دار المعارف القاهرة 0

صابر محمد دياب (الدكتور)

- دراسات فى تاريخ العالم الإسلامى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1397هـ / 1977م 0

صلاح الدين كشريد

- الطب النبوى ، مجلة المؤرخ العربى 1640، 1981م 0

عاصم محمد رزق عبد الرحمن (الدكتور)

- مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى حتى مجئ الحملة الفرنسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1989م 0

عبد الرحمن فهمى (الدكتور)

- موسوعة النقود وعلم النميات (فجر السكة الإسلامية) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1965م 0

عبد الله كامل موسى

العباسيون وآثارهم المعمارية في العراق ومصر وأفريقية ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ،ط1 ، 1422هـ/2002م

عبد المنعم سلطان (الدكتور)

- المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى ، دراسة تاريخية ، وثائقية ، دار المعارف القاهرة 1985م 0

عبد المنعم ماجد (الدكتور)

- نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1978م
- التاريخ السياسى للدولة العربية ، الجزء الأول والثانى ، عصر الجاهلية ، والنبوة والخلفاء الراشدين ، عصر الخلفاء الأمويين ، القاهرة 0

عصام الدين عبد الرؤوف الفقى (الدكتور)

- الدولة العباسية ، مكتبة النهضة الشرق ، القاهرة ، 1978م 0

عطية القوصى (الدكتور)

- الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة 1985م 0
- تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية 656هـ / 1258م ، القاهرة 1976م 0
- تاريخ الكنوز الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة 1981م 0

على إبراهيم حسن (الدكتور)

- مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ، القاهرة 1949م
- التاريخ الإسلامى العام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 0

عيسى سلمان وأخ0

العمارات العربية الإسلامية في العراق ، دار الرشيد ، العراق 1982

غوستاف لوبون

- حضارة العرب ، تعريب محمد صادق رستم وعادل زعتر ، ط2 ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، القاهرة 1956م 0

فيليب حتى

- تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، القاهرة 1951م 0

محمد جمال الدين سرور (الدكتور)

- تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربى ، القاهرة 0
- الدولة الفاطمية فى مصر ، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة فى عهدها ، دار الفكر العربى ، القاهرة 1979م 0

محمد حمدى المناوى (الدكتور)

- الوزارة فى العصر الفاطمى ، دار المعارف ، القاهرة 0

محمد الخضرى

- محاضرات فى تاريخ الامم الإسلامية " الدولة العباسية " ط5 مطبعة الاستقامة القاهرة 1364هـ / 1945م 0

محمد رمزى

- القاموس الجغرافى ، للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة 1945م القسم الأول ، البلاد المندرسة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1953م ، 1954م 0

محمد عبد الستار عثمان

- المدينة الإسلامية " سلسلة عالم المعرفة ، 128 " يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، اغسطس 1988 0